

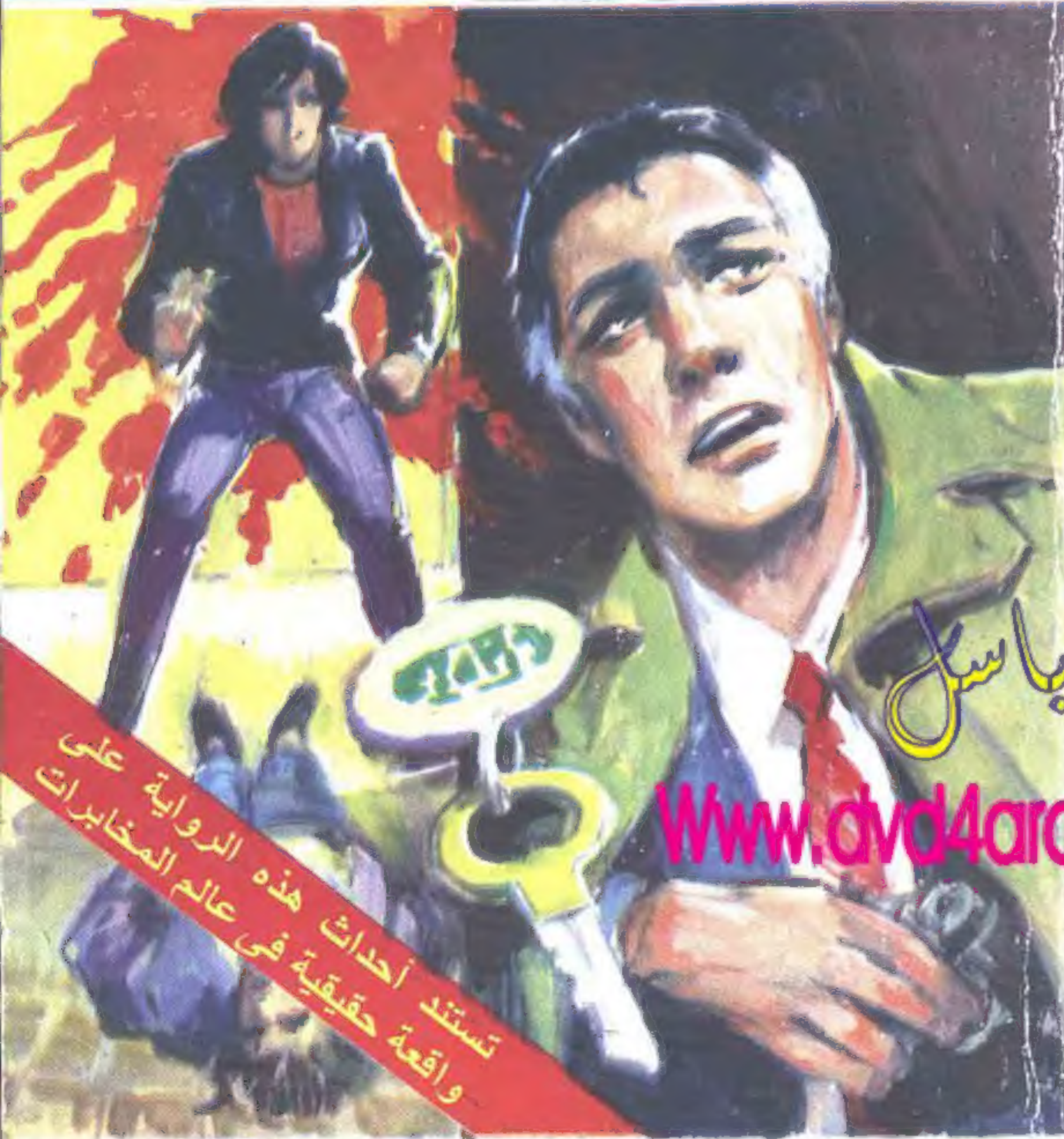
روايات
مصرية للجيب

رجل المستحيل

سرى للغاية

د. نبيل فاروق

سلسلة
الأعداد
الخاصة



روايات
مصرية
للجيب

سلسلة
الأعداد
الخاصة

سرى للغاية

٦٢٧٤٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

سرى للغاية

فجأة ظهرت بعض الوثائق الإسرائيلية البالغة السرية في (أثينا)، وقرر الإسرائيليون إرسال فريق خاص من أخطر رجالهم، في محاولة لاستعادة الوثائق بأى ثمن..

وعندما خاض (أدهم صبرى) المعركة، كان يعلم جيدًا أن عليه أن يواجه فريق الإسرائيليين، ورجال المخابرات الأمريكية أيضًا، وأن عليه أن يحصل، وبأى ثمن أيضًا، على تلك الوثائق، التى تحمل عبارة واضحة.. عبادة (سرى للغاية)!



التمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمر
فى سائر الدول العربية و

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٤٥٥ - القاهرة

www.dvd4arab.com

١ - أوراق الموساد ..

(تل أبيب) : الثامن من يناير ..

★ ★ ★

انطلقت سيارة أمريكية كبيرة تعبر شوارع المدينة ، في الثامنة والنصف صباحاً ، وبدأت بلونها الرمادي الباهت متناسقة مع تلك السحب الداكنة ، التي حجبت أشعة الشمس ، معلنة قرب هطول الأمطار ، وارتفعت درجة الرطوبة إلى الحد الأقصى ، فانتشر ضباب خفيف في الطرقات ، بددت أنوار السيارة ، وهي تتوقف أمام مبنى (الموساد) ، في ذلك الحي الهادئ ، وتحرك أحد رجال أمن البوابة ، فاقترب من السيارة ، وألقى نظرة على وجه سائقها ، قبل أن يبتسم قائلاً :

- صباح الخير يا أدون (كاهان) .. لم أكن أتوقع قدومك للعمل اليوم .

ابتسم (كاهان) ، صاحب الجسد الضئيل ، والرأس الأصلع ، والشارب الكث ، وقال وهو يحكم كوفيته حول عنقه :

- على العكس يا (أدريان) .. اليوم هو آخر أيامي في العمل ، ومن الطبيعي أن أحضر لتحية الزملاء على الأقل .

أوماً (أدريان) برأسه متفهماً ، وغمغم :

- يوسفنى تقاعدك بالفعل يا أدون (كاهان) ، ولكن هذا حال الدنيا .
تمتم (كاهان) :

- نعم يا (أدريان) .. هذا حال الدنيا .



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

ضغط الحارس زراً صغيراً ، فانفتحت بوابة المبنى الإلكتروني ، وانطلق (كاهان) بسيارته إلى ساحة انتظار السيارات ، وأوقف سيارته في مكانها المعتاد ، وغادرها في هدوء شديد ، واتجه إلى مكتبه ، وراح يجمع أوراقه وحاجياته ، ويتبادل التحية مع رفاقه ، قبل أن يقول لهم بابتسامته البسيطة :

- أستمحكم عذراً يارفاق .. سأذهب لتسليم مفتاح حجرة الوثائق ، واستكمال الأوراق المطلوبة .. أنتم تعرفون الروتين وبيروقراطية العمل .

ضحكوا في مرج ، وهتف أحدهم :

- ومن يمكنه أن ينسى هذا .. إننا نملأ ونوِّع عشرات الاستثمارات ، في كل خطوة نخطوها .

واصلوا ضحكاتهم وتعليقاتهم المرحية ، في حين غادر هو الحجرة في هدوء ، وقطع الممر الطويل ، الذي يصل ما بين مكتبه وحجرة الوثائق ، في خطوات واسعة سريعة ، وتوقف لحظة أمام الحجرة ، اختلس خلالها النظر إلى جانبي الممر ، ولم يكد يطمئن إلى خلوه ، حتى فتح الحجرة ببطاقته المغنطيسية في سرعة ، ودلف إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم أسرع إلى دولا ب خاص ، يحمل لافتة واضحة ، تقول بحروف عبرية كبيرة :

- وثائق سرية للغاية .

وفتح (كاهان) ذلك الدولا ب بسرعة ، ثم التقط منه عدة وثائق ، وانتقل في خفة إلى جهاز تصوير (الميكرو فيلم) (*) ، وراح يلتقط

(*) الميكرو فيلم : أفلام تصوير حساسة ، صغيرة الحجم للغاية ، تستخدم عادة في أغراض التجسس ، بحيث يمكن إخفاؤها في أشياء صغيرة وبسيطة .

صوراً واضحة لتلك الوثائق ، على أحد أفلام (الميكرو فيلم) ، والعرق يغمر وجهه ، وأطرافه ترتجف في شدة ، حتى انتهى من التصوير ، فالتقط (الميكرو فيلم) ، ودسه في جيبه ، ثم أعاد الوثائق إلى مكانها ، وأغلق الدولا ب في إحكام ، وغادر الحجرة وهو يتلفت حوله ، وما إن أصبح خارجها ، حتى التقط نفساً عميقاً ، وجفف العرق الذي يغمر وجهه ، من شدة التوتر ، قبل أن يتجه مباشرة إلى حجرة رئيسه المباشر ، ويدق بابها في بضع ، ثم ينتظر في صبر ، حتى يسمع صوت رئيسه ، وهو يقول :

- ادخل يا (كاهان) .

ابتسم ، وهو يلقي نظرة سريعة على آلة التصوير والمراقبة ، التي تعرفه رئيسه من خلالها ، ودفع باب الحجرة ، ورسم على شفثيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

- صباح الخير يا سيدي .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

- صباح الخير يا (كاهان) .. إنه آخر أيامك هنا .. أليس كذلك ؟ أجابه (كاهان) ، وهو يناوله مفتاح الحجرة ، وبطاقته المغنطيسية :

- بلى يا سيدي .. وأنا هنا لتسليم مفتاح حجرة الوثائق وتصوير

(الميكرو فيلم) .. هل ترغب سيادتك في تعيين شخص آخر ، ليتسلم الوثائق وآلات تصوير (الميكرو فيلم) .

التقط رئيسه المفتاح ، وألقاه في درج مكتبه مع البطاقة ، وهو يقول :

- لقد تم تعيينه بالفعل ، وراجعنا كل شيء مساء أمس .

ثم حاول أن يبتسم ، مستطرذا :

- ولكننا نتق بك بالطبع .

تمتم (كاهان) :

- آه .. بالطبع يا سيدي .

تصافحا لإنهاء اللقاء ، وسأله رئيسه :

- هل وقعت الأوراق اللازمة للمكافأة ؟

أجاب (كاهان) :

- كلها يا سيدي .

هز رئيسه كتفيه ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يعني أنك ستحصل على مكافأتك بسرعة ، وخمسة

آلاف دولار أمريكي مبلغ لا يستهان به .

أخفى (كاهان) ابتسامته الساخرة في أعماقه ، وهو يجيب :

- إنه كرم بالغ من الإدارة يا سيدي .

وعند ما غادر حجرة رئيسه ، وثبت تلك الابتسامة إلى شفتيه ،

وامتزجت بشيء من الحنق ، وهو يتمتم :

- خمسة آلاف دولار ؟ .. يا للأوغاد !! .. إنهم يصرون على اختيار

أفضل العناصر للعمل معهم ، ثم يلغون إليهم الفئات عند تقاعدهم .

لم يكن يهتم كثيراً بقيمة المكافأة ، فقد وضع خطته للحصول على

أكبر معاش تقاعد يحلم به جاسوس سابق ، ليقضى ما تبقى من عمره

في رفاهية وبذخ ..

وكان ينفذ هذه الخطة بمنتهى الدقة ..

لقد قضى وقته بين زملائه ، الذين قدّموا له هدية متواضعة ، في

حفل صغير بسيط ، اكتفوا فيه بتناول الماء ، وبعض المشروبات

المجانية ، التي تقدّم للعاملين في المبنى ، وبعدها صافح الجميع في

حرارة ، وغادر المكان إلى سيارته ..

وفي اللحظة التي انصرف فيها من مبنى (الموساد) ، كانت

الأمطار قد بدأت كرزاذ خفيف ، لم يلبث أن تحول بغتة إلى سيول

كثيفة ، وهو ينطلق إلى المطار ..

كان يعلم أنه غير مسموح له بمغادرة البلاد لشهر كامل ، بعد تقاعده

من العمل كأحد مسئولى (الموساد) ، طبقاً للوائح المعمول بها ، ولكنه

وضع هذا في الحسبان ، منذ بدأ التخطيط لما سيفعله ، وصنع جواز

سفر زائفاً ، في القسم الخاص بذلك في الإدارة ؛ حتى يمكنه الفرار

بأقصى سرعة ؛ فهو يعلم أنهم سيكشفون ما فعله بعد خمس أو ست

ساعات على الأكثر ، عندما يبدأ فحص الكمبيوتر الملحق بجهاز

تصوير الوثائق على (ميكرو فيلم) ، والذي يحتفظ بصورة ثابتة لكل

ماتم تصويره ، غير قابلة للمحو أو التغيير ..

والمفروض أن يستقل بعد ساعة واحدة ، طائرة شركة الخطوط

الجوية الأمريكية ، (تى . دابليو . إيه) ، إلى (أمريكا) مباشرة ،

ومنها إلى (بيونيس أيرس) (*) حيث لن يمكنهم العثور عليه قط ..

وفي خياله ، بدأت أحلامه الوردية ترسم صورة لحياة الدعة

(*) بيونيس أيرس : عاصمة (الأرجنتين) ، وهي مدينة على الشاطئ الأيمن

لنهر (ريو) وكبرى مدن (أمريكا الجنوبية) ، والمركز الصناعى والاجتماعى

والتجارى (للأرجنتين) ، أسسها (بديرو دى ميندوزا) عام ١٥٣٦ م .

والترف، التي سيغوص فيها حتى النخاع، ما بقي له من العمر،
وغلقت الأحلام عقله كله، حتى وصل إلى المطار، فحمل حقيبته
الصغيرة، ووضع داخلها (الميكروفيلم)، ثم اتجه مباشرة إلى
المطار ..

كان قد حرص في خطته على ألا يحمل معه حقائب كبيرة، حتى
لا يثير الشكوك إلى نيته في الرحيل، واكتفى بحقيبة أوراقه، مع كل
مدخراته، طوال ثلاثين عامًا من العمل في (الموساد) ..
المهم أن يصل إلى (بيونيس آيرس)، وبعدها لن يكون المال
مشكلة بالنسبة له أبدا ..

والتقط (كاهان) نفسًا عميقًا، وهو يتجه إلى موظفة شركة
الخطوط الأمريكية، راسفًا على شفتيه ابتسامة هادئة، ويقول :
- صباح الخير .. لدى تذكرة على الطائرة المتجهة إلى الولايات
المتحدة الأمريكية، في الواحدة ظهرًا .

هزت الموظفة رأسها في أسف، وهي تقول :

- معذرة ياسيدى .. لقد تم تأجيل إقلاع هذه الرحلة .

هوت العبارة عليه كالصاعقة، فهتف منزعجًا :

- تم تأجيلها؟! .. لماذا؟! .. المفروض أن تقلع في موعدها .. لدى
أمر هامة للغاية، ينبغي إنجازها في (أمريكا) .
أجابته في أسف :

- ليس الأمر بيدنا ياسيدى .. الرحلة تم تأجيلها لسوء الأحوال
الجوية .

صاح في حدة :

- ابحثى لى عن أية رحلة أخرى إذن .. ولا يهمنى المكان ..
(باريس) .. (لندن) .. أو حتى (القاهرة) .. المهم أن أسافر الآن .
كانت قد اعتادت مثل هذه الثورة، كلما تم تأجيل إقلاع واحدة من
الرحلات المعتادة، لذا فقد أجابته في هدوء :

- كل الرحلات تم تأجيلها، بسبب سوء الأحوال الجوية، والمطار
مغلق رسميًا، منذ الواحدة، وحتى إشعار آخر، فخبراء الطقس
يؤكدون أن الطقس سيزداد سوءًا، خلال الساعات التسع القادمة،
وربما يتحسن بعدها، فتقلع الطائرة، و ...

قاطعها بصيحة جمعت كل عصبته وغضبه :

- لا .

تطلعت إليه في دهشة، وكذلك فعل عدد من المحيطين به، فانتبه
إلى خطأ إطلاقه لأنفعالاته على سجيتها، وتراجع مغفمًا في عصبية :
- معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. ولكنها الأعمال، و ...

ولم يتم عبارته، وهو ينسحب من أمامها بسرعة، وكل ذرة في
كيانه تصرخ متوترة ..

تسع ساعات قبل الإقلاع!؟ ..

هذا يتعارض مع خطته تمامًا ..

بعد تسع ساعات يكون رجال (الموساد) قد كشفوا أمره، وأطلقوا
رجالهم خلفه، ووزعوا نشرة بأوصافه، ولن يصبح بإمكانه الفرار
أبدا ..

والعقوبة واضحة ومعروفة، في هذه الجريمة ..
الإعدام ..

سرت في جسده قشعريرة ، عندما جال هذا بخاطره ، وتوثر في شدة ، وهو يعود مباشرة إلى سيارته ، وانطلق عقله مع محركها ، يدرس ويفكر في الأمر ، ثم لم يلبث أن غمغم :
- نعم .. هذا هو الحل الوحيد .

وانحرف بسيارته إلى يسار المطار الإسرائيلي ، وانطلق في خط مستقيم ، وقد عاوده شيء من الحماس والأمل ، حتى بلغ مطاراً عسكرياً قريباً ، أبرز بطاقته الخاصة عند مدخله ، وهو يقول بلهجة صارمة :
- أريد مقابلة قائد المطار ، لأمر خاص وسري .

ولم يكد رجل الأمن عند المدخل يلمح بطاقة (الموساد) ، حتى أجرى اتصالاته بقائد المطار على الفور ، ولم تمض دقائق ، حتى كان هذا الأخير ينهض لاستقبال (كاهان) في مكتبه ، وهو يسأله في قلق :
- ما الذي يمكننا تقديمه لـ (الموساد) ؟

أجابه (كاهان) في لهجة توحى بأهمية الأمر :
- إنه أمر عاجل وبالغ الخطورة ، يخص أمن وبقاء (إسرائيل) ، ويحتاج إلى تعاون خاص منكم .

قال الرجل في قلق :

- أي نوع من التعاون ؟

سأله (كاهان) مباشرة :

- أديكم رحلات جوية عاجلة ؟

صمت قائد المطار لحظات ، وكأنما يدرس الأمر في ذهنه ، قبل أن يجيب :

- وماذا لو أن لدينا هذا ؟

هتف (كاهان) بسرعة :

- أريد أن أرحل من هنا .

انعقد حاجبا قائد المطار في دهشة ، فاستدرك (كاهان) في سرعة ، وهو يستعيد توازنه :

- المهمة التي نحن بصددتها ، تحتم وصولي إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة ، والطيران كله متوقف الآن ، بسبب سوء الأحوال الجوية .

قال قائد المطار في شيء من الحذر :

- ليست لدينا طائرة قادرة على الانطلاق مباشرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

هوى قلب (كاهان) بين قدميه ، ولكن القائد استطرد بسرعة :
- ولكن لدينا حاملة جنود ، في طريقها إلى (جوهانسبرج) (*) ، ومن هناك يمكنك أن تستقل طائرة إلى (أمستردام) (**) ، ومنها إلى (نيويورك) (***) .

تألفت عينا (كاهان) ، وهو يهتف :

- عظيم .. ومتى يمكنني أن أستقل طائرة (جوهانسبرج) هذه ؟

(*) جوهانسبرج : أكبر مدن (جنوب إفريقيا) ، أنشئت عام ١٨٨٦ م كمركز للتعدين ، عند كشف وجود الذهب ، تقوم فيها صناعات معننية ونسيجية ، وبها جامعة (وتوتزرااند) ، التي أنشئت عام ١٩٢١ م .

(* *) أمستردام : عاصمة (هولندا) وأكبر مدنها ، يقع معظمها على الضفة الجنوبية للنهر ، وتربطها قنوات ببحر الشمال وبلتا (الراين) ، وبالتالي بشمال غرب (ألمانيا) الصناعي .

(* * *) نيويورك : ميناء أمريكي شهير ، به مراكز لصناعة الملابس ، والآلات ، والمنتجات المعننية ، والمنسوجات والكيمائيات ، والورق .. شهدت معارك الثورة الأمريكية ، وأصبحت مركزاً سياحياً شهيراً .

ابتسم قائد المطار ، وكأنه يشعر بالفخر ؛ لأنه استطاع معاونة رجل
من رجال (الموساد) ، وأجاب :
- إنها تستعد للإقلاع الآن ..

وعلى الرغم من الأمطار ، التي تهطل بشدة ، وخيوط البرق ، التي
راحت تشق السماء في تتابع شبه متصل ، كان قلب (كاهان) يرقص
طرباً ، وهو يجلس بين الجنود ، والطائرة تقلع بهم مغادرة (تل
أبيب) ، و (إسرائيل) كلها ..

ولكن الجنود أنفسهم لم يشعروا بالارتياح ، لوجود شخص في
ملابس مدنية وسطهم ، وإن احتفظوا بذلك الضيق في أعماقهم ، ولم
يفصحوا عنه قط ، لجهلهم هوية ذلك المدني ..

وانطلقت حاملة الجنود نحو (جوهانسبرج) ، وسط عاصفة
عاتية ، لم تشهد لها المنطقة مثيلاً ، منذ فترة طويلة ، وسار كل شيء
على ما يرام لفترة ما ، و ...

وفجأة ، ارتجت الطائرة كلها في عنف ، ودوت داخلها فرقة
عنيفة ، جعلت (كاهان) يصرخ في ارتياح :
- ماذا حدث؟! .. ماذا حدث!؟

أجابه مساعد الطيار في حدة :

- صاعقة أصابت المحرك الأيسر .. إتنا نفقد توازننا .

صرخ (كاهان) ، وهو يهت من مكانه :

- لا .. لا تفعل .. حاول السيطرة على الطائرة .. حاول .
صاح فيه الطيار :

- عد إلى مقعدك يا رجل .. إتنا نبذل قصارى جهدنا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى دوى انفجار عنيف في مؤخرة الطائرة ،
واشتعلت النيران في ذيلها دفعة واحدة ، وراحت تهوى بسرعة
مخيفة ، على الرغم من محاولات الطيار ومساعدته ، في حين التصق
(كاهان) بمقعده ، واحتضن حقيبة أوراقه في شدة ، وراحت عشرات
الشرائط والصور تمرق أمام عينيه المتسعيتين المذعورتين ..
صور لحياته السابقة بكل ما فيها ..

زوجته الراحلة ..

ابنه الذي تركه ليلتحق بجيش الدفاع الإسرائيلي ..

حياته كجاسوس سابق ..

خطته ..

وأحلامه الوردية ..

وتوقف ذهنه طويلاً ، عند هذه النقطة الأخيرة ..

لم تعد هناك أحلام وردية ..

لم تعد هناك أية أحلام ..

المهم الآن أن ينجو من الموت بأي ثمن ..

أي ثمن .

ولكن الطائرة واصلت سقوطها ، وهتف الطيار :

- حاولوا استخدام المظلات .

ولكن التحذير جاء بعد مواعده بكثير ..

لقد برزت الجبال فجأة أمام الطائرة ، وسط العاصفة الهوجاء ، و ..

ودوى الانفجار في المنطقة كلها .

★ ★ ★

٢ - تصريح بالقتل ..

انقلب (الموساد) كله رأسًا على عقب ، عندما تم كشف ما فعله (كاهان) ، وانتقل المدير بنفسه إلى قسم الوثائق والمعلومات ، وهو يقول في توتر شديد :

- كيف يحدث هذا؟!.. كيف تم تجاوز إجراءات الأمن على هذا النحو البالغ الخطورة ، والمسرف في التهاون والإهمال؟!..
بدا الرئيس المباشر - (كاهان) شديد الهلع والذعر والقلق ، وهو يدعو إلى جوار المدير ، قائلاً :

- ومن كان يتوقع هذا يا سيادة المدير؟!.. لقد كان (كاهان) ، طوال فترة عمله هنا ، مثلاً لرجل المخابرات الكفاء ، ولم يحاول العبث معنا قط ، فكيف نشك في أمره بعد كل هذا ؟

صاح به المدير غاضباً :

- عملك يحتم عليك أن تشك في أقرب الناس إليك ، حتى ابنك وزوجتك مادام هذا في مصلحة العمل والأمن .. هل نسيتم القواعد إلى هذا الحد؟!.. كيف يتقاعد رجل هنا ، ويظل محتفظاً ببطاقته المغنطيسية ، ذات الشفرة الخاصة بفتح باب الوثائق والمعلومات والميكروفيلم؟!.. وكيف لا يتم جرد الوثائق ، ومراجعة جهاز التصوير قبيل انصرافه .. هذا تجاوز رهيب لنظم وقواعد الأمن هنا .

غمغم الرئيس المباشر منزعجاً :

- لقد استغل ثقتنا به ، و ...

قاطعه المدير محتثاً :

- وماذا؟!.. لن أسمع لك بالفرار من المسؤولية قط .. أنت المسئول الأول أمامي عما حدث ، وستدفع ثمن هذا .
شحب وجه الرئيس المباشر ، وهو يقول :

- كما ترى يا سيادة المدير .. كما ترى .

بلغا حجرة الوثائق والميكروفيلم في هذه اللحظة ، فدفق إليها المدير ، وقال للرجل الجالس أمام جهاز الميكروفيلم :

- أريد رؤية الوثائق ، التي التقط (كاهان) صورها .

ضغط الزجل بعض الأضرار أمامه ، ثم تراجع بسرعة ، مفسخاً الطريق أمام المدير ، الذي واجه شاشة العرض ، وتركزت عيناه على صور الوثائق في اهتمام ، قبل أن يغمغم في ارتياح :

- يا للشيطان!..

كانت الصور المتتابعة أمامه تحمل أخطر وأدق أسرار (الموساد) ، ودولة (إسرائيل) كلها ، عبر وثائق بالغة السرية ، المفروض ألا يطلع عليها سوى رؤساء الأقسام ورئيس المخابرات ، ورئيس الوزراء فحسب ..

باختصار .. كان حصول (كاهان) على نسخة منها يعد كارثة رهيبة ، بالنسبة لأمن (إسرائيل) كله ..

وتحول غضب المدير إلى ثورة هادرة ، وهو يهتف :

- مستحيل!.. إنها مصيبة .. كارثة .. سأطالب بفصلكم جميعاً من

الخدمة ، لو باع (كاهان) اللعين هذا نسخة واحدة من هذه الوثائق .

ثم تحرك في سرعة ، مستطرداً :

- أبلغوا كل المطارات والموانى ، ووزعوا نشرة بأوصافه فى كل مكان ، وأرسلوا رجالنا للبحث عنه فى كل شق فى (إسرائيل) كلها .. من أقصاها إلى أقصاها .. المهم أن نعثر عليه قبل أن يتصرف فى هذه الوثائق بأى ثمن .. هل سمعتم ؟!.. بأى ثمن .

★ ★ ★

استمرت العاصفة عشر ساعات أخرى ، بزيادة ساعة واحدة عما توقعه خبراء الأرصاد ، وبعدها انقشعت السحب ، وبانت السماء من خلفها واضحة صافية ، بنجومها اللامعة ، التى يتوسطها القمر ، وقد اكتملت استدارته أو كادت ..

وفوق الرمال الممتدة لمسافة كبيرة ، انطلقت ثلاث سيارات عسكرية ، من نوع (الجيب) ، نحو حطام طائرة نقل الجنود العسكرية ، وأحاطت بها قى صمت ، وغادرها عدد من الجنود ورجال الفريق الطبى ، راحوا يفحصون الحطام ، ويبحثون عن الجثث فى سرعة واهتمام ، فى حين وقف قائدهم يتابع العمل فى صمت ، حتى اقترب منه أحد الجنود ، وأدى التحية العسكرية ، قبل أن يقول فى حيرة واضحة :

- سيدى .. هناك جثة لمدنى وسط الحطام .

ارتفع حاجبا القائد فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

- مدنى ؟!.. ولكن الأوراق التى لدينا تشير إلى أنها طائرة عسكرية ، فى مهمة خاصة لجنوب (إفريقيا) ، ومن المحذور وجود أى مدنيين بين ركبها .
أجابه الجندى :



راحوا يفحصون الحطام ، ويبحثون عن الجثث فى سرعة واهتمام ..

- ولكنه هناك بالفعل يا سيدى ، ولقد لقي الجميع مصرعهم ، ونحن نحاول البحث عن هويته .

عقد القائد حاجبيه فى توتر شديد ، قبل أن يجيب :
- أخرجوا جثته وحدها ، وسأتصل بالروساء ، فى محاولة لكشف هذا الغموض .

ولم يكد الضابط بجرى اتصاله برؤسائه ، حتى بدأت سلسلة من الاتصالات السرية ، فى طول (إسرائيل) وعرضها ، وسرعان ما انطلق اثنان من رجال (الموساد) ، لاستقبال الجثة المدنية ، وما إن كشف وجه صاحبها ، حتى قال أحدهما فى حزم :

- إنه (كاهان) ..

ثم سأل فى اهتمام :

- هل تم جرد محتويات الطائرة جيدا ؟!.. أهنالك كشف بكل شيء ؟
أجابه قائد فريق البحث :

- نعم .. لقد استعدنا كل ما أمكننا استعادته ، ولكنه ليس بالشىء الكثير ، فأثار الأقدام المحيطة بالحطام ، تشى بأن بعض البدو أو الرعاة قد وصلوا إليه قبلنا ، وجرده من كل الأشياء الثمينة ، فلم نجد ساعة واحدة فى يد صاحبها ، وحتى الأحذية ومظلات الهبوط والأسلحة ، تم الاستيلاء عليها كلها .

سأله أحد الرجلين :

- وماذا عن الحقيبة ؟

قال الرجل فى حيرة :

- أية حقيبة ؟!

أجابه رجل (الموساد) :

- كل الشهود أكدوا أن الرجل كان يحمل حقيبة أوراق سوداء صغيرة ، ويمسك بها فى حرص شديد ، فأين ذهبت ؟

هز كتفيه ، وهو يقول :

- ومن يدري ؟.. إننا لم نعثر على أية حقائب وسط الحطام .

قال رجل (الموساد) الآخر فى صرامة :

- أنت واثق من هذا ؟

أجابه قائد فريق البحث فى حزم :

- تمام الثقة ، ويمكنكم مراجعة الأمر كله بنفسكما .

تبادل رجلا (الموساد) نظرة طويلة ، قبل أن يقول أحدهما :

- سنفعل .

وكان محققا فى قوله هذا ، فخلال الأيام الثلاثة التالية ، قام فريق خاص من (الموساد) بإعادة فحص حطام الطائرة بدقة متناهية ، استخدمت فيها أحدث وسائل الفحص الإلكتروني ، وتم تشريح جثة (كاهان) ، وإفراغ محتويات معدته ، خشية أن يكون قد ابتلع (الميكرو فيلم) ، أو أخفاه داخل جسده ، وفى نفس الوقت ، بدأ فريق آخر فى استجواب كل سكان المنطقة ، من عرب وإسرائيليين ، بمنتهى الحزم والقسوة ، دون أن يسفر هذا عن شىء محدد ، حتى ظهر الثانى عشر من يناير ، عندما طلب رئيس قسم العمليات الخاصة مقابلة مدير (الموساد) ، ولم يكد يلتقى به ، حتى قال فى توتر شديد :

- الوثائق ظهرت بآسيادة المدير .

سأله المدير فى لهفة :

السفارة الإسرائيلية ، مع جواب يشير إلى أن أحدهم يمتلك الوثائق الأصلية ، ويرغب في بيعها لمن يدفع ثمنًا أكبر .
سأله (أدهم) :

- وكيف حصل على الوثائق الأصلية ؟
هز المدير رأسه ، قائلاً :

- لا أحد يدري ، وخاصة أنه من الواضح أن ذلك الشخص ليس محترفاً ، ولقد عرضت الأمر على لجنة من الإخصائيين ، وطلبت رأيهم ، فتوصلوا إلى تحليلين لاثالث لهما ، فإما أن كل هذا مجرد عبث صبياني ، يقوم به بعض طلبة الجامعة اليونانية ، دون أن يشعروا بخطورة أو حساسية ما يفعلون ، وإما أن تكون بعض الوثائق الخطيرة قد وقعت في يد شخص ما ، أدرك أهميتها ، فجازف بما فعل ، عسى أن يصيب ثروة طائلة دون جهد كبير .. والسؤال هو : أى التحليلين يبدو لك أكثر منطقية .

أجاب (أدهم) بسرعة :
- كلاهما .

ثم استدرك بعد فترة من الصمت :

ولكننى أعتقد أنه من الأفضل أن نتحرك ، بافتراض أن التفسير الثانى هو الصحيح ، حتى لا نفقد شيئاً من الكعكة ، لو أنها حقيقية .
أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وهذا ما استقر عليه رأى الجميع فى النهاية ، فخير لنا أن نتعامل وكأنها وثائق حقيقية ، ثم يتضح العكس ، من أن نتجاهلها ثم نندم على هذا .

- وأين هى ؟

ازدرد الرجل لعابه ، قبل أن يقول :

- لن يمكنك أن تتخيل أبداً .

وكان الجواب مدهشاً ..

مدهشاً بحق ..

★ ★ ★

تفضل يا (أدهم) ..

نطق مدير المخابرات العامة المصرية هذه العبارة ، وهو يستقبل (أدهم صبرى) فى مكتبه ، ودعاه للجلوس ، مستطرذا :
- لدى أمر أحب استشارتك بشأنه .

قال (أدهم) بهدوئه التقليدى :

- أنا رهن إشارتك يا سيدي .

ناوله المدير بعض الأوراق ، وهو يسأله :

- ما رأيك فى هذا ؟

طالع (أدهم) الأوراق فى سرعة واهتمام ، قبل أن يقول :

- تبدو لى كملخص مختصر للغاية ، لبعض الوثائق الإسرائيلية ، مطبوع باللغة الإنجليزية ، ولكنه يفتقر إلى كثير من الدقة والتفاصيل ، كما لو أن صاحبه لا يتقن ما يفعله .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- بالضبط .. وهذا الملخص تم توزيع نسخة منه على كل السفارات ، التى يمكن أن يهتمها الأمر ، فى (أثينا) كلها ، بما فى ذلك

صمت (أدهم) لحظة أخرى، قبل أن يقول :
- أعتقد أن هناك مؤشرا قد يرشدنا إلى الحقيقة .

سأله المدير في اهتمام :

- وما هو ؟

أجابه (أدهم) :

- رد فعل الإسرائيليين .

ابتسم المدير، وتراجع في مقعده، وهو يقول :

- إنهم ليسوا أغبياء .

قال (أدهم) في هدوء :

- بالتأكيد، ولهذا سيكون رد فعلهم مناسباً لعقليتهم، ولو أن هذه

الوثائق زائفة، فسيحتاجون الأمر تماما، أما لو كانت حقيقية،

فسيدخلون قصارى جهدهم لإثبات أنها زائفة، ومن هنا يمكننا فهم

حقيقة الأمر .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه، وقال :

- هذا صحيح، ولكن أيا كان الأمر، فالمفروض أن نبدأ مفاوضاتنا

مع صاحب الوثائق، قبل أن يفعل الآخرون .

ابتسم (أدهم)، وهو يقول :

- متى أسافر إلى (أثينا) ياسيدى ؟

نهض المدير من خلف مكتبه، وتطلع عبر نافذة الحجرة لحظة،

قبل أن يجيب في حزم :

- الآن .. سنتطلق طائرتك بعد ساعة ونصف الساعة .

سأله (أدهم) :

- وماذا عن المتفاوض .. كيف وأين التقى به ؟

أجابه المدير :

- لقد ترك رقم صندوق بريد .

ابتسم (أدهم) في سخرية، وهو يقول :

- كنت أتوقع هذا .. إنه لا يمت بصلة لعالمنا، وإلا لعلم أن صناديق

البريد يمكن مراقبتها بسهولة .

غمغم المدير :

- أعتقد أنه اتخذ الاحتياطات اللازمة .

قال (أدهم) :

- بالتأكيد، ولكن هل يمكن أن تمنحه تلك الاحتياطات القدرة على

اللعب مع المحترفين ؟ .. هذا هو السؤال .

وكان (أدهم) على حق ..

هذا هو السؤال ..

★ ★ ★

لم يكد مدير المخابرات الإسرائيلية بدلف إلى قاعة التدريبات

الخاصة بمبنى (الموساد)، حتى ارتفع صوت أنثوى حازم يهتف :

- انتباه .

وتحركات صاحبة الصوت مع ثلاثة من الرجال الأشداء، فضرب

جميعهم كعوبهم بالأرض في آن واحد، وارتفعت أيديهم بالتحية

العسكرية في قوة، فحدجهم المدير بنظرة فاحصة، قبل أن يقول :

- استرح .

ثم التفت إلى الأنثى، ذات الشعر الأشقر والجسد الممشوق، الذي

تبرز في أرجائه عضلات قوية، أشبه بعضلات رجل قوى، وقال :

- هل انتهيت من اختيار فريقك أيتها النقيب (راشيل) ؟

أجابته (راشيل جولدمان) في صوت قوى :
- نعم يا سيادة المدير .. هل تأمرني بتقديمهم إليك ؟
أشار المدير بيده ، قائلاً في اقتضاب أمر :
- ابدني .

تحركت الفاتنة الشقراء في خطوات عسكرية صلبة ، وتوقفت أمام
أول الرجال الثلاثة ، وهي تقول :
- (بترو دينوفسكى) .. ملازم في جيش الدفاع الإسرائيلي ،
وخبير في رياضات الدفاع عن النفس .. (الجودو) (*) ،
و (الكاراتيه) (**) ، و (التايكوندو) (***) .. بولندي الأصل ..
يجيد العربية والإنجليزية .

أوماً المدير برأسه موافقاً ، فانتقلت إلى الثانى ، وواصلت :
- (ناحوم أريان) .. ملازم في القوات الخاصة ، التحق حديثاً
بصفوف (الموساد) .. من أب يونانى وأم إسرائيلية .. يجيد قيادة
السيارات ، وإطلاق النار ، واستخدام كل أنواع المتفجرات .
منحها المدير إيماءة رأسه مرة ثانية ، فتابعت مشيرة إلى الأخير :
- (كوهين شيرمان) .. ملازم من (الموساد) .. نشأ وقضى

(*) الجودو : نوع من أنواع المصارعة ، نشأ في (اليابان) ، ولا يتطلب قوة
عضلية كبيرة ، بل يعتمد على تطبيق الأسس التشريحية للجسم البشرى ، بحيث
يستطيع اللاعب التغلب على خصم يفوقه وزناً وحجماً وقوة .

(**) الكاراتيه : رياضة حديثة من رياضات الدفاع عن النفس ، نشأت في
(الصين) ، (إبان الاحتلال اليابانى ، وانتشرت بالعالم كله .

(***) التايكوندو : تطوير حديث لعدد من رياضات الدفاع عن النفس ،
ينصب في قالب واحد ، يستخدم فيه المقاتل قذميه بأكثر مما يستخدم قبضتيه .

طفولته في (النمسا) ، وتلقى ست دورات في فن تحليل الوثائق
والمعلومات .

أدار مدير (الموساد) عينيه في تلك النخبة الصغيرة ، قبل أن
يسأل :

- هل فهتم طبيعة مهمتكم جيداً ؟

أجابه (بترو) :

- النقيب (راشيل) شرحت لنا الأمر بكل التفاصيل .

قال المدير :

- هذا جيد .. تعلمون إذن أن المطلوب منكم هو السفر مباشرة إلى
(أثينا) ، واستعادة الوثائق ، وهذا بمنتهى الاختصار ، أما لو أردتم
معرفة التفاصيل ، فسيكون لنا حديث آخر .

اندفع (ناحوم) ، قائلاً :

- كلنا آذان صاغية .

أدار المدير إليه عينيه ، فاستدرك في خفوت :

- لو أن لديك الرغبة في الحديث :

رمقه المدير بنظرة صارمة قصيرة ، قبل أن يقول :

- الذى ينبغي أن تعلموه أولاً ، هو أن الحصول على الوثائق ليس

هدف المهمة الرئيسى والوحيد ، فنحن نعلم أن حاملها ينتظر رسالتنا

في صندوق بريد المترو الرئيسى ، رقم واحد وسبعين ، ولو وضعنا

خطة محكمة ، مع شخص غير محترف كهذا ، فالأرجح أننا سننجح

في الحصول على تلك الوثائق ، ولكن هذا لا يعنى أن المهمة قد

نجحت ، فالوثائق الموجودة عبارة عن ترجمة للوثائق الأصلية ،

المكتوبة باللغة العبرية، والتي تم الحصول عليها عن طريق (الميكرو فيلم)، وذلك بطبع الصور، وترجمتها إلى عدد من اللغات، ومن الضروري أن تتعقبوا خط سير هذه الوثائق، وتعملوا جاهدين على استعادة (الميكرو فيلم)، وتدمير الصور الأصلية، والنسخ المترجمة، وتجارب الصور، وأية قطعة منها، حتى الملقاة في سلة المهملات، ومسودات الترجمة، ومحاولاتها المختلفة.. باختصار.. أريد منكم أن تمحووا كل أثر لهذه الوثائق من الوجود.

غمفت (راشيل) :

- لن تكون مهمتنا سهلة.

أجاب المدير :

- بالتأكيد، فلسنا وحدنا من سيهتم بتلك الوثائق.. صحيح أن المصريين لم يبدوا رد فعل واضح حتى الآن، ولكننا واثقين من أنهم لن يتخلوا عن السباق، أما الأمريكيون، فقد دخلوا اللعبة بالفعل.

هتف (بترو) :

- حقا؟!

قال المدير :

- المعلومات التي وصلتنا تقول : إنكم ستواجهون اثنين من أقوى رجال المخابرات الأمريكية.. (بروس ماكنيللي) .. الملحق العسكري في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في (أثينا)، والجاسوس السابق في (الصين)، و (أرنولد ويلز) .. مسنول التجسس الخارجي في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وهما رجلان لا يستهان بهما، وقدراتهما قد تبلغ قدرات رجالنا في (الموساد).

سألته (راشيل) :

- وهل هناك أوامر خاصة، بشأن التعامل معهما؟

بدت الصرامة على وجه المدير، وهو يقول :

- لا توجد أوامر خاصة بشأن أي كائن كان، ولا توجد لوائح أو

قواعد، باستثناء قاعدة واحدة، يتم تطبيقها بالنسبة لأي مخلوق،

مهما بلغت صفته، تعامل بأي شكل أو صورة من الصور مع تلك

الوثائق، فكل من طبع صورها، أو ترجمها، أو حملها، أو حتى ألقى

نظرة واحدة عليها، مهما بلغت سلبيته، سيكون عليكم مواجهته

بأسلوب واحد لا غير.

وانعقد حاجباه في شدة، وهو يستطرد في حزم :

- القتل.. القتل بلا رحمة.

وكانت هذه هي البداية..

★ ★ ★



٣ - لغة الدم ..

(أثينا) : الثالث عشر من يناير ..

★ ★ ★

ازدحمت محطة المترو الرئيسية في قلب (أثينا) ، في تلك الساعة من النهار ، وراح روادها يتحركون في سرعة ونشاط ، وكل منهم يحمل حقيبته ، في طريقه إلى عمله ، فيما عدا شخصا واحدا قصير القامة ، أصلع الرأس ، بدا متراخيا كسولا ، على نحو يتناقض مع كل المحيطين به ، وهو يشغل سيجارة رخيصة ، وينفث دخانها في شيء من البلادة ، متجها في خطوات بطيئة متخبطة ، نحو صناديق البريد الخاصة ..

ولعشر دقائق أو يزيد ، وقف الرجل أمام الصناديق ، وأولاهها ظهره ، وراح ينفث دخان سيجارته في بطء مثير ، وعيناه تجوبان المكان في تراخ عجيب ، ثم لم يلبث أن استدار إلى الصناديق ، وأخرج من جيبه مفتاحا ، فتح به الصندوق رقم واحد وسبعين ، وتطلع إلى الخطابات العديدة داخله ، ثم أخرج من جيبه كيسا من البلاستيك ، نقل إليه كل الخطابات ، وحمله في لامبالاة مغادرا المحطة ..

ومن بعيد ، تمت (ناحوم) :

- أهذا القصير الأصلع هو غايتنا ؟

أجابته (راشيل) :

- لست أعتقد هذا ، فحتى لو لم يكن الرجل محترفا ، فهو يدرك

حتما أن مراقبة صندوق البريد الذي اختاره ، ليست بالأمر العسير ، ولن يغامر بالقدوم إلى هنا بنفسه .

كان الأصلع يتجه في هذه اللحظة نحو باب المحطة ، إلا أنه توقف فجأة ، ليلقى سيجارته أرضا ، ويسحقها بقدمه في بطء ، وراح يبحث في جيوبه عن سيجارة أخرى ، ثم لم يلبث أن عاد أدراجه إلى المحطة ، وكأنه يهم بشراء علبة سجاائر جديدة ، فتمتم (ناحوم) :

- هذا الرجل لا يصلح حتى كخفير لخط سكك حديدية غير مستعمل .
لم تعلق (راشيل) على عبارته ، وهي تتابع الأصلع ببصرها ، وانعقد حاجباها الجميلان في توتر ، عندما رآته يقترب من حاجز المترو ، و ...

وفجأة ، اندفع الرجل إلى المحطة ، فهتف (ناحوم) :
- إنه يحاول الفرار .

وانطلق يعدو مع (راشيل) نحو محطة المترو ، وما إن بلغاها حتى انعقد حاجبا (ناحوم) ، وهو يغتمم :
- اللعنة !.. ما الذي يفعله بنا هذا الرجل ؟

كان الأصلع يقف هادئا على رصيف المترو ، حاملا الكيس البلاستيكي الصغير ، ومتطعنا إلى المترو القادم بنظرة بسيطة ، شأن أي راكب عادي ، مما جعل (راشيل) تقول في شيء من الغضب :
- هذا الرجل يعيث بنا لسبب ما .

قال (ناحوم) في حدة :

- لو واصل هذا ساقته .

أجابته في صرامة :

- اهدأ وتماسك يارجل .. لن أسمح لك بإفساد الخطة من أجل
اتفعال تافه .

كظم (ناحوم) غيظه في أعماقه ، ووقف يراقب الأصلع ، الذي
ظل هادئاً ، في انتظار المترو ، الذي دخل إلى الرصيف في سرعة ،
وتوقف ليفتح أبوابه ، ويسمح بحركتي الصعود والهبوط ..

ولثوان ، غادر العشرات المترو ، وركبه عشرات آخرون ، دون
أن يتحرك الأصلع من مكانه ، أو يبدي اهتماماً بالأمر ، وكأنه لم يفكر
قط في ركوب المترو ، وإن أمسك الكيس في قوة ..

وفي حيرة ، تمت (ناحوم) :

- لماذا لم يركب ؟

أجابته (راشيل) ، وهي تقترب معه من أحد أبواب المترو الأخرى :
- ربما كان في انتظار قدوم شخص ما ، أو أنه بهم بالقفز داخل
المترو في اللحظة الأخيرة ، وينبغي أن نستعد للحاق به لو فعل .
ولكن الأصلع استدار فجأة ، وابتعد عن المترو ، وكأنه بهم بمغادرة
المحطة مرة ثانية ، فهتفت (راشيل) هذه المرة :

- ما الذي يعنيه هذا ؟

كانت أبواب المترو تتحرك في اتجاه الإغلاق ، عندما استدار الرجل
فجأة ، وألقى الكيس نحو فتحة أحد الأبواب بكل قوته ، فتحرك شاب
قوى في سرعة ، داخل المترو ، والتقط الكيس في خفة ومهارة ، ثم
تراجع في اللحظة الأخيرة ، ليغلق المترو أبوابه ، ويبدأ تحركه ..

وهتفت (راشيل) في غضب :

- اللعنة !.. لقد خدعنا .

ثم انطلقت تعدو إلى خارج المحطة ، هاتفة بزميلها (ناحوم) :

- حاول أن تحصل على مالهديه من معلومات .

اندفع الأصلع بجري ، وانطلق خلفه (ناحوم) بكل قوته ، في حين
غادرت (راشيل) المحطة ، ووثبت داخل سيارة تنتظرها ، ويجلس
داخلها (بترو) و (كوهين) ، وهتفت :

- المحطة التالية بأقصى سرعة .. لقد خدعنا الرجل .

ودون أن يلقي عليها (كوهين) سؤالاً واحداً ، انطلق بالسيارة على
الفور ، في محاولة لبلوغ محطة المترو التالية في الوقت المناسب ..
أما (ناحوم) ، فقد ركض خلف الأصلع بكل قوته ، وأمسك كتفه
في قوة ، وهو يقول في صرامة باليونانية :

- انتظر يارجل .. لي حديث معك .

استدار القصير في توتر ، وحاول أن يهوى على فكه بلكمة عنيفة ،
ولكن (ناحوم) تفادى اللكمة في خفة ، ثم حطم فك الرجل بلكمة قوية ،
فصاح الأصلع في ألم مذعور ، وهو يحاول إيقاف نزيف أنفه :

- لقد حطمت أنفي .. ليس لك الحق في هذا .. سوف أبلغ الـ ...

أخرسه (ناحوم) بلكمة عنيفة في معدته ، شهق لها الرجل في
ألم رهيب ، قبل أن يجذبه الإسرائيلي في قسوة إلى ركن مظلم ، ثم
ينتزع مسدسه المزود بكاتم للصوت من حزامه ، ويلصقه بعنقه ، قائلاً
في خشونة :

- لماذا فعلت هذا ؟

هتف الرجل مذعوراً :

- لقد نذت ما طلبوه مني .. أخذت الخطابات ، ووضعتها في

كيس ، ألقينه لذلك الشاب في اللحظة الأخيرة ، قبل إغلاق أبواب المترو .

سأله (ناحوم) في غلظة :

- ومن طلب منك هذا ؟

لَوْح الرجل بذراعيه ، هاتفا :

- وما شأنك بهذا ؟ .. إنها أسرار العمل ، وليس من عادتي أن ...

قاطعته (ناحوم) بطلقة صامتة من مسدسه ، اخترقت فخذ الرجل ،

فاتسعت عيناه في ألم وارتياح ، وصرخ :

- آه .. إنك تقتلني .

دفع (ناحوم) ماسورة المسدس في حلقه ، وهو يقول :

- لو ارتفع صوتك مرة أخرى ، ستخترق رصاصتي جمجمتك من

الداخل دون رحمة .

اتسعت عينا الأصلع في رعب لا مثيل له ، وسأله (ناحوم) :

- من أسند إليك هذه المهمة ؟

أجابه الرجل في ارتياح :

- لست أعلم من أصحاب العمل .

قال (ناحوم) في غضب :

- هل تحتاج إلى رصاصة أخرى ، لحل عقدة لسانك ؟

صرخ الرجل :

- كلاً .. كلاً .. أرجوك .. سأخبرك بكل ما لدى ، ولكن لا تقتلني .

قال (ناحوم) في حدة :

- فليكن .. أبلغني ما لديك ، ولن أقتلك .

ارتفع من خلفه صوت ساخر يقول بغتة :

- كاذب .

استدار (ناحوم) في سرعة ، ليواجه صاحب الصوت ، فاستقبلته

لكمة كالقنبلة في أنفه ، غامت لها عيناه ، في نفس اللحظة التي أمسكت

فيها أصابع كالفولاذ بمعصمه . ولوته لتجبره على إنقاء مسدسه ،

مع صوت ساخر يستطرد :

- من الخطأ أن تلهو بالأسلحة النارية .

ثم هوت لكمة أكثر عنفا على معدته ، وصاحبها يضيف :

- فهذا يبئل فراشك في المساء .

ارتطم (ناحوم) بالجدار ، وسقط مسدسه أرضا ، ووقع بصره على

خصمه ، الذي بدا هادئا على نحو عجيب ، وهو يقترب منه بابتسامة

ساخرة ، فاندفع نحوه ، محاولا لكمه في أنفه ، وهو يقول :

- ادخر سخريتك لنفسك يا رجل .

مال خصمه ، متفاديا اللكمة في خفة ، ثم لكمه مرة ثانية في معدته ،

وهو يقول :

- كلاً .. إننى أفضل منحك إياها عن آخرها .

ثم وثب في رشاقة ، وركله في وجهه . مستطرذا :

- ولا تحاول رد الهدية .

ارتطم رأس (ناحوم) بالجدار هذه المرة ، وسقط فاقد الوعي ، عند

قدمي الأصلع ، الذي اتسعت عيناه في رعب هائل ، وهو يحدق في

وجه (أدهم) ، قائلا بصوت مرتجف وحروف مرتعدة :

- ما .. ماذا تريد مني ؟

ألقى (أدهم) نظرة على الإصابة في فخذ الرجل ، ثم جذبه من ذراعه ، قائلاً :
- أريد أن أسعفك أولاً .

راح الرجل يحجل إلى جواره ، والدماغ تغرق ساقه ، ورواد المحطة يتطلعون إليه في دهشة بالغة ، حتى وضعه (أدهم) داخل سيارته ، وجلس على مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، وهو يسأله :
- من أسند إليك هذه المهمة ؟

نطق (أدهم) السؤال في لهجة أمرة صارمة مخيفة ، تجفدت لها دماء الرجل في عروقه ، وهو يتمتم في شحوب :
- أنت أيضًا ؟
أجابه (أدهم) :

- نعم .. ولكنني أختلف كثيرا عن صديقنا ، الذي يرقد فاقد الوعي في المحطة .

ثم رمقه بنظرة مخيفة ، مستطرذا :

- فأننا لا أضيع الوقت في إطلاق النار على السيقان أو الأذرع .
انكمش الأصبع في مقعده ، وهتف :
- (كوستا زافيروس) .

سأله (أدهم) في صرامة :

- ومن (كوستا زافيروس) هذا ؟

قال الرجل في عصبية مذعورة :

- صاحب بار (البجعة البيضاء) .. إنه الرجل الذي عرض على

العمل ، لحساب أحد عملائه ، ولكنني لم أر ذلك العميل قط .. (كوستا)

هو الذي شرح لي ما سأفعله ، ونقدني مائة دولار أمريكي مقابل هذا .. أقسم إنني لم أكن أعلم أن الأمر جاد .. لقد تصوّرتها مجرد مزحة سخيفة ، ولم يكن الأمر يعنيني ، مادمت سأقبض أجرى .

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يقود السيارة بملامح جامدة ، جعلت قلب الأصلع يخفق في شدة ، قبل أن يهتف بلهجة أقرب إلى البكاء :
- أقسم لك إنها الحقيقة .

صمت (أدهم) لحظة أخرى ، قبل أن يسأله :

- وأين بار (البجعة البيضاء) هذا ؟

ألقى إليه الرجل العنوان في سرعة ، فأوما (أدهم) برأسه في صمت ، جعل الرجل يسأله في حذر :

- ألن تدون العنوان ؟

أجابه في برود :

- لا داعي لهذا .

ثم توقف بالسيارة أمام بناية فاخرة ، وأخرج من جيبه ورقتين من فئة المائة دولار ، ناولهما للرجل المندشم ، وهو يقول :

- اصعد للطابق الثالث ، وأخبر الدكتور (يورغو) أنك قادم من

طرف (جمعية أصدقاء الهرم الأكبر) ، وسيداوى جرحك ، ويستخرج

الرصاصة من ساقك ، دون أن يلقي عليك سؤالا واحدا ، ومن الأفضل

أن تبحث بعدها عن مكان جيد للاختباء ، أو حتى تغادر (أثينا) كلها ،

فهؤلاء الذين أضقه النار على فخذك لن يكتفوا بهذا ، وسينبشون

الأرض بحثا عنك ، وعندما يتوصلون إليك ، سيرتفع موضع

الرصاصة كثيرا جدا .

شحب وجه الأصلع ، وهو يقول :

- أشكرك .. أشكرك كثيرا يا سيدي الكريم .

وغادر السيارة في سرعة ، قبل أن يتراجع (أدهم) في رأيه ،
وانطلق يحجل نحو البناية ، وعيناه تبحثان عن لافتة تحمل اسم
الدكتور (يورغو) في حين انطلق (أدهم) بالسيارة ، متجها إلى
الهدف التالي ..

إلى بار (البجعة البيضاء) ..

★ ★ ★

اخترق (كوهين) ثلاث إشارات مرور على الأقل ، وهو ينطلق
بالسيارة بأقصى سرعته ، في محاولة للحاق بالمترو ، قبل أن يبلغ
المحطة التالية ، وعندما توقف أمامها مباشرة ، كان بوق إحدى
دراجات الشرطة الآلية يلاحقه في إصرار ، فقال له (راشيل)
و (بترو) في توتر :

- اذهبوا أنتما ، وسأتولى أنا أمر الشرطي .

غادر الاثنان السيارة في سرعة ، وانطلقا يعدوان نحو المحطة ،
في نفس اللحظة التي ظهر فيها المترو ، وهو يتجه نحو الرصيف ،
فهتفت (راشيل) :

- راقب أنت الأبواب جيدا ، وسأفحص أنا المترو من الداخل ، حتى
نعثر على ذلك الشاب .

قالتها وهي تواصل ركضها نحو المترو ، الذي توقف عند
الرصيف ، وانفتحت أبوابه كلها ، فتوقف (بترو) يراقب الأبواب في
انتباه شديد ، في حين قفزت (راشيل) داخل المترو ، وراحت تتحرك

داخله في سرعة ، وعيناها تدوران في وجوه الحاضرين في اهتمام
متفحص ..

وفجأة ، لمحت ذلك الشاب ، الذي التقط كيس الخطابات ..
لمحته خارج المترو ، يسير في خطوات سريعة ، في طريقه
لمغادرة المحطة ..

ورأت (بترو) يعترض طريقه ، ويستوقفه ، فاندفعت نحو باب
المترو ، وقفزت منه قبل أن يغلق أبوابه ثانية ، وأسرعت إلى حيث
يقف الاثنان ، وسمعت الشاب يقول له (بترو) في عصبية :

- ماذا تريد مني ؟ .. ما شأنك بي ؟

انتزعت مسدسها ، وألصقت فوهته بظهره بفتة ، وهي تقول في
صرامة :

- لا تعترض .

انتفض الشاب في ارتياح ، وهتف :

- ما هذا ؟

أجابته ، وهي تدفعه أمامها في قسوة :

- مسدس مزود بكاتم للصوت ، يمكنني قتلك به في لحظة واحدة ،
دون أن يشعر مخلوق واحد بهذا .

ارتجف وهو يقول في عصبية :

- ماذا تريد مني ؟ .. بل ماذا تريدان ؟

سأله (بترو) في خشونة ، وهو يدفعه خارج المحطة :

- أين الكيس ؟

قال الشاب :

- أي كيس ؟

أجابته (راشيل) :

- كيس الخطابات ، الذى أنقاد إليك الأصلع ، فى المحطة السابقة ، قبل لحظة من إغلاق الأبواب .

قال الشاب متوترا :

- ليس معى .

سأله (بترو) فى غضب :

- ماذا تعنى بأنه ليس معك ؟.. أين ذهب ؟

أجابه الشاب مرتجفا :

- لقد أعطيته لتلك المرأة .

- توقفت (راشيل) فجأة ، وقالت :

- أية امرأة ؟

أجاب بلهجة أقرب إلى الانهيار :

- تلك الشقراء ، التى أخبرونى بأمرها .. لقد التقت بهى فى المترو

كما قالوا ، وسألتنى : هل أحمل خطابات خاصة ، فأعطيتها الكيس ،

وانتقلت إلى عربة أخرى من عربات المترو ، ثم غادرت فى المحطة

التالية مباشرة .. لقد نفذت الأوامر بحذافيرها ، فما الخطأ فى هذا ؟

تبادلت (راشيل) نظرة عصبية متوترة مع (بترو) ، ثم دفعت

الشاب أمامها فى سرعة نحو السيارة ، وهى تسأله فى حدة :

- هل يمكنك تعرّف تلك الشقراء ؟

أجابها متوترا :

- بالتأكيد .

كان (كوهين) يسدّد غرامة السرعة لضابط الشرطة ، الذى ناوله

المخالفة ، وهو يقول فى صرامة :

٤٠

- حذار أن تتجاوز السرعة المقررة مرة أخرى ، فالغرامة

تتضاعف مع المخالفة الثانية .

غمغم (كوهين) :

- بالتأكيد .

وفى نفس اللحظة ، دفعت (راشيل) الشاب داخل السيارة ، وقفز

(بترو) إلى المقعد الآخر ، وهى تقول :

- إلى المحطة التالية يا (كوهين) .. لقد خدعونا مرة ثانية .

لم يكذ (كوهين) يسمع قولها ، حتى ضغط دواسة الوقود ،

وانطلقت بهم السيارة كالصاروخ ، فانسعت عينا الشرطى لحظة فى

دهشة ، قبل أن يقول فى غضب شديد :

- اللعنة !

ثم انطلق خلفهم فى حنق ، فى حين تجاهله (كوهين) تماما ، وهو

يسأل (راشيل) :

- أهذا هو الشاب ؟

أجابته فى توتر :

- نعم .. ولكنهم خدعونا مرة ثانية ، فهناك شقراء حصلت على

الرسائل من الشاب .

سألها (كوهين) :

- وهل تأكدت من أنها واصلت طريقها فى المترو ، ولم تغادره

فى المحطة نفسها ؟

أجابته بسرعة :

- نعم .. لو أننى فى موضع من وضع تلك الخطة المعقدة ، لما

جعلتها تغادر المترو مع الشاب ، حتى لا يتعرفها أو يدرك وجهتها .

عقد (كوهين) حاجبيه ، وهو يقول :

- أظنهم أخبرونا أننا نتعامل مع شخص غير محترف .
أجابته في عصبية :

- من الواضح أنه بدأ يتصرف كمحترف ، أو أنه يمتلك ذكاء جيداً .
كانوا يتبادلون الحديث بالعبرية ، فهتف الشاب :

- من أنتم بالضبط ؟.. وبأية لغة تتحدثون ؟

صاحت به (راشيل) في صرامة ، وهي تضغط فوهة المسدس
بجانبه :

- اصمت .

ابتلع لسانه على الفور ، وتمنى لو أن بوق الشرطة المنطلق خلف
السيارة ، أمكنه اللحاق بها ، حتى ينقذه رجل الشرطة من براثن هؤلاء
المجانين ، ولكن السيارة سبقت رجل الشرطة بمسافة طويلة ، وبلغت
محطة المترو قبله ، فدفعت (راشيل) الشاب خارج السيارة ، وقالت
في صرامة خشنة :

- هيا بنا .

تبعها (بترو) إلى داخل المحطة ، وكان المترو قد وصل بالفعل ،
وبدأ الركاب في مغادرته ، فسألت (راشيل) الشاب :

- هل تراها بين المغادرين ؟

أدار الشاب عينيه في الرءوس الشقراء ، ثم هز رأسه نفياً ، وهو
يقول :

- كلا .

استعرضت (راشيل) معه كل الوجوه ، قبل أن تدفعه داخل المترو ،
قائلة :

- ربما لم تغادر المترو بعد .

أغلق المترو أبوابه ، وانطلق بهما مواصلاً طريقه ، في حين بقي
(بترو) على رصيف المترو ، وتحركت (راشيل) مع الشاب بين
عربات المترو ، وهي تقول في توتر :

- ألم تلمحها قط ؟

أجابها الشاب ، وهو أشد توتراً منها :

- ليس بعد .

وفجأة ، هتف في شيء من الدهشة :

- ها هوذا .

قالت في توتر :

- ها هوذا ؟!.. إننا نتحدث عن امرأة .

اندفع نحو أحد المقاعد ، قائلاً :

- وأنا أتحدث عن الكيس .

حدقت في الكيس الذي يشير إليه لحظة في عصبية ، ورأته يلتقطه
مستطرداً :

- إنه نفس الكيس ، الذي ألقاه إلى الأصلع .

ثم مديده داخله ، وأخرج باروكة شقراء ، تعلق بها بصر (راشيل)

لحظة ، قبل أن تهتف بغضب الدنيا كله :

- اللعنة .

لقد خدعها صاحب الوثائق مرة أخرى ..

وغلى الدم في عروقها ، وهي تلقى الكيس أرضاً ، ثم تدفع الشاب

أمامها إلى عربة المترو الأخيرة ، وهو يقول مذعوراً :

- لقد فعلت كل ما أمرت به .. أليس كذلك ؟ .. أليس كذلك يا سيدتي ؟
ولكنها ألصقت فوهة المسدس بصدرة ، وقالت في حدة :
- اصمت .. قلت لك : اصمت .
وضغطت سبابتها زناد المسدس ..
وصمت الشاب ..
صمت إلى الأبد .

★ ★ ★



ثم مَدَّ يده داخله ، وأخرج باروكة شقراء ، تعلّق بها بصر (راشيل) ..

٤ - خطوة بخطوة ..

أطلق (كوستازا فيروس) ضحكة مجلجلة ، تردد صداها في البار الصغير الذي يمتلكه ، وهو يداعب واحدة من عاملاته ، قائلا :

- إذن فأنت لا تميلين إلى شرب الخمر يا صغيرتي .. رائع .. هذا هو الطراز الذي أميل إلى التعامل معه من النساء ، فشاربات الخمر لا ترقن لي قط .

أجابته الفتاة في دلال ، وهي تلقى شعرها الأسود الطويل خلف رأسها :

- وأنا كذلك يا (زافى) .. لا أميل قط إلى شاربى الخمر ، فهم يفقدون السيطرة على عقولهم وتصرفاتهم ، ويترنحون على نحو مفرز ، وهم يتحدثون بشكل فظ .. والأدهى تلك الرائحة الكريهة ، التى تتصاعد من أفواههم .. يا للهول !.. لست أطيق الاقتراب منهم قط . غمز (كوستا) بعينه ، واهتز جسده البدين كله ، وهو يقول :

- ولكنك تقدمين كنوس الخمر إليهم طوال الليل يا صغيرتي . هزت كتفها الجميلين ، وهي تقول :

- إنه عملى .. أنا مثلك يا (زافى) .. أقدم الخمر ، ولكننى لا أقربها قط .

قهقه (كوستا) ضاحكا مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- هذا لأننا نتمتع بالذكاء يا صغيرتي ، فالحمقى وحدهم من يسمحون للخمر بالسيطرة عليهم ، وإفقادهم وعيهم واتزانهم .. ما من صاحب بار عاقل يقرب الخمر ، مهما كانت مغرياتها ، ومهما ...

قاطعه صوت (أدهم) بغتة ، وهو يقول باليونانية :

- ومهما عانيت من أجلها ، يا شيطان الإنس .

انتفضت الفتاة مذعورة ، والتفتت إليه فى دهشة ، ولم يكذبصرها يقع عليه ، فى معطف المطر الأنيق الذى يرتديه ، وبوسامته المعهودة ، حتى هتفت :

- أوه .. من هذا ؟.. نجم سينمائى جديد .

أما (كوستا) ، فصاح فى حدة :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

اتجه (أدهم) نحوه فى هدوء ، وهو يقول :

- لى أساليبى الخاصة ، وأريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة .

تراجعت الفتاة فى قلق ، دون أن ترفع وجهها عن (أدهم) ، فى

حين قال (كوستا) فى عصبية :

- أنت مفتش شرطة ؟!.. لا .. لست أعتقد أنك كذلك .. أنا أعرف

كل ضباط ومفتشى الشرطة فى دائرتى .. من أنت بالضبط ؟

تجاهل (أدهم) سؤال (كوستا) ، وواصل تحركه نحوه ، وهو

يسأله فى هدوء :

- لماذا طلبت من الأصل إحضار الخطابات ، من صندوق بريد

محطة المترو ؟

هتف (كوستا) :

- لن أجيب أسئلتك .. لا شأن لك بى .. البار مغلق طوال النهار ،

ولا يفتح أبوابه قبل الواحدة ظهرا ، وليس من حقك أن تقتحمه على

هذا النحو .

توقف (أدهم) على قيد متر واحد منه ، تفصلهما طاولة البار ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يضع كفيه في جيبى معطفه ، ويقول في هدوء :

- أنت لم تجب سؤالي بعد .

هتلت الفتاة :

- آه .. تمامًا كما يحدث في السينما .

أما (كوستا) ، فقد ارتجف لحظة ، ثم قال في حدة :

- أنت تقترح بارى عنوة ، والقانون يمنحني الحق في التصدي لك بكل الوسائل الممكنة .

كرز (أدهم) قوله بهدوء أشد :

- ما جوابك يا (كوستا) ؟

وفجأة ، اختطف (كوستا) بندقية ضخمة من أحد أرفف البار ، وهو يصيح في شراسة مباغته :

- عندما تتظاهر بالبطولة في المرة القادمة يا صاح ، لا تضع كفيك في جيبى معطفك ، ولا ...

قبل أن يتم عبارته ، وبسرعة مذهلة ، تكاد تتجاوز سرعة إبصار (كوسا) أخرج (أدهم) كفيه من جيبى معطفه ، وتحرك نحو البار ، وضرب يد (كوستا) في قوة ، فأطاح بالبندقية ، وهو يقول في صرامة :

- لقد طرحت عليك سؤالاً محدوداً .

ثم قبض على قميص الرجل ، وهو يستطرد :

- ولم أحصل على جواب بعد .

كان (كوستا) بديناً بالفعل ، ووزنه يتجاوز المائة بعشرة كيلوجرامات أو يزيد ، وعلى الرغم من هذا فقد انتزع (أدهم) من مكانه بقوة مذهلة ، وحمله عبر طاولة البار ، ثم ألغاه فوق مائدة قريبة ، فتحطمت في عنف ، وصرخت الفتاة مذعورة ، في حين نفض (أدهم) كفيه ، وقال بنفس الهدوء :

- والآن يا (كوستا) .. هل لديك استعداد لتجيب أسئلتى ؟

تأوه (كوستا) لحظة ، ثم صرخ :

- (موستاش) .. (موستاش) .. النجدة .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى وثب شاب هائل الحجم ، ضخم الجثة ، كث الشارب على نحو مذهش ، خارج قبو الخمر ، وهتف بصوت أجش غليظ :

- ماذا هناك يا (زافى) ؟

صرخ (كوستا) ، وهو يشير إلى (أدهم) :

- لقد ضربنى .. اقتله يا (موستاش) .. اقتله .

أطلق الشاب زمجرة وحشية عجيبة ، وهو يستدير نحو (أدهم) ، وقبضته تلوحان في الهواء بشراسة ..

وفي سخرية ، ابتسم (أدهم) ، وقال :

- آه .. هذا هو الثور الهائج ، الذى تستخدمه لإرهاب الزبائن

المشاغبين .

صرخ (كوستا) مرة أخرى :

- اقتله يا (موستاش) .. أريده أن يتمزق إرباً .

وثب (موستاش) فجأة نحو (أدهم) ، وهو يطلق صرخة مخيفة ،

ولكن (أدهم) تفادى انقضاضته فى خفة ، وركله فى مؤخرته بكل قوته ، وهو يقول :

- كل الثيران تتشابه .

ارتطم الشاب ببعض الموائد ، فتحطمت وسقطت معه أرضا ، ولكنه نهض فى سرعة ، وهو يطلق زمجرة أخرى ، وقفز نحو (أدهم) مرة ثانية ، وضم قبضتيه ليكمه بكل قوته ..

وكانت لكمة عنيفة بالفعل ، أصابت (أدهم) فى صدره ، فألقته مترين كاملين إلى الخلف ، ليرتطم بمائدة أخرى ، ويسقط معها ، فاندفع (موستاش) نحوه ، وطوق وسطه بذراعيه فى قوة ، وهو يطلق صرخات وحشية مخيفة ، جعلت الفتاة تصرخ فى ارتياح ، فى حين هتف (كوستا) بأنفاس مبهورة :

- اعتصره يا (موستاش) .. اسحقه .

اعتصر (موستاش) جسد (أدهم) بذراعيه ، فى قوة مدهشة ، إلا أن هذا الأخير هتف :

- فى المرة القادمة حاول أن تحسن أسلوبك .

ثم ركله بكل قوته بين ساقيه ، مستطردا :

- ولا تواجه خصمك وجها لوجه .

تأوه (موستاش) بخوار أشبه بالثور ، وانحنى جسده فى ألم ، وهو يفلت (أدهم) الذى هبط على قدميه ، ثم وثب يركل الشاب فى وجهه بقوة ، متابعا فى سخرية :

- لو كانت هناك مرات قادمة .

سقط (موستاش) فى عنف ، وصرخ فى غضب شديد ، ثم التقط واحدة من زجاجات الخمر وأمسك عنقها ، وحطمها فى ثورة ، هاتفا :

- ساقطع عنقك .. سأذيبك كالنعاج .

وانقض على (أدهم) فى وحشية ، ولكن هذا الأخير وثب إلى الخلف فى مرونة أنيقة ، واعتلى مائدة من موائد البار ، متفاديا انقضاضة (موستاش) ، ثم قفز يركل عنق الزجاجاة من يده بقدمه اليسرى ، التى لم تكد تتراجع ، حتى وثبت اليمنى تضرب وجهه بضربة كالقنبلة ، ارتد لها الشاب فى عنف ، وسقط مع عدد آخر من موائد البار ..

ولكن المائدة التى يقف عليها (أدهم) لم تحتل ..

لقد انزلت بغتة ، عندما عادت قدماه إليها ، وسقطت معه فى عنف شديد ، فارتطم جسده بعدد من المقاعد ، دفعها عنه فى سرعة ، ونهض ، و ...

وفجأة ، طوقه (موستاش) بذراعيه من الخلف ، وهو يصرخ :

- أشكرك على نصيحتك .. لقد استوعبت الدرس هذه المرة .

كان يقبض على وسط (أدهم) وذراعه اليمنى بكل قوته ، فى حين أفلت ذراع (أدهم) اليسرى ، فهوى بها على جسد (موستاش) من الخلف ، وهو يقول :

- مازالت تنقصك دروس كثيرة :

ولكن الشاب احتمل ضربات (أدهم) ، على الرغم من قوتها وعنفها ، وهو يطلق صرخات جنونية ، ويعتصر صدره أكثر وأكثر ، والفتاة تصرخ فى رعب ، و (كوستا) يهتف :

- اقتله .. اقتله ..

وبدأ (أدهم) يشعر بالألم بالفعل ، وبأنفاسه تضيق وتضيق ، تحت قوة ذراعى (موستاش) ، فهتف فجأة :

- فليكن أيها الثور .. سأنترع لقبك إلى الأبد (*) .

وأدار يده اليسرى خلف ظهره ، وأمسك شارب (موستاش) في قوة ، ثم جذبه في عنف ، وهو يميل بجسده إلى الأمام دفعة واحدة .. وأطلق (موستاش) صرخة ألم هائلة ، و (أدهم) يحمله من شارب الكث ، ويجذبه عبر ظهره ، ليجبره على إفلات ذراعيه ، ثم يضرب به الأرض بكل ما يملك من قوة ..

وفي هذه المرة ، فقد الشاب وعيه بالفعل ، وسالت الدماء من منابت شارب الضخم ، وران صمت رهيب مخيف على البار كله ، و (أدهم) يعتدل ، ويعذل من هندامه في هدوء ، ثم يصلف شعره بأصابعه ، حتى قطعت الفتاة ذلك الصمت ، هاتفة في انبهار كامل :
- يا للعجب !

أما (كوستا) فقد ارتجف جسده بأكمله ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، أمام نظرة (أدهم) الصارمة ، وصوته الحازم ، وهو يقول :

- أنت مستعد لتجيب أسئلتي الآن ؟

وكان من المستحيل أن يحصل على جواب بالرفض ..

★ ★ ★

لقد فشلنا ...

نطقها (راشيل) في غضب شديد ، وهي تواجه أفراد فريقها الثلاثة ، ثم استطردت في حلق ساخط :
- أحد الهواة نجح في خداعنا ، وفقدنا أثر الأصلع ، ثم ذلك الذي أفقدك الوعي يا (ناحوم) .

(*) كلمة (موستاش) باللغة الأجنبية تعني الشارب .

غمغم (ناحوم) في توتر :

- لا يوجد دليل واحد على أنه رجل مخبرات منافس .

صاحت به :

- ومن يكون إذن ؟! .. شهم يوناني ، رأيك تطلق النار على ذلك الأصلع ، فتدخل لاتباقه ؟! .. هل تتصور أن مغامر عادي ، يمكنه أن يكيل لك مثل هذه اللكمات العنيفة ، إلى الحد الذي تفقد معه وعيك ؟!

تمتم في عصبية :

- لقد باغتني .

صاحت به :

- بل هزمك .. اعترف بالحقيقة ، أنا أكره الدوران حول الأمور .

ثم فركت كفيها في توتر ، وهي تلتقط سيجارتها ، مستطردة :

- اعترف كما اعترفت أنا بفشلنا في هذه الجولة .. لقد أخطأنا

التصرف ولا شك ، ولكن هذا لا يعني أننا خسرنا المباراة كلها .

وأشعلت سيجارتها بأصابع مرتجفة ، من فرط الانفعال ، ونفثت

بخانها في قوة وعصبية ، قبل أن تتابع :

- فليكن .. سنضع خطة جديدة ، ونتحرك بأسلوب مختلف .. لست

أرى فائدة لتحركنا كوحدة واحدة .. إننا أربعة أفراد ، فلم لانعمل

باستغلال هذا العدد كله ، بأفضل وسيلة ممكنة ؟!

سألها (كوهين) :

- أليس لديك خطة محدودة ؟

أجابت بسرعة :

- نعم .. لقد درست الأمر ثانية ، ووجدت أننا نسير في طريق

طويل ، يزخر بالعقبات والموانع ، عندما نتعقب حامل الوثائق ، على الرغم من أننا نستطيع التوصل إلى كل ما نريد بوسيلة أخرى .
سأل (بترو) ، وهو يسترخى في مقعده :

- مثل ماذا ؟

راحت تقطع الحجرة في خطوات دائرية واسعة ، وهي تقول :
- ملخص الوثائق ، الذي تم توزيعه على السفارات ، مكتوب باللغة الإنجليزية . ومادامت الوثائق الأصلية مكتوبة بالعبرية ، فهذا يعنى أن أحدهم قام بترجمتها ، من العبرية إلى الإنجليزية ، ولما كانت اللغة العبرية غير شائعة أو مستخدمة في أية مجتمعات ، بخلاف (إسرائيل) ، فالاهتمام بدراساتها يقتصر - في المعتاد - على المهتمين باللغات الشرقية .

غمغم (بترو) :

- وهل نضع قائمة بأسمائهم ، ونبدأ في البحث عنهم ، واحدا بعد الآخر ؟

هزت رأسها نفيا ، وقالت :

- لا وقت لهذا .. سنكتفى بنشر إعلان صغير بالعبرية ، في أوسع الصحف انتشارا ، نطلب فيه مترجما من العبرية إلى الإنجليزية ، للمعاونة في بعض الأبحاث العلمية ، مقابل مكافأة ضخمة ومغرية . وثق بأن كل من يجيدون العبرية في (اليونان) كلها سيهرعون إلينا إثر النشر .

وأشارت إلى (كوهين) ، مستطردة بلهجة آمرة :

- وهذه مهمتك .. ستتابع هذا الأمر ، وتلتقى بكل من يتقدمون ،

وعليك أن تستدرجهم في الحديث ، حتى تكشف من منهم ترجم وثائقنا .

ثم التفتت إلى (ناحوم) ، مضيفة :

- أما أنت ، فعليك أن تبحث في (أثينا) كلها عن مصور محترف ، يمتلك الأدوات الكافية ، والبراعة اللازمة لتكبير وطبع (الميكرو فيلم) ، فليس من السهل أن يستطيع أى مصور عادى هذا ، ولا شك في أنك ستجد أن الشخص الذى طبع صور وثائقنا مصور شهير إلى حد ما .

سألها (بترو) :

- وماذا عنى ؟

أجابته في حزم :

- ستشارك معى في مراقبة الأمريكين .

قال في دهشة ، شاركة فيها زميلاه :

- ماذا ؟

أكملت في سرعة :

- مادامت خطابات التفاوض قد بلغت حامل الوثائق ، فلا شك عندي في أن الأمريكين سيتقدمون بالعرض الأفضل ؛ إذ أنهم لن يضيعوا أبدا فرصة الحصول على وثائقنا البالغة السرية ، ولن يقل عرضهم عن رقم يسيل له اللعاب ، من ستة أصفار ، وهذا يعنى أن حامل الوثائق سيجرى اتصالاته معهم ، وعندما تنتقل المفاوضات إلى مرحلة اللقاء ، ستكون خلف الأمريكين .

هتف (ناحوم) :

- أنت عبقرية بحق .

غمغت (راشيل) فى هلع ، وهى تتطلع إلى الصورة على شاشة الكمبيوتر :

- يا للشيطان !.. إنه هو إذن .

وأطفأت سيجارتها فى عصبية شديدة ، مستطردة :

- فى هذه الحالة ، سأضيف إلى العملية مهمة جديدة .. مهمة قد تكون أكثر خطورة من المهمة الرئيسية ، فنحن لن نكتفى بالحصول على الوثائق ، وتعقب خط سيرها فحسب ، بل سيكون علينا أيضا أن نستنفر كل طاقتنا للتخلص من هذا الرجل .

قالتها وسبابتها تشير إلى الصورة ، على شاشة الكمبيوتر ..

صورة (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★



www.dvd4arab.com

عقدت حاجبها الجميلين ، وهى تقول :

- لا تحاول تملقنى يا (ناحوم) ، فما زال لدى حديث معك .

قال فى خدة :

- أى حديث ؟

التقطت حقيبتها ، وأخرجت منها جهاز كمبيوتر شخصى صغيرا ، وهى تجيبه فى صرامة :

- حديث حول ذلك الشخص الذى هاجمك فى محطة المترو .. تقول : أنت رأيت وجهه .. أليس كذلك ؟

أجاب فى حذر :

- لقد شاهدته للحظة واحدة فقط .

ضغطت أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول فى حزم :

- صف لى ما تذكره منه .

راح يصف لها ملامح (أدهم) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر ، فتكون الصورة جزءا بعد جزء ، من خلال برنامج خاص ، حتى أضافت إليها (راشيل) العينين ، فهتف (ناحوم) :

- نعم .. إنه هو .. هذا الجهاز رائع بحق .

اتسعت عينا (راشيل) فى ارتياح ، وهى تحذى فى الصورة ، التى كونها جهاز الكمبيوتر ، وسألته :

- أنت واثق ؟

أجابها فى حماس :

- تمام الثقة .. إنها صورة طبق الأصل له ، وخاصة لو أضفنا

بعض الشيب عند الفودين .

٥ - القفزة ..

جرع (كوستا) كأسه دفعة واحدة ، وارتجفت أصابعه وهو يعيده إلى المنضدة ، في حين ازداد وجهه المكتظ احتقاناً ، واختنق صوته في حلقه ، مع قوله :

- اسمه (بابيوس) .. ولست أعرف باقى الاسم .. إنه زبون هنا منذ شهر أو شهرين ، ولقد طلب منى أن أبحث له عن شخص يصلح لمثل هذه المهمة ، فاتلفت مع الأصلع .. وهذا كل ما أعرفه .
سأله (أدهم) :

- وهل من عادتك أن تساعد زبائنك فيما يطلبونه ، أو يعتزمون فعله ، مهما كانت خطورته ؟

قلب (كوستا) كفيه ، وازدرد لعابه متمتماً :
- إنها ضرورات العمل .

وصب لنفسه كأساً أخرى ، و (أدهم) يسأله :
- وكيف يمكننى الوصول إلى (بابيوس) هذا ؟
هز (كوستا) رأسه ، قائلاً :
- لست أدري .

انعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، فاستدرك اليونانى في سرعة :
- أقسم لك إننى لا أعرف عنه أكثر من اسمه .
قال (أدهم) :

- كيف تعاونت معه إذن ؟

أجابه بكلمات مرتجفة :

- زبائننا يبغيضون الأسئلة الكثيرة ، ولا يميلون إلى الثثرة ،
إلا عندما تفقدهم الخمر أترانهم .

تراجع (أدهم) بمقعده ، وقال :

- ياله من قول !.. هل تتوقع منى أن أتقدم لك بالشكر الآن ، ثم أغادر البار مبتسماً ؟

قال (كوستا) في خوف :

وما الذى يمكننى فعله ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

- هناك حتماً وسيلة للاتصال .

ازدرد (كوستا) لعابه في توتر شديد ، وانخفض صوته بشدة ،
وهو يتلفت حوله ، ويهمس :

- بالطبع ، ولكن ..

قاطعه (أدهم) في غضب :

- ولكن ماذا ؟

أجابه (كوستا) في سرعة :

- ولكنك ستضطر للانتظار حتى التاسعة مساءً ، عندما يأتى همزة

الوصل بينى وبين (بابيوس) .

قال (أدهم) في صرامة :

- ألم تقل : إنه زبون هنا ؟

لوح (كوستا) بكفيه ، هاتفاً :

- ليس فى الوقت الحالى .. لقد انقطع عن المجيء منذ ما يقرب

من أسبوع ، ولكنه يتصل بي عن طريق (زوايد) .. أقسم لك إنها الحقيقة يا سيدى .. أقسم لك .. أقسم لك .

رمقه (أدهم) بنظرة طويلة صارمة ، قبل أن ينهض قائلاً :
- أتعشم أن تكون صادقاً يا (كوستا) ، وإلا فسأعود إليك مرة أخرى ، وعندئذ ..

بتر عبارته ليطلق سبائته وإبهامه ، فانتفض جسد (كوستا) مع الطرقة ، وشهقت الفتاة ، فى حين اتجه (أدهم) إلى الباب ، قائلاً :
- إلى اللقاء فى التاسعة يا (كوستا) .

هتفت الفتاة :
- سننتظرك .

نطقها فى لهفة عجيبة ، جعلت (أدهم) يستدير ، ويلقى نظرة صامتة عليها ، فارتبكت ، وتمتمت مبتسمة :
- أعنى أننا سنتعاون معك .

تطلع إليها (أدهم) لحظة أخرى ، ثم واصل طريقه ، وغادر البار فى هدوء ، ولم يكذب على بابته خلفه ، حتى قال (كوستا) فى حدة :
- سننتظرك؟! .. أهذا كل ما يمكنك قوله ؟

أجابته الفتاة فى عصبية :
- لقد نطقها بتلقائية ، دون أن أقصد هذا .

ثم خفضت وجهها ، واختلست نظرة سريعة إلى الباب ، حيث كان (أدهم) يقف ، وهمست :

- فهو وسيم .. وسيم للغاية .

★ ★ ★

لم يكذب (أدهم) يصل إلى المنزل الآمن (*) ، فى قلب (أثينا) ، حتى خلع معطف المطر الذى يرتديه ، وعلقه على مشجب مجاور للباب ، ثم التفت إلى شابيين أنيقين ، يجلسان فى الردهة ، وسأل أحدهما فى اهتمام :

- هل أدبت مهمتك جيداً يا (مجدى) ؟

أجابه الشاب فى احترام :

- نعم يا سيادة العقيد .. لقد تعقبت تلك الشقراء ، التى ناولها الشاب الخطابات ، منذ رأيتها تدسها فى حقيبة يدها ، ولكنها خلعت شعرها الأشقر المستعار ، وارتدت منظاراً شمسياً ، ثم خرجت من المحطة ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة ، فتتبعها فى سيارة أخرى ، حتى بلغت منزلاً قديماً ، فى أطراف المدينة ، فغادرت السيارة ، ودخلت إليه ، وهما هو ذا عنوانه :
سأله (أدهم) ، وهو يلتقط العنوان :

- هل تقيم هناك ؟

أجابه (مجدى) :

- نعم يا سيادة العقيد .. اسمها (أنجيل بابانيو) ، وهى ممثلة سابقة ، وتقيم فى الشقة رقم سبعة ، بالطابق الثانى من المبنى ، وليست لديها وظيفة محدودة فى الوقت الحاضر .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- هل تركت شخصاً لمراقبتها ؟

(★) المنزل الآمن : مصطلح يطلق على مكان يتم اختياره بعناية ، بحيث يمكنه توفير الأمان الكامل لرجال المخابرات ، فى أثناء عملياتهم السرية .

أجابه بسرعة :

- بالطبع يا سيدى ، إنه لن يغادر موقعه قط ، حتى نتصل به .
أوما (أدهم) برأسه ، متمثما :

- عظيم .. الآن لو اتصل بها أى مخلوق ، سنتعقبه على الفور .
ثم التفت إلى الشاب الثانى ، قائلا :

وأنت يا (أنور) .. هل جمعت المعلومات اللازمة ، عن فريق
الإسرائيليين ؟

أوما (أنور) برأسه إيجابيا ، وقال :

- نعم يا سيادة العقيد .. لقد التقطت صورهم جميعا ، عند محطة
المترو ، وحصلت على كل ما تحويه ملفاتنا عنهم ، فالمرأة هي
(راشيل جولدمان) .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

- آه .. (راشيل جولدمان) .. نقيب (الموساد) الفاتنة ، وبطلة
كمال الأجسام .. من يجهلها ؟ .. من الواضح أن الإسرائيليين قد دخلوا
اللعبة بكل ثقلهم ، ما دامت (راشيل) على رأس الفريق .

وهز رأسه لحظة ، ثم واصل :

- فليكن .. أكمل ما لديك يا (أنور) .

تابع الشاب فى اهتمام ، ونقل إليه كل ما تم جمعه عن الفريق
الإسرائيلى الصغير ، و (أدهم) يستمع إليه فى صمت ، حتى انتهى
الشاب من حديثه ، فقال :

- دخول الإسرائيليين إلى اللعبة يعنى أننا نسير فى الطريق
الصحيح ، وأن الوثائق التى نبحث عنها صحيحة تماما ، ولكن

العجيب أن الشخص الذى حصل عليها يتصرف بذكاء شديد ، وحذر
مبالغ ، ويجيد قواعد اللعبة إلى حد كبير ، بالنسبة للهواة ، ولكن
حتى الذكاء والحذر لن يعفياه من الوقوع فى أخطاء كبيرة دون أن
يدرى ، وعندما يقع فى أول خطأ ، سيتمكن الإسرائيليون من التوصل
إليه ، وكذلك نحن ، ولكن السباق يحتم علينا أن نبلغه قبلهم .. على
الأقل حتى نجده على قيد الحياة .. وعلى أية حال .. لقد وصلته
خطابات التفاوض الآن ، وأصبح يمتلك أحد خيوط اللعبة ، وعليه أن
يخطو خطواته الأولى داخلها .

سأله (مجدى) :

- وهل تعتقد أنه سيفعل ؟

أجابه (أدهم) :

- نعم .. أعتقد هذا .. أعتقد أنه سيتحرك فور حصوله على
الخطابات .

ثم نهض ليلتقط معطفه مرة ثانية ، وهو يستطرد :

- وهذا يعنى أنه ليس من حقنا أن نحصل على قدر طويل من
الراحة ، فالعجلة تسير فى سرعة ، ومن يصل إلى خط النهاية أولا ،
سيربح السباق ، ويحصل الجوائز كلها .

سأله أحد الشابين ، وهما ينهضان فى احترام :

- هل ستسند إلينا أية أعمال أخرى يا سيادة العقيد ؟

أجابهما وهو يرتدى معطفه ، ويهم بالخروج :

- ليس الآن .. سيسير كل شىء طبقا للحظة المتفق عليها ، حتى
تصلكم منى أوامر أخرى .

قالها ، وغادر المنزل إلى سيارته ، وانطلق بها نحو العنوان ، الذي أعطاه إياه (مجدى) ، وراحت أفكاره تسبح حول تلك القضية الجديدة ، ويعيد دراسة الموقف كله مرات ومرات ، ثم وجد نفسه يقول :

- أعتقد أنها ليست قضية سهلة يا عزيزتى .

لم يكذب ينطق العبارة ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، اعتصرت قلبه بقبضة كالثلج ..

لقد تحدثت كما لو أن (منى) تجلس إلى جواره ، كما اعتاد فى مغامرات سابقة عديدة ..

ولم يدرك لماذا حدث هذا ؟!..

لماذا نسي فجأة كل ما أصابها ، وما يمنعها من العمل معه ، وتصور فجأة أنها تجلس إلى جواره كالمعتاد ؟...!

لماذا ؟!

أهو قلبه ، الذى يحلم بعودتها إليه ، أم هى مشاعره التى تفتقر إليها بشدة ، وانفعالاته التى تشاق إلى كل لحظة منها ؟!..

أم كل هذا فى آن واحد ؟

وتتهدد (أدهم) فى عمق ..

تتهدد وهو يسترجع بعض مغامراتهما معاً ، قبل أن يغفم :

- كم أشتاق إليك يا (منى) .

نفض رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول السيطرة على مشاعره ، وإفراغ عقله من كل الانفعالات ، حتى يمكنه التركيز على قضية الوثائق ، و...!

«يا للشيطان !.. إنه هو...» ..

التفت بسرعة إلى مصدر الصوت ، الذى أتى من يساره ، ووقعت عيناه مباشرة على عيني (راشيل جولدمان) ، التى تجلس فى سيارة تجاور سيارته ، يقودها (بترو دينوفسكى) ، وسمعها تصرخ ، وهى تتترع مسدسها فى سرعة :

- حافظ على سرعتك يا (بترو) .

وصوبت فوهة مسدسها إلى رأس (أدهم) ، مستطردة :

- يا لها من مصادفة !

وقبل أن تتم عبارتها ، كانت سبابتها تعتصر زناد مسدسها ، و... وانطلقت الرصاصة ..

★ ★ ★

انهمك (بروس ماكنيللى) ، الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية فى (واشنطن) ، فى مراجعة بعض تقارير الاستخبارات السرية ، داخل حجرة مكتبه بالسفارة ، واستغرقه تقرير حديث ، حول السفارة الروسية ، فانشغل به عن كل ما حوله ، حتى اقتحم (أرنولد وايز) الحجرة بغتة ، وهو يهتف :

- حدث الاتصال .

أخفى (بروس) التقرير بسرعة ، وهو يقول فى حدة :

- كيف تقتحم حجرتى على هذا النحو ؟

أجابه (أرنولد) ، فى حماس :

- لم أستطع الانتظار ، فلم أكد أقرأ رسالة (الفاكس) ، حتى هزعت إليك على الفور .

فتح (بروس) درج مكتبه ، وألقى داخله تقاريره ، وهو يسأله :
- أى (فاكس) ؟

أجابه (أرنولد) ، وهو يلوح له بورقة فى يده :

- هذا .. لقد وصل الآن فقط .. من الواضح أن الرجل قد تسلم رسالتنا ، وقبل المبلغ الذى عرضناه عليه ، فقد حدد موعدا لمقابلتنا ، وتسليمنا الوثائق التى لديه .

اختطف منه (بروس) الورقة ، وهو يهتف :
- حقاً ؟!

وانتهم كنمات الرسالة فى سرعة ، قبل أن يستطرد :

- من الواضح أن الرجل يكتسب الخبرات بسرعة ، فلم يختار مكانا مهجورا ، يسهل علينا اغتياله فيه ، وانما حدد لنا موعدا فى العاشرة مساء ، فى محطة القطار ، حيث يمكنه أن يشعر بالأمان . وسط رواد المحطة والمسافرين .

ابتسم (أرنولد) ، وهو يقول :

- لست أدري سر غرامه بالمحطات ، ولكن هذا شأنه .. سنحمل إليه المليون دولار فى حقيبة جلدية سوداء كما طلب ، ونسلمه إياها ، لنحصل على تلك الوثائق .

هز (بروس) رأسه ، قبل أن يقول :

- كم أتوق لمعرفة ما تحويه تلك الوثائق ؛ فالمخلص الذى أرسله الرجل فى البداية لم يحو سوى رموز الموضوعات فحسب ، وهذا لا يعنى شيئا .

قال (أرنولد) :

- هذا ذكاء منه ، فلن يفسد بضاعته دفعة واحدة .. ولكن المخلص يشف عن أسرار بالغة الخطورة بالنسبة للإسرائيليين ، وبالذات فيما يخص برنامجهم النووى ، الذى يبدو أنهم يخفون الكثير عنه .
أوما (بروس) برأسه ، وقال :

- لست أشك لحظة ، فى أنهم سيقاثلون كالوحوش ، لاستعادة هذه الوثائق ، ومنعنا من الحصول عليها .

ضحك (أرنولد) فى استخفاف ، قبل أن يقول :

- دعهم يحاولون ، حتى يدركوا جيدا الفرق بين مخابراتهم ومخابراتنا ، فيبدو أنهم نسوا هذا أو يتناسونه .

تراجع (بروس) بمقعده ، وتأرجح به فى استرخاء ، وهو يقول :
- إنهم ليسوا أغبياء فى الواقع ، فالتصرف السريع الذى أقدموا عليه ، فور توزيع ملخص الوثائق على السفارات ، يشف عن ذكاء واضح .

مط (أرنولد) شففيه فى ازدياء ، وهو يقول :

- أتقصد توزيعهم لعدد من الملخصات لوثائق زائفة أخرى ؟! ..
لم يبد لى هذا بارعا للغاية كما تتصور ، فهى لعبة مفضوحة ، ولا يمكنها أن تربكنا .

أشار (بروس) بسبابته ، قائلا :

- هذا لأننا والمصريين خير من نحفظ أساليبهم ، ولكن هذا الإجراء كفىل بإرباك الآخرين تماما ، أو بمنحهم انطباعا زائفا بأن الأمر كله مجرد عبث صبيانى ، لا يستحق منهم أدنى اهتمام .. وهذا ما حدث بالفعل ، فالبريطانيون والروس والصينيون تجاهلوا هذه الوثائق تماما ، وأرسلوا حاملها يعتذرون عن التفاوض بشأنها ، كما أبلغنا جواسيسنا فى سفاراتهم المختلفة .

لم يرق هذا الحديث لـ (أرنوك) ، فلوح بكفه ، متمتما :

- ما زلت أراها لعبة ساذجة .

ابتسم (بروس) ، وهو يقول :

- يمكنك أن تراها كما يحلو لك .. المهم أن تستعد للمقابلة الليلية ،
في تمام العاشرة .

نهض (أرنوك) قائلاً :

- اطمئن يا صديقي .. لن تفوتني مثل هذه المقابلة أبداً .

قالها ، وصوته يحمل رنة عجيبة ..

وغامضة ..

★ ★ ★

كل من يتعامل مع (أدهم صبرى) للمرة الأولى ، يصاب بدهشة
بالغة ، تقرب من حد الذهول ، عندما يرى سرعة استجابته ، وقدرته
النادرة على اتخاذ القرار الصحيح ، ووضعه موضع التنفيذ . قبل أن
يستوعب خصمه طبيعة الموقف بالضبط ..

وعندما صوبت (راشيل جولدمان) فوهة مسدسها إلى (أدهم) ،
كانت واثقة تمام الثقة من قدرتها على إصابة الهدف ، من هذه
المسافة القصيرة ، لذا فقد اعتصرت زناد المسدس في قوة ، وهي
تصرخ :

- مت يا (أدهم صبرى) .. مت .

ولكن (أدهم) ضغط فرامل سيارته في اللحظة المناسبة ، فور
رؤيته لفوهة المسدس ، فانخفضت سرعة السيارة بغتة ، وتجاوزتها
سيارة (راشيل) بعدة أمتار ، فطاشت رصاصتها في الهواء ..
واتسعت عينا (راشيل) لحظة في دهشة ، قبل أن تهتف :

- اخفض سرعتك يا (بترو) .. بسرعة .

ضغط (بترو) دواسة الفرامل بدوره ، واستعدت هي لإطلاق النار
على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير انطلق بسيارته خلف سيارتهما
مباشرة ، على نحو أعجزها عن التصويب عليه ، فحلت حزام
المقعد ، وقفزت إلى الأريكة الخلفية ، وهي تقول :

- حافظ على سرعتك يا (بترو) ، حتى يمكنني التصويب .

وأطلقت النار بلا تردد على زجاج سيارتها الخلفي ، فاخترقته
الرصاصات ، متجهة نحو سيارة (أدهم) ، الذي انحرف إلى اليسار
في سرعة ، ورأى الرصاصات تخترق زجاج سيارته الأمامي ، إلى
يمينه مباشرة ، وتستقر في المقعد المجاور له ، فغمغم :

- من الواضح أنك تصرين على قتلى بشدة يا (راشيل) .

وأدار مقود سيارته إلى اليسار أكثر ، في حركة مباغتة ، في نفس
اللحظة التي صوبت فيها (راشيل) مسدسها إليه ، وانطلق في شارع
جانبي عريض ، فصرخت (راشيل) :

- لا تسمح له بالإفلات يا (بترو) .

أوقف (بترو) السيارة في حدة ، جعلت إطاراتها تطلق صرخة
قوية ، مع احتكاكها بالطريق ، وعاد أدراجة في سرعة كبيرة ، جعلته
يصدم سيارة أخرى ، قبل أن ينطلق مطارداً (أدهم) ، عبر شوارع
(أثينا) ..

وفى توتر شديد ، قالت (راشيل) :

- لاتجعله يفلت منك أبداً .. لا تضع هذه الفرصة النادرة .. لقد
ألقاه القدر في طريقنا بمصادفة مدهشة ، لن تتكرر أبداً .

ضغط (بتر) دؤاسة الوقود بكل قوته ، ولكن (أدهم) انحرف بسيارته في خفة ، وهو يسيطر عليها في قوة ، وابتسم في سخرية ، مغمغماً :

- حاولي يا عزيزتي (راشيل) ، ولكن لا تنسي أنني أحفظ شوارع (أثينا) عن ظهر قلب ، ففي نهاية هذا الطريق سنجد الميدان الرئيسي ، والنافورة في منتصفه ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يخرج بالسيارة إلى الميدان ، وانعقد حاجباه في شدة ، عندما رأى عشرات من معدات التصوير تعترض طريقه ، في قلب الميدان . فضغط فرامل السيارة في قوة ، وهو يميل بها لتفادي الاصطدام ، ولكنها انحرفت في عنف نحو النافورة ، وتقاذت طفلة صغيرة ، ثم ارتطمت بالحاجز ، ومالت على جانبها في قوة ، ثم انقلبت في حركة مباغتة ، وزحفت على جانبها لعدة أمتار ، وسط صراخ المارة وشيقاتهم . قبل أن تتوقف وإطاراتها العلوية تدور في قوة .. وحل (أدهم) حزام مقعده في صعوبة ، ودوار عنيف يكتنف رأسه ، ويسيطر على وعيه شبه المتلاشي ، ودفع جسده ليغادر السيارة من نافذتها العلوية ، ورأى عدد من المارة يعدون نحوه ، وبينهم واحدة تحمل مسدساً ، وتهتف :

- رباه !.. إنه هو .

وكان هذا آخر ما سمعه ، قبل أن يسقط فاقد الوعي وسط الميدان . وأمام حاملة المسدس مباشرة .

★ ★ ★



ودفع جسده ليغادر السيارة من نافذتها العلوية ، ورأى عدد من المارة يعدون

٦ - المفاجأة ..

عقد صاحب أكبر محل للتصوير الضوئي في (أثينا) حاجبيه ، وهو يفكر في عمق ، قبل أن يرفع عينيه إلى (ناحوم) قائلا :
- تريد شخصا يمكنه التعامل مع (الميكرو فيلم) ؟! .. نعم ..
أعتقد أن لدى ضالتك .

هتف (ناحوم) في لهجة :

- حقا ؟!

أوما الرجل برأسه مبتسما ، وأجاب :

- العم (كرياكوس) .

سألته (ناحوم) :

- من العم (كرياكوس) هذا ؟ .. وأين أجده ؟

أجابه الرجل ، في لهجة تحمل نبرة فخر :

- العم (كرياكوس) هو أقدم مصور في (أثينا) كلها ، وهو

مرجعنا ، الذي نلجأ إليه ، كلما واجهتنا مشكلة في عالم التصوير ..

هل تعلم .. لقد واجهنا يوما أزمة في أفلام التصوير الخام ، فما كان

من العم (كرياكوس) إلا أنه أحضر بعض بكرات أفلام التصوير

السينمائي ، وجمع علب الأفلام القديمة ، وملأها بأجزاء من أفلام

السينما الخام .. كل متر ونصف في علبة واحدة .. إنه عبقري ..

وفي مرة تالية ..

قاطعه (ناحوم) في ضجر :

- وما عنوان العم (كرياكوس) هذا ؟

قال الرجل في سرعة :

- هناك ، في نهاية طريق (زيوس) (*) .. سأل أي مخلوق عن

متجر العم (كرياكوس) لمستلزمات التصوير ، وسيرشدك إليه على

الفور .

قال (ناحوم) ، وهو يغادر المحل بسرعة :

- أشكرك .. أشكرك كثيرا .

وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها يعبر شوارع (أثينا) ، حتى بلغ

طريق (زيوس) ، وقطعه حتى نهايته ، وهناك سأل أحد المارة عن

متجر العم (كرياكوس) ، فأرشده إليه على الفور ..

كان متجرا عتيقا ، من الطراز القديم ، حتى في واجهته وطلاته ،

ويحمل اسم (تصوير الأوليمب) (* *) ، ولم يكدر (ناحوم)

يدخله ، حتى لحيل إليه أنه قد انتقل نصف قرن من الزمان إلى الخلف ،

فكل ما في المتجر يعود إلى خمسين عاما مضت على الأقل ، فيما

عدا ذلك الشاب ، الذي استقبله بابتسامة ودود ، وهو يسأله :

- ما الخدمة التي يمكنني تقديمها لك يا سيدي ؟

سأله (ناحوم) مباشرة :

- أين العم (كرياكوس) ؟

(*) زيوس : في الأساطير اليونانية يعتبرون (زيوس) هو رب آرباب

الآلهة ، وابن (خرونوس) إله الزمن ، من (ريا) ، وقد تزوج أخته (هيرا) ،

وأنجب منها اثنا ، وهو كمعظم آرباب وأوثان الأساطير اليونانية ، قاسد ومنحرف

بالسليقة .

(* *) جبال الأوليمب : جبل أسطوري ، في الأساطير اليونانية القديمة ، كان

يعيش على قمته كل آلهة اليونان ، حتى يمكنهم مراقبة البشر ، ومتابعة أعمالهم .

لم تتغير ابتسامة الشاب ، وهو يجيب :

- العم (كرياكوس) يستمتع بنوم القيلولة الآن ، وهو يستيقظ عادة في السادسة ، ولو أنك تطلب شيئاً عادياً ، فيمكننى تقديمه لك بنفسى ، أما لو كان مطلبك خاصاً ومحدوداً ، فالأفضل أن تعود فى الـ ...

قاطعه (ناحوم) فى غلظة :

- ليس لدى وقت لهذا .. اذهب لتوقظ العم (كرياكوس) ، وأخبره أنتى أريده فى أمر عاجل .

لم ينجح الشاب فى الحفاظ على ابتسامته هذه المرة ، وهو يقول :
- معذرة يا سيدى ، ولكن جدى شيخ طاعن فى السن ، ولو لم يستمتع بفترة راحته هذه ، فسيعجز عن ...

قاطعه (ناحوم) ، فى حدة :

- قلت لك : ليس لدى وقت لهذا العبث .

تراجع الشاب ، هاتفاً ، فى دهشة :

- سيدى .

ولكن التصرف الذى قام به (ناحوم) ، فى اللحظة التالية ، جعل الشاب يرتجف من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، فقد استدار الإسرائيلى فى حدة ، وضرب باب المتجر بقدمه فأغلقه ، ثم انتزع مسدسه ، وأصقه برأس الشاب ، قائلاً فى وحشية مخيفة :

- هيا .. سأذهب لأوقظه بنفسى .

سار الشاب أمامه مرتجفاً ، وهو يقول :

- رويدك يا سيدى .. ليس لدينا الكثير من المال لتأخذه ، وجدى

شيخ مسكين ، ستفزع روية مسدسك ، إلى الحد الكافى لقتله ؛ فقلبه ضعيف ، و ...

قاطعه (ناحوم) فى غلظة ، وهو يدفعه أمامه :

- اصمت .

كان العم (كرياكوس) رجلاً نحيلًا ، أشيب الشعر ، كث اللحية والشارب ، يرقد على فراش عتيق ، فى حجرة واسعة نظيفة ، ملحقة بالمتجر ، ولم يكد (ناحوم) يفتحها مع الشاب ، حتى فتح العم (كرياكوس) عينيه ، ومذ يده يلتقط منظاره الطبى السميك ، وهو يقول فى انزعاج :

- ماذا هناك ؟ .. ماذا حدث ؟

أجابه الشاب بصوت مرتجف :

- هذا الرجل يريدك يا جدى .

جلس (كرياكوس) على طرف فراشه ، وحدث لحظة فى المسدس ، الذى يصوبه إليه (ناحوم) ، قبل أن يقول فى دهشة :

- وما حاجته إلى المسدس ؟

قال (ناحوم) فى خشونة :

- لدى سؤال محدود لك ، وأريد جواباً مباشراً وسريفاً .. هل

يمكنك تكبير وطبع (الميكروفيلم) ؟

أوماً الشيخ برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. يمكننى هذا .

سأله (ناحوم) :

- ومتى فعلته آخر مرة ؟

لَوْحَ بِسْبَابَتِهِ ، مجيبًا :

- منذ أقل من أسبوع واحد .. لقد أحضر لي أحد الأشخاص (ميكرو فيلم) ، وطلب منى تكبيره وطبعه ، ولقد استغرق هذا اليوم بأكمله ، على الرغم من أن (الميكرو فيلم) لم يكن يحوى سوى صور لبعض الوثائق الأجنبية .

سأله (ناحوم) فى صرامة :

- وهل قرأت هذه الوثائق ؟

هز (كريكوس) رأسه نفيا ، وأجاب :

- حتى صاحب (الميكرو فيلم) ، لم يكن بإمكانه هذا ، فقد كانت الوثائق كلها بلغة شرقية .. العبرية حسبما أعتقد ، أو ...

ثم بتر عبارته بفتة ، وعاد يحدق فى وجه (ناحوم) ، وملامحه المختلطة ، وأنه المعقوف ، قبل أن يستطرد :

- آه .. إنها العبرية بالتأكيد .

انعقد حاجبا (ناحوم) فى توتر ، وقال للرجل فى غلظة :

- وأين هذا (الميكرو فيلم) ؟

هز الشيخ كتفيه ، وأجاب :

- أخذه صاحبه ، مع صور الوثائق بالطبع .

سأل (ناحوم) :

- وماذا عن تجارب الطبع ؟

ابتسم الشيخ ، وهو يقول فى شيء من الزهو :

- إننى أعمل فى هذا المجال ، من قبل أن تولد أنت بسنوات عديدة

يا ولدى ، ولم أعد بحاجة لعمل تجارب طبع .

صمت (ناحوم) لحظات ، وهو يجول ببصره فى ملامح الشيخ ، وكأنما يحاول التيقن من صدق ما يقوله ، ثم سأله فى حدة :

- وماذا عن صاحب (الميكرو فيلم) ؟.. ما معلوماتك عنه ؟

أجابه الشيخ :

- لقد قدم نفسه باسم (جرينكو) ، وأنا أعتقد أن هذا ليس اسمه

الحقيقى ، أما فيما عدا هذا ، فلمست أعلم أى شيء عنه ، فالزبائن

لا يميلون إلى من يلقي الكثير من الأسئلة ، وهذا ما أخبرت به

الشخص الآخر ، الذى جاء فى الظهر .

توترت أعصاب (ناحوم) فى شدة ، وهو يقول :

- الشخص الآخر ؟!.. أى شخص آخر ؟

لم يكذب قوله ، حتى انقض عليه شخص قوى ، هاتفا :

- أنا .

كانت الانقضاضة مباغتة وعنيفة ، فسقط (ناحوم) أرضا ، وطار

سلاحه من يده ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها لكمة قوية على

فكه ، وصاحبها يستطرد :

- كنا واثقين من أن أحدكم سيأتى إلى هنا .

احتمل (ناحوم) الضربة ، على الرغم من قوتها ، ودار بجسده

فى عنف ليواجه خصمه ، ثم كال له لكمة قوية بدوره ، وهو يقول :

- فليكن .. وماذا فعلتم عندئذ ؟

تراجع خصمه ، رجل المخابرات المصرى (أنور) ، وهو يقول :

- تصدينا لك على الأقل .

تجمد الشاب فى مكانه ، وهو يراقب القتال العنيف ، الدائر بين

رجلى المخابرات .. المصرى والإسرائيلى ، ولكن الشيخ صاح به :

- لا تقف هكذا يا فتى .. افعل شيئاً .

انتفض الشاب فى عنف ، ونقل عينيه المذعورتين بين جذه والرجلين المتصارعين ، فهتف الجد مرة أخرى :

- افعل شيئاً .

وهنا ، لانت عضلات الشاب ، واستعاد ذهنه قدرته على التفكير ، فقفز يختطف أحد حوامل التصوير الثقيلة ، ورفعها بكل قوته ، ثم هوى به على رأس (ناحوم) ..

ولكن .. يا للخسارة !..

ويا للأسف !..

لقد أخطأ الشاب ضربته ، وهوى بالحامل الثقيل على مؤخرة رأس (أنور) .. رجل المخابرات المصرى ، الذى ترشح فى قوة ، مع تلك الضربة العنيفة المباغتة ، على الرغم من أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار على خصمه الإسرائيلى ، الذى انتهز الفرصة ، فكال له لكمة أودعها كل قوته ، اشتركت مع ضربة الحامل ، لتسقطه فاقد الوعى ..

وتراجع الشاب فى ارتياح ، واتسعت عينا الشيخ فى هلع ، وهو يهتف :

- ماذا فعلت أيها النعس !؟ .. ماذا فعلت ؟

أما (ناحوم) ، فقد قفز يلتقط مسدسه ، وهتف :

- فعل ما عجزت أنا على فعله أيها المأفون .

وبلا ذرة واحدة من التردد ، أطلق ثلاث رصاصات ، على جسد ورأس (أنور) ، فصرخ الشاب فى رعب ، وصاح الشيخ :

- ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟

استدار إليه (ناحوم) ، قائلاً فى شراسة :

- لأن هذه هى الأوامر .

وأطلق رصاصة أخرى ، اخترقت جمجمة الشيخ من الأمام ، وعبرتها من الخلف ، مع عظامها المفتتة ، وسيل الدم المصاحب ، فهوى الشيخ جثة هامة على فراشه ، فى حين انطلق الشاب يعدو صارخاً :

- النجدة .. لقد قتل جدى .. قتل (كريكوس) .

ولكن (ناحوم) صوب إليه مسدسه فى إحكام ، وأطلق منه ثلاث رصاصات صامتة ، سقط الشاب على إثرها صريعاً ، على قيد مترين من باب المتجر المغلق ..

وفى هدوء ، أعاد (ناحوم) مسدسه إلى غمده ، ثم دفع باب حجرة التحميص والتكبير والطبع ، وقلب محتوياتها كلها ، وبعدها وضع قنبلة صغيرة إلى جوار أحواض المواد القابلة للاشتعال ، قبل أن يغادر المتجر كله ..

وفى اللحظة التى انفجر فيها متجر العم (كريكوس) ، أقدم متاجر التصوير الضوئى فى (أثينا) ، كان (ناحوم) ينطلق بسيارته مبتعداً ، وقد وضع نهاية لأحد أطراف الخيط المنشود ..

خيط وثائق (الموساد) السرية ..

★ ★ ★

لم تستغرق غيبوبة (أدهم) أكثر من نصف الساعة ، ولكنه عندما فتح عينيه ، كانت دهشته كبيرة ، فقد توقع وهو يفقد وعيه ، أن (راشيل) لن تضيع هذه الفرصة أبداً ، وأنها لن تتورع عن إطلاق

النار على رأسه مباشرة ، حتى ولو كان وسط ميدان مزدحم ، وخاصة
وقد رآها تهرع نحوه ، ومسدها في قبضتها ، و ...
ولكن مهلاً ..

تلك التي اندفعت نحوه ، حاملة المسدس ، لم تكن لها ملامح
(راشيل) ..

لقد كانت أخرى ، متوسطة الطول ، مستطيلة الوجه ، لها أنف صغير ،
وفم مستدير ، مكتظ الشفتين ، بيضاء البشرة ، ينبعث من عينيها
الزرقاوين بريق ينم عن ذكاء حاد ، في حين يشير حاجباها الرفيعان
إلى العزم والإصرار ، وقليل من القسوة ، وقد تهذلت خصلة من شعرها
الكستنائي القصير فوق جبينها ، فأضفت عليها مظهراً خاصاً ..

وهو يعرف تلك الملامح جيداً ..

يعرفها منذ زمن طويل ..

« إنني فقد استعدت وعيك .. حمداً لله .. » ..

قطع ذلك القول تسلسل أفكاره ، فرفع عينيه إلى صاحبه ، وهتف
في دهشة :

« أنت ؟! »

رفعت الفتاة الجميلة يدها في تحية عسكرية مرحة ، وهي تقول :

« الملازم أول سابقاً (هويدا كامل) ، في خدمتك يا سيدي .

امتزجت دهشة (أدهم) بابتسامة ودود ، وهو يقول :

« (هويدا) ؟! .. يا لها من مفاجأة ! .. إنني لم ألتق بك منذ عملية

(مونت كارلو) (*) ، ولكنك تبدين كما كنت ، وكأن العمر لم يتقدم

بك يوماً واحداً .

(*) راجع قصة (عملية مونت كارلو) .. المغامرة رقم ١٤

ضحكت في مرجح ، قبل أن تقول :

« وأنت أيضاً يا (أدهم) ، باستثناء ذلك الشيب ، الذي وخط فوديك .

ثم ابتسمت في حنان واضح ، مستطردة :

« هل تعلم ؟ .. لقد أدهشتني رؤيتك كثيراً ، عندما اقتحمت مكان

التصوير بتلك الوسيلة الفريدة كعائتك ، (لا أننى لم أكد أنظر إلى

وجهك ، حتى عاودنى حنين جارف لتلك الأيام ، عندما كنا نعمل معاً ،

قبل أن يقدم لى (كلود ليلوش) عرضه ، ويجتذبني عالم السينما .

وضحكت مرة أخرى ، وهي تضيف :

« أنا اليوم (هيدى كامل) .. نجمة السينما الفرنسية الشهيرة .

ابتسم قائلاً :

« ومن يجهل (هيدى كامل) ؟ .. لقد شاهدت كل أفلامك تقريباً .

هتفت في سعادة :

« حقا ؟! .. هل شاهدت فيلمي الأخير مع (آلان ديلون) ؟ .. صحيح

أنه تقدم في السن ، ولكنه مازال وسيماً ونجم شباك من الدرجة

الأولى .. أليس كذلك ؟

تمتم وهو ينهض من الفراش الوثير :

« بكل تأكيد .

ثم تلفت حوله ، وقال :

« أتعلمين يا (هويدا) .. لقد أصابتنى دهشة حقيقية ، عندما استعدت

وعيني لأجد نفسي داخل حجرة أنيقة كهذه .. في أي فندق نحن ؟

أجابته مبتسمة :

« اطمئن .. إنه فندق بعيد ، ولا أحد يعلم أنك هنا ، حتى من كانوا

بطاردونك .

التفت إليها يسألها :

- وكيف يمكنك الثقة بهذا ؟

ضحكت قائلة :

- اطمئن .. لم أنس ما تعلمته في المخابرات العامة المصرية بعد .

ثم سأله في لهفة :

- أنت في مهمة جديدة .. أليس كذلك ؟

صمت لحظة ، وهو يتطلع عبر النافذة ، قبل أن يجيب :

- بلى .. ولكنني لا أستطيع إخبارك بأى شيء بخصوصها .

أومات برأسها متفهمة ، وإن حمل صوتها شيئاً من الأسف والأسى ، وهي تتمم :

- أعلم هذا .. لم أنس القاعدة الأولى في العمل بعد .. المعرفة قدر الحاجة .

وحاولت أن تبسم في حزن ، قبل أن تتابع :

- العجيب يا (أدهم) أنني اشتهرت بالقيام بأدوار الحركة ، في أفلام المخابرات بالذات ، وعلى الرغم من كم الإبهار ، الذي تصنعه تقنية السينما الحديثة ، وتبثه في نفوس المشاهدين ، في مثل هذه النوعية من الأفلام ، وعلى الرغم من عشرات المواقف الصعبة الزائفة ، ومئات الرصاصات (الفشنك) ، التي تكتظ بها تلك الأفلام ، إلا أنني لم أشعر قط بنفس المتعة التي شعرت بها ، عندما عملت إلى جوارك .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- تقصدين نفس درجة الإحساس بالخطر .

قالت في إصرار :

- بل نفس المتعة يا (أدهم) .. صدقني .. لقد عشت أمتع أيام

حياتي ، في أثناء عملي في المخابرات المصرية ، وبالذات تلك الأيام ، التي عملت فيها معك .

غمغم وهو يراقب الطريق في اهتمام :

- أشكرك .

صمت لحظات ، ثم تابعت في لهجة أقرب إلى الرجاء :

- (أدهم) .. أرجوك .. لن أسألك عن طبيعة المهمة التي تقوم

بها ، ولكن لو احتجت إلى مساعدتي في أية لحظة ، فلا تتردد في طلبها .. أرجوك .

التفت إليها مبتسماً ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (هويدا) .. بالتأكيد .

خففت عينيها إلى الأرض لحظات ، لتخمد انفعالاتها في

أعماقها ، ثم عادت ترفعهما إليه ، وتسأله في حذر :

- كيف حال (منى) ؟

لاحظت على الفور نظرة الحنان والحزن ، التي أطلت من عينيها ،

قبل أن يشيح بوجهه عنها ، ويعود إلى التطلع عبر النافذة ، مغمغماً :

- مازالت حالتها الصحية سيئة .

همست مقاومة دموعها :

- صدقني .. أنا أتمنى لها الشفاء في كل لحظة ، وأتمنى لو ...

قاطعها بغتة :

- يبدو أن خبراتك السابقة في عالم المخابرات تحتاج إلى الصقل

يا عزيزتي .

اتعقد حاجباها ، وهي تسأله :

- لماذا تقول هذا ؟

أشار بسبأته إلى الطريق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأطلت إلى حيث يشير ، وارتفع حاجباها في دهشة ، عندما وقع بصرها على مصور فيلمها ، في حالة مزرية ، و (راشيل) و (بتر) يخرجانه من سيارتهما ، ويدفعانه في قسوة نحو فندقها ، فهتفت :
- من هذان ؟ .. وماذا فعلاه بالرجل ؟
أجابها بسرعة :

- لقد نلذا ما تعلماه في (الموساد) ، عندما فقدنا أثرك ، وأنت تنقذيني منهما ، وتنقليني إلى هنا ، فاتجها إلى أقرب شخص إليك ، وتعامل معه ، وأجبراه على الإفصاح لهما بكل مكان يمكنك الذهاب إليه ، وهما هنا الآن للتعامل معنا .

كان يتوقع منها شيئا من الخوف والقلق ، ولكنه فوجئ بها تبسم في ارتياح ، وهي تقول في جذل :
- أخيرا .

ثم اتجهت بسرعة نحو مكتب صغير ، وفتحت درجه ، ثم التقطت منه مسدسا كبيرا ، ألقت به إلى (أدهم) ، قائلة :

- مسدسك يا عزيزي .. (بيريتا) ذو الماسورة القصيرة .

ثم التقطت مسدسا صغيرا ، رفعته في اعتزاز ، مستطردة :
- ومسدسي المفضل .. (سميث ويلسون) بمت رصاصات .
أمسك يدها في حزم ، قائلاً :

- لن تشتركي في مثل هذا الصراع يا (هويدا) .

رفعت حاجبها وخفضته ، وهي تقول :

- حاول أن تمنعني .

تطلع إلى عينيها لحظة ، وقرأ فيهما إصرارها الشديد على استعادة أيامها السابقة ، وأدرك عقم محاولة إثباتها عن رأيها ، في هذا الوقت القصير ، فقال :
- هيا بنا .

كادت تقفز متعلقة بعنقه ، من فرط سعادتها ، ولكنه انطلق مغادرا الحجرة ، فهرعت خلفه ، وسمعتة يسألها :
- ما إحداثيات هذا الفندق ؟

أجابته في حماس :

- الجانب الخلفي وحدة يمكن أن يشير اهتمامك ، فهو يطل على سطح قصير ، يمكننا القفز إليه ، والتسلل عبره إلى شارع جانبي ، حيث أوقفت سيارتي .

سألها ، وهو يقفز صاعدا في السلم إلى السطح :

- هل كنت تتوقعين شيئا كهذا ؟

أجابته في شيء من السعادة :

- ألا ينبغي هذا ؟

قال مبتسما :

- بالتأكيد .

بلغا السطح بسرعة ، واتجهت هي إلى الحاجز الخلفي ، الذي يطل على السطح المجاور القصير ، وهي تقول :

- أعتقد أنك تستطيع عبور الأمتار الثلاثة ، التي تفصلنا عن السطح الآخر بقفزة واحدة ، و ...

انتبهت فجأة إلى أنه لا يتبعها ، فالتفت إليه هاتفة :
- ألن تأتي ؟

رأته يلتصق بالجدار المجاور لباب السطح ، وهو يشير إليها
بسبَابته ، قائلاً :

- وهل نترك المصوّر بين أيديهما ؟

بهتت للقول ، وارتبكت مغممة :

- كيف لم أفكر في هذا ؟

ثم اقتربت منه تسأله في حذر :

- هل تعتقد أنهما سيصعدان إلى هنا ؟

أجابها في حزم :

- لو أنني في مكان (راشيل) ، ووجدت الحجرة خالية ، لصعدت
إلى هنا على الفور .

لم يكذب ولم يمتع عبارته ، حتى سمع من خلفه صوتاً أنثوياً صارماً ،
يقول :

- ولكنني لن أستخدم السلم نفسه .

استدار (أدهم) و (هويدا) في سرعة إلى مصدر الصوت ،
وكانت أمامهما مفاجأة ..
مفاجأة مدهشة ..

★ ★ ★

٧ - الموعد ..

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، فوق سطح الفندق . و (أدهم)
و (راشيل) يتبادلان نظرة متحدية ، قبل أن تهتف (هويدا) في
دهشة :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسمت (راشيل) في زهو ، وقبضت على مسدسها بأصابع كفيها
في قوة ، وهي تصوّبه إلى (أدهم) ، قائلة :

- استخدمت المصعد . من بهو الفندق إلى هنا مباشرة .. فقد
لمحتكما من خلف زجاج نافذة حجرتك أيتها الذكية . ولكنني تظاهرت
بالعكس ، وأدركت أنكما ستتخذان طريق السطح مباشرة ، لأنه يقود
إلى السطح الخلفي .. تفكير عبقري .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) في سخرية :

- إنني أعترف لك بالذكاء يا (راشيل) ، على الرغم من أن
اهتمامك ينحصر بالدرجة الأولى في تنمية عضلاتك .

قالت (راشيل) في حدة :

- ألق سلاحك أولاً يا (أدهم) .. وأنت كذلك يا نجمة الأدوار
السخيفة ، فهذا ليس أحد مشاهد أفلامك الغبية .. هنا نطلق رصاصات
حقيقية .

ألقت (هويدا) مسدسها ، وهي تقول :

- المهم أن تصيب هذه الرصاصات هدفها .

هتفت (راشيل) فى غضب :

- هل ترغبين فى تجربة هذا ؟

أجاب (أدهم) ، فى سرعة :

- كلا يا (راشيل) :: إنها لا ترغب فى هذا .

صاحت به :

- لا تتدخل ، وألق سلاحك .

ألقى (أدهم) المسدس أرضا ، و (هويدا) تقول غاضبة :

- لماذا نتملقها ؟ .. إنها ستقتلنا على أية حال .

لوح (أدهم) بكفه ، وقال فى هدوء عجيب :

- على العكس يا (هويدا) .. عزيزتنا (راشيل) لها أساليب

متميزة للغاية ، ولكن ينقصها أن تستوعب درسا إضافيا واحدا .

سألتها (راشيل) ، فى حذر متوتر :

- أى درس ؟

وثب (أدهم) فجأة ، يركل المسدس من يديها ، هاتفا :

- ألا تضيعى الوقت فى الحديث .

تراجعت (راشيل) فى غضب ، عندما فقدت مسدسها ، وصرخت :

- أيها المخادع .

ثم انقضت على (أدهم) ، وقفزت لتركله فى وجهه ، فاستقبلها

بانحناء مرنة ، وهو يقول :

- أعترف بأنك قوية بالفعل يا عزيزتى (راشيل) .

ثم دفعها بكفه فى رشاقة وقوة ، مستطرذا :

- بالنسبة للرجل العادى .

سقطت (راشيل) أرضا ، ثم وثبت واقفة على قدميها ، وانقضت

مرة أخرى على (أدهم) ، الذى تابع :

- ولكن ليس بالنسبة لى .

واستقبل انقضاضتها بالتفافه بارعة ، التقط خلالها معصمها ، ثم

لوى ذراعها خلف ظهرها فى حركة سريعة ، جعلتها تصرخ ألما ،

قبل أن تدفع قدمها إلى الخلف ، وتركل ساقه فى قوة ..

وانحنت (هويدا) لتلتقط مسدسها ، مستغلة ذلك الصراع ، ولكنها

فوجئت بـ (بئرو) ينقض عليها ، صارخا :

- لا يا نجمة أفلام الحركة .

سقطت معه أرضا ، ثم دفعت قدميها فى معدته ، ورفعته لتلقيه

خلف ظهرها ، وهبت واقفة على قدميها ، هاتفة :

- لهذه الأفلام خبراتها يا رجل .

قفز يلكمها فى فكها ، وهو يصيح :

- ولكن خبرة العمل أكبر .

كانت اللكمة عنيفة بالفعل ، فأسقطتها أرضا ، وتحرك (بئرو)

ليهاجمها مرة أخرى ، ورفع قبضته ، صانحا فى شماتة :

- هل أفسدت ضربتى مساحيق تجميلك أيتها النجمة ؟! .. لا تجعلى

هذا يحزنك ، فاللكمة الثانية ستطيح بأنفك كله ، وستشوه وجهك

الجميل ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على

معصمه ، وارتفع صوته القوي الساخر يقول :

- هذا لو وجدت الوقت لتفعل .

استدار (بترو) فى سرعة ليواجه (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير كال له لكمة كالقنبلة ، نسفت أنفه المعقوف تمامًا ، فتفجرت منه الدماء ، وجعلته يصرخ نائرا :

- أخطأت يا رجل .. أخطأت .. إنك تواجه بطل (إسرائيل) العسكرى لرياضة (التايكوندو) .

ثم دفع قدمه ليركل (أدهم) فى وجهه ، إلا أن هذا الأخير استقبل الضربة على ذراعه ، وهو يقول :

- إنها فرصة مناسبة إذن لتحديد المستوى .

خفض (بترو) قدمه ، ووثب بالقدم الأخرى إلى معدة (أدهم) ، الذى وثب إلى الخلف فى مهارة ، واستطرد :

- ولكن ليس لدينا وقت لحسم الأمر للأسف .

ثم قفز فجأة ، ودار جسده كله حول نفسه ، قبل أن ترتفع قدمه ، لتركل وجه (بترو) ركلة كالقنبلة ، ارتج لها جسد هذا الأخير كله ، فترشح قائلا فى حنى :

- لقد باغتتني .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلا :

- حقًا !؟

لم يكذ ينطق آخر حروف الكلمة ، حتى سقط (بترو) فاقد الوعي ، فنقلت (هويدا) بصرها بينه ، وبين (راشيل) الفاقدة الوعي فى نهاية السطح ، قبل أن تقول :

- رائع .. تمامًا كالأيام الخوالى يا (أدهم) .

مذ يده إليها ، يعاونها على النهوض ، وهو يسألها :

- هل حصلت على المتعة اللازمة ؟

نهضت قائلة :

- هذا يتوقف على سؤال هام .. هل ستسمح لى بالاستمرار ؟

هز رأسه نفيا فى حزم ، وأجاب :

- كلا .. لياقتك الفعلية لم تعد كسابق عهدها يا (هويدا) ، وهذه

المهمة بالغة الخطورة ، ولن يرحم الإسرائيليون كل من ينضم إليها .

تنهدت مغفمة :

- كنت أتمنى أن ...

ولكنها لم تكمل عبارتها ، وإنما ابتسمت على نحو مفتعل ،

واستطردت :

- فليكن .. المهم أننى التقيت بك .

كانا يتبادلان هذا الحديث بالعربية ، عندما قاطعهما صوت

متهاك ، يقول بالفرنسية :

- ألن يهتم أحدكما بأمرى ؟

هتفت (هويدا) :

- آه .. إنه المصور .. لقد نسيناه .

وهرعت إليه لتعاونيه ، فاقترب منهما (أدهم) ، وقال

لـ (هويدا) فى حزم :

- اقطعى تصوير الفيلم ، وعودى إلى (باريس) بأية حجة .

تطلعت إليه فى دهشة ، وهتفت :

- كيف يا (أدهم) ؟ .. لدينا لقطات شديدة الأهمية هنا ، و ...

قاطعها فى صرامة :

- هذا لصالح الجميع .. لقد رأيت كيف يتصرف الإسرائيليون فى

هذه العملية ، ولو بقيت هنا ، أو بقي أى شخص من فريق التصوير ، ستحدث لكم كارثة .

ثم التفت إلى المصور الفرنسى ، وقال بفرنسية سليمة :
- ارحلوا .

لوح الرجل بكفيه ، وقال :

- لسنا بحاجة إلى هذه النصيحة .. لقد فهمت الأمر ، وسنعود إلى (باريس) على الفور .

أوما (أدهم) برأسه فى ارتياح ، ثم انحنى يلتقط مسدسه ، ودسه فى جيبه ، وقال :

- هيا بنا ، قبل أن يستعيد هذان وعيهما ، وتتوق نفساهما لحمام دم آخر .

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت إلى السادسة والنصف ، قبل أن يضيف فى حزم :

- ثم إن لدى موعدًا هامًا .. هامًا للغاية ..

★ ★ ★

، أنت (أنجيل بابانيو) ؟ ..

تطلعت الممثلة اليونانية السابقة فى حذر إلى (أدهم صبرى) ، الذى ألقى عليها هذا السؤال ، وفحصته ببصرها من وجهه وحتى ساقيه ، مروزًا بمعطف المطر الأثيق الذى يرتديه ، قبل أن تسأله :

- وماذا لو أننى هى ؟!

قال فى هدوء :

- لدى عرض خاص لك .

سألته فى حذر :

- عرض من أى نوع .

انعقد حاجباه فى صرامة مباغته ، وهو يقول :

- من النوع الذى لا يمكن رفضه .

ارتجف جسدها لقوله ، وحاولت أن تدفع الباب فى قوة ، وتغلقه فى وجهه ، ولكنه صده بقدمه ، ثم دفعه معها ، ودلف إلى شقتها فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، وهى تهتف فى هلع :

- ماذا تريد منى ؟ .. لست أملك شيئًا .

سألها بلهجة الصارمة :

- أين الرسائل ؟

ارتجفت وهى تقول :

- أية رسائل ؟

قال وعيناه تحدقان فى عينيها مباشرة :

- الرسائل التى كان يحملها الشاب فى المترو ، والتى حصلت عليها وأنت ترتدين شعرًا أشقر مستعارًا ، وبعدها أخرجتها من الكيس البلاستيكي ، ونقلتها إلى حقيبتك ، ثم خلعت الشعر المستعار ، ووضعت فى الكيس بدلًا منها ، وتركته فى المترو .. هل تذكرت الآن ؟

ارتبكت (أنجيل) ، وهى تقول :

- آه .. أتقصد تلك الرسائل ؟

أجابها فى حزم :

- نعم .. أقصد تلك الرسائل .

التقطت علبة سجانرها ، وحاولت أن تشعل سيجارتها ، وهي تقول :

- لقد أعطيتها للرجل ، الذي استأجرني للحصول عليها .
جذب (أدهم) السيجارة من بين أصابعها ، وألقاها أرضا ، ثم سحقها بقدمه في هدوء ، وهو يقول :
- أنت كاذبة .. إننا نراقب منزلك منذ عودتك ، ولم يأتك زائر واحد حتى الآن .

قالت في عصبية :

- وما صلة هذا بالأمر ؟ .. لقد عدت إلى هنا بدون الوثائق ، فقد استلمها الرجل قبل هذا .
قال (أدهم) :

- مستحيل !.. لقد خرجت من المترو ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة إلى هنا مباشرة ، دون المرور بأي مكان آخر .
أجابته متوترة :

- هذا صحيح ، ولقد أعطيت الوثائق للرجل في سيارة الأجرة .
انعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول :
- لم يكن هناك سواك في السيارة .
ضاحت في حدة :

- بل كان هناك السائق .. سائق سيارة الأجرة .. إنه الرجل الذي استأجرني للحصول على الرسائل .. ماذا في هذا ؟ .. هل يمنع القانون ذلك ؟ .. إنها مجرد رسائل ، وليست مخدرات أو نقود زائفة .



وحاولت أن تدفع الباب في قوة ، وتغلقه في وجهه ، ولكنه صده بقدمه ، ثم دفعه معها ، ودلف إلى شقتها في سرعة ..

تطلع إليها لحظة في صمت ، ثم استدار لينصرف ، فهتفت في دهشة ، على الرغم منها :

- هل ستتركني ؟

أجاب دون أن يلتفت إليها :

- بالطبع .. ما الذي تصورت أنني سأفعله .

ارتبكت مغممة :

- خشيت لحظة أن تضربني أو تقتلني ، أو ...

قال في حسم ، وهو يفتح الباب :

- نحن لا نفعل هذا بالنساء قط .

قالت في دهشة تمتزج بالكثير من الفضول :

- أنتم ؟ .. ومن أنتم ؟

ولكنها لم تتلق جواباً ، فقد غادر (أدهم) منزلها ، وأغلق الباب

خلفه ..

وبكل هدوء ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة ، عندما انتفضت (راشيل) مستعدة وعبها ، على سطح الفندق ، فحدقت لحظة في السماء المظلمة ، ثم هبت واقفة ، وهي تهتف :

- اللعنة !

وقع بصرها على (بترو) الفاقد الوعي أيضاً ، فقطعت المصطح نحوه ، في خطوات واسعة سريعة ، وهزته في عنف ، قائلة :

- استيقظ يا (بترو) .

انتفض بدوره ، واعتدل جالساً ، وهو يقول :

- أين نحن ؟ .. ماذا حدث ؟

أجابته في حنق ، وهي تبحث عن مسدسها :

- نحن هنا ، فوق سطح ذلك الفندق .. من الواضح أن (أدهم

صبري) نجح في هزيمتنا مغا .

اتعقد حاجباه ، وهو يقول في سخط :

- لست أدري كيف حدث هذا .. لقد باغتني ، و ...

قاطعته في حدة :

- باغتك ؟! .. وهل مباغتته هي التي أحالت أهلك إلى كومة من

اللحم المفري على هذا النحو ؟

تحس أنفه في ألم ، وهتف :

- لن يفلت بفعلته هذه .

قالت محنقة ، وهي تلتقط مسدسها ، وتعيده إلى حزامها :

- لقد أفلت وانتهى الأمر ، وأضعنا نحن وقتاً ثميناً .. هيا بنا ..

لا بد أن نبدأ مراقبة الأمريكيين الآن ، قبل أن يتموا اتصالهم بحامل

الوثائق ، ونفشل مهمتنا كلها .

لم يتبادلا كلمة إضافية واحدة ، وهما يغادران الفندق ، وينطلقان

بسيارتهما نحو السفارة الأمريكية ، التي توقفا على مسافة مائة متر

منها ، وراحا يراقبانهما في اهتمام ، ثم قال (بترو) :

- هل تتوقعين أنهم سيتصلون بالرجل بهذه السرعة ؟

أجابته في حسم :

- الرجل يدرك خطورة الموقف ، ولن يضيع ساعة واحدة ، يمكنه

فيها الحصول على ما يبتغى ، والأمريكيون يميلون إلى سرعة حسم
المواقف .

تنهّد وهو يتحسس أنفه المحطّم ، وقال :

- أتعثّم هذا ، فقد بدأت أسأم هذه العملية ، وأتمنى أن نحصل على
الوثائق وينتهى الأمر .

قالت في صرامة :

- لن ينتهى الأمر بحصولنا على الوثائق ، فمازالت أمامنا مهمة
تدمير كل من تعامل معها أو اطلع عليها .

زفر في ضيق ، وقال :

- لست أدري ما فائدة هذه المذبحة !.. لماذا لا نكتفى بقتل حامل
الوثائق والمتصلين به فحسب ؟!.. أى خطر يكمن فى هؤلاء الذين
ألقوا عليه نظرة محدودة .

أجابته فى ازدراء :

- من الواضح أنك لم تطالع النشرات الدورية للإدارة .. ألم تقرأ
فى حياتك عن استرجاع المعلومات ، بوساطة التنويم المغنطيسى ؟
هزّ رأسه نفياً ، وقال :

- كلا .. التنويم المغنطيسى بالنسبة لى مجرد خيال علمى .

قالت فى صرامة :

- من أخبرك بهذه السخافات ؟!.. التنويم المغنطيسى علم معترف
به ، واستخداماته أكثر مما تتصوّر ، فالعلم يقول : إن أى شيء
يسمعه المرء أو يراه ، أو حتى يلمسه ، لا يفارق ذاكرته قط ، ولكن
لأن الذاكرة المعتادة لا يهتما أن تستخدم كل خبراتها على نحو

عاجل ، فهى تحتفظ بالخبرات غير الضرورية فى جزء شبه مظلم
منها ، ولو أنك أخضعت شخصاً ما للتنويم المغنطيسى ، فسيمكنك
إقناع ذاكرته بإضاعة ذلك الجزء شبه المظلم ، وإعلان كل ما فيه من
معلومات وخبرات ، وهكذا يستطيع الشخص أن ينقل كل ما رآه على
الورق ، حتى ولو كان يجهل اللغة المكتوب بها (*) .

ففرقاه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

- إنها أول مرة أسمع فيها هذا .

مطّت شفيتها ، قائلة :

- ولكننا نستطيع استخدام هذا الأسلوب ، وكذلك المخابرات
المصرية ، والمخابرات المركزية الأمريكية .

سألها :

- وماذا عن الروس ؟

هزّت كتفها ، قائلة :

إنهم أصحاب الفكرة منذ البداية .

قال فى دهشة :

- هل بلغوا هذا الحد من التقدّم ؟

اعتدلت بفتة ، وهى تقول فى انفعال :

- انظر .

تطلّع إلى حيث تشير ، ووقع بصره على (بروس ماكثيللى)
و (أرنولد ويلز) ، وهما ينطلقان بسيارتهما خارج السفارة ،
وهتفت (راشيل) :

(*) حقيقة علمية .

- هيا .. انطلق خلفهما يا (بترو) ، وحذار أن يفلتا منك ، أو
يشعران بتعقبنا لهما ، فانا أراهن أنهما فى طريقهما للقاء حامل
الوثائق ، وإتمام صفتيهما معه .

وكانت على حق تمامًا ..

لقد كان (بروس) و (أرنولد) على موعد عاجل ..
موعد مع الخطر ..

★ ★ ★



٨ - المندوب ..

لم تكد فتاة (البجعة البيضاء) تلمح (أدهم) ، وهو يذلف إلى
البار ، فى التاسعة إلا عشر دقائق ، حتى تهللت أساريرها ، وأسرعت
إليه هاتفة :

- مساء الخير أيها الوسيم .. كنت أنتظر ك على أحر من الجمر ..
هل تعلم .. لقد حجزت لك أفضل مائدة هنا .

سألها (أدهم) ، وهو يدير عينيه فى المكان ، الذى بدا شديد
الازدحام ، على عكس ما كان عليه فى الصباح .

- هل وصل (زوايد) ؟

هزت رأسها نفياً وهى تبتسم ، وقالت :

- ليس بعد .. أخبرنى .. أى نوع من الخمور تفضل ؟

أجابها فى هدوء :

- لست أقرب الخمر .

هتفت فى فرح :

- حقاً؟! .. هذا عظيم .. عظيم للغاية ، فانا لا أحترم شاربى

الخمر فى الواقع .

قال بابتسامة باهتة :

- وأنا كذلك .. ولكن متى يصل (زوايد) هذا ؟

قادتة إلى المائدة ، التى حجزتها من أجله ، وهى تجيب :

- المفروض أن يصل فى تمام التاسعة .

لمحها (كوستا) وهى تتأبط ذراع (أدهم) ، وتتحدث إليه فى انبهار وإعجاب ، فعقد حاجبيه فى غضب ، وأشاح بوجهه عنهما ، ولاحظت هى ذلك ، فضحكت وهمست :

- يبدو أن (كوستا) مازال غاضبًا ، مما فعلته به وبـ (موستاش) هذا الصباح .. هل تعلم .. أكثر ما يغضب (موستاش) هو أنه سيضطر لحلاقة شاربه ، بعد أن مرقت أنت معظمه .

قال (أدهم) مبتسما ، وهو يجلس عند المائدة :

- أعتقد أن هينته ستصبح أفضل .

ضحكت فى مرج ، وهى تقول :

- كم يروق لى أسلوبك أيها الوسيم .. قل لى : هل ستأتى لزيارتنا فيما بعد ؟

تجاهل (أدهم) سؤالها ، وهو يقول :

- أخبرينى عندما يصل (زوايد) .

هزت كتفها ، وهى تقول :

- لست أعرفه شخصيًا .. سأطلب من (كوستا) هذا .

أدار (أدهم) عينيه إلى حيث يجلس (كوستا) ، ورآه يتبادل الحديث فى اهتمام كبير ، مع عدد من الرجال ضخام الجثة ، وبعدها نهض (كوستا) مبتسما ، واتجه إلى مائدته مباشرة ، وقال :

- كيف حالك يا سيدى .. كنت أعلم أنك ستحضر فى موعدك تمامًا .

قال (أدهم) فى هدوء :

- أنا أفعل هذا دائمًا .

ثم استطرد فى صرامة :

- وأرجو أن يكون (زوايد) كذلك .

ارتبك (كوستا) ، عندما أتى (أدهم) على ذكر (زوايد) ، وتلفت حوله فى توتر ، قبل أن يهمس :

- لقد وصل بالفعل .

سأله (أدهم) ، وهو يدبر عينيه فيما حوله :

- وأين هو ؟

همس (كوستا) :

- لن يدخل إلى البار .. إنه ينتظرنى فى الشارع الخلفى ، لنصفى كل حساباتنا .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم نهض قائلاً :

- فليكن .. هيا نذهب إليه .

نهض (كوستا) بدوره ، وقال :

- هيا بنا .

سارا معانحو مكتب (كوستا) ، خلف مسرح البار ، ثم قطعاً ممراً قصيراً ، ينتهى بباب مغلق ، أشار إليه (كوستا) ، قائلاً :

- هذا الباب يقود إلى الشارع الخلفى .

وفتح الباب ، وهو يشير إلى (أدهم) ، مستطردًا .

- تفضل .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- خلفك يا (كوستا) .

ابتسم (كوستا) ابتسامة كبيرة ، تحولت بسرعة إلى ضحكة

مجلجلة ، وهو يقول :

مجلجلة ، وهو يقول :

- ما زلت لا تثق بي أيها السيد .. أليس كذلك ؟
أجابه (أدهم) ، فى وضوح وصراحة :
- هذا صحيح .

فهقه (كوستا) ضاحكاً مرة أخرى ، وقال :
- عجباً !... المفروض ألا أثق أنا بك ، فلست أعرف حتى اسمك .
قال (أدهم) ، فى هدوء :
- لو أنك لا تثق قيراطاً فى شاربى الخمر ، فأنا لا أثق ألف فدان
فى بانعيها .

ضحك (كوستا) ضحكة قصيرة هذه المرة ، وقال :
- هكذا ؟!... فليكن يا سيدى .. سأقتدّمك إلى الخارج .
وعبر الباب إلى الشارع الخلفى فى بساطة ، واستطرد :
- هانذا يا سيدى .

تقدّم (أدهم) بدوره ، وعبر الباب إلى الشارع الخلفى ، وبدأ له
الشارع خالياً ، فأدار عينيه فيه ، قائلاً :
- أين (زوايد) ؟

وثت (كوستا) بغتة نحو الباب ، وهو يهتف :
- لا يوجد (زوايد) .

ثم صفق الباب خلفه فى عنف ، وصاح من الداخل :
- ولكن يوجد آخرون .

ومع آخر حروف عبارته ، برز الرجال الخمسة الأشداء ، الذين
كان (كوستا) يتحدث معهم داخل البار ، من خلف المبنى ، وتقدّموا
من طرفى الشارع الضيق نحو (أدهم) ، وكل منهم يمسك هراوة

أو خنجرًا ، والشر يطل من عيونهم ، فى حين كان (كوستا) يطلق
ضحكته الساخرة المجلجلة من الداخل ، وهو يقول فى شماتة :
- استمتع بوقتك أيها السيد ، ودع لى (زوايد) .

وابتعد صوته عن الباب ، فى نفس الوقت الذى أحاط فيه الرجال
الخمسة بـ (أدهم) ، وقال أحدهم ، وهو يلوح بهراوته ، ويتطلع
فى استهتار إليه :

- سمعنا أنك أسأت إلى صديقنا (كوستا) ، ونحن نكره من يسيئون
إلى أصدقائنا ، ونصر على تلقينهم درساً قاسياً ، لا ينسونه أبداً ، لو
ظلوا على قيد الحياة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو
يقول :

- أنا أيضاً أصر على تلقين أصدقاء ذلك الخنزير ، درساً لا ينسونه
أبداً .

بدأ الغضب على وجوههم جميعاً ، وصرخ أحدهم ، وهو بهوى
على رأس (أدهم) بهراوته :
- أنت تستحق هذا .

تحرك (أدهم) فى سرعة مذهشة ، فأمسك معصم الرجل بيسراه ،
وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة بيمناه ، فى نفس اللحظة التى اندفع
فيها رجلان نحوه بخنجريهما ، فمال متفادياً طعنة أحدهما ، وسمع
خنجره ينغرس فى باب البار الخلفى ، قبل أن يلكمه فى معدته ..
ولكن خنجر الآخر أصاب ذراع (أدهم) ، الذى تراجع فى سرعة ،
حتى لا تتمزق ذراعه كلها ، وانحنى متفادياً ضربة من هراوة الرجل

الرابع ، وركل بقدمه اليمنى ذلك الخنجر ، الذى أصاب ذراعه ، ونهض يمسك معصم الرجل الرابع ، ودفعه فى عنف ، لتهوى هراوته على رأس زميله ، ثم حطم فكّه بلكمة كالقنبلة ..

وهوت هراوة الخامس على كتف (أدهم) ، الذى شعر بالآلام قوية ، ولكنه دار حول نفسه فى سرعة ، وركل الرجل بقدمه اليسرى ركلة قوية ، دفعته عبر الشارع ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط على وجهه .. وحتى هذا الجزء من القتال ، كان ثلاثة من الرجال قد فقدوا وعيهم ، والرابع يترشح فى تهالك ، أما الخامس ، فقد أخرج من جيبه مسدسًا صغيرًا ، وهو يقول فى غضب شديد :

- لن يمكنك هزيمتنا جميعًا .

تحرك (أدهم) فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها الرجل زناد المسدس ، وشعر بالرصاصة تحتك بعنقه ، قبل أن ترتطم بالجدار ، فوثب فى قوة ، وركل المسدس بقدمه اليسرى ، ثم ضرب وجه الرجل بقدمه اليمنى ، وأسقطه أمامه ، ثم استدار فى سرعة ، ولكم الأخير بقبضته ..

وهنا ، انتهت المعركة ..

انتهت بعد أن فقد الرجال الخمسة وعيهم ، وأصيب (أدهم) فى ذراعه وعنقه ، وسالت الدماء لتغرقهما ، ولكنه ظل هادئًا متماسكًا ، وهو يستدير إلى باب البار الخلفى ، ويخرج من جيبه أداة صغيرة ، راح يعالج بها رتاجه فى سرعة ومهارة ..

وفجأة ، سمع (أدهم) من خلفه نكة صغيرة ، يدرك مغزاها جيدًا .. نكة مسدس يستعد للإطلاق ..

ثم انطلقت الرصاصة ..

وسالت الدماء فى الشارع الخلفى ..

★ ★ ★

استقبل (كوستا) (زوايد) فى مكتبه بابتسامة كبيرة ، تحمل شيئًا من اللففة والغموض ، وهو يقول :

- مرحبًا يا رجل .. كنت أنتظرِكَ على أحرّ من الجمر .

أجابه (زوايد) :

- ولقد وصلت فى موعدى بالضبط يا (كوستا) .

فرك (كوستا) كفيه ، وهو يقول :

- عظيم .. يمكنك أن تمنحني باقى الأتعاب إذن .. لقد قام الأصلع بعمله على خير ما يرام .. أليس كذلك ؟

أجابه (زوايد) ، وهو يخرج مظهرًا صغيرًا من جيبه :

- بالتأكيد .. كل شيء وصل سالمًا .. وها هى ذى أتعابك .. مائة

دولار ، و ...

قاطعه (كوستا) بضحكة مباغتة مجلجلة ، وهو يقول :

- مائة دولار .. يا للسخافة !

بدت الدهشة على وجه (زوايد) ، وهو يقول :

- وما السخافة فى هذا يا (كوستا) ؟ .. (بابيوس) يقول : إنك

اتفقت معه على ثلاثمائة دولار .. قبضت منها مائتى دولار ، والباقى

هو ...

قاطعه (كوستا) مرة أخرى :

- كان هذا فيما مضى يا رجل .. عندما كنت أتصور أن الأمر مجرد

عملية شراء خطابات غرامية قديمة ، ولكننى أعلم الآن أن الأمر
يفوق هذا بكثير .

قال (زوايد) ، فى دهشة :

- يفوق هذا ؟

أجابه (كوستا) ، فى شراسة :

- نعم يا رجل .. الخطابات الغرامية لن تدفع محترفاً إلى تعقبها
والوصول إلى هنا ، وتحطيم أنف (موستاش) من أجلها .. هذه
الخطابات تحوى أمراً آخر يا رجل .. أمراً يستحق مكافأة أكثر
ضخامة .

قال (زوايد) ، فى حيرة :

- ولكننى أجهل هذا تماماً .

قال (كوستا) ، فى خشونة :

- تجهله أو تعلمه .. لا شأن لى بهذا .. انتنى أريد ألفى دولار .

صاح (زوايد) :

- ألفى دولار ؟!.. هل تمزح يا (كوستا) ؟

انقض عليه (كوستا) بغتة ، وجذبه من قميصه فى قوة ، وهو
يقول :

- كلا .. لست أمزح يا رجل .. انتنى أريد ألفى دولار ، وإلا فضحت

الأمر كله .. أبلغ (بابيوس) أنتنى لن أقبل أقل من هذا ..

ارتفع صوت صارم مباغت ، يقول :

- وما رأيك فى رصاصة فى منتصف جبهتك ؟

انتفض جسد (كوستا) كله فى ارتياح ، واستدار فى هلع إلى
مصدر الصوت ، ثم تراجع فى عنف ، وكأنما أصابته صاعقة

كهربية ، وهو يحدق فى فوهة المسدس ، التى يصوبها إليه
(أدهم) ، وهتف بصوت مرتجف :

- أنت ؟

أجابه (أدهم) :

- نعم .. هو أنا أيها الخنزير الأثينى .. لقد فشل أوغادك فى
انتخلص منى ، على الرغم مما سببوه لى من إصابات ، وكاد أحدهم
يقتتنى برصاصة فى ظهري ، من هذا المسدس ، لولا أنتنى انتزعت
خنجرًا مفروشا بالباب ، وانحنيت أتفادى رصاصته فى سرعة ،
وقذفته بالخنجر ، فأصبته إصابة مباشرة .

اتسعت عينا (كوستا) فى رعب شديد ، فى حين هتف (زوايد) :

- من هذا بالضبط ؟!

صاح (كوستا) ، وهو يشير إليه :

- هذا هو الرجل الذى تبحث عنه أيها السيد .. هذا هو (زوايد) .

ارتجف (زوايد) مذعورًا ، وهو بهتف :

- أنا ؟!

التفت إليه (أدهم) ، وسأله فى صرامة :

- أنت (زوايد) ؟

وهنا وثب (كوستا) نحو أحد الأضرار فوق مكتبه ، وهو يصرخ :

- انتجدة .. النجدة يا رجال .

قفز (أدهم) عبر الحجرة ، وجذب (كوستا) من عنقه ، قبل أن

تبلغ سبابته الزر ، وهو يقول :

- أيها الحقيير .

ثم هوى على فك الرجل بثلاث لكلمات متعاقبة ، أسقطته فاقد الوعي . ولكن (زوايد) استغل انشغال (أدهم) بهذا ، وانطلق يعدو مغادرًا الحجرة ، ومحاولًا الفرار ، فانطلق (أدهم) خلفه . وهو يقول :
- توقف يا رجل .

اندفع (زوايد) عبر صالة البار ، على نحو آثار دهشة رواده جميعهم ، ولكن دهشتهم هذه استحالت إلى ذهول وذعر . عندما برز (أدهم) خلفه ، والدماء تغرق عنقه وذراعه ، وقفز فوق إحدى الموائد . ثم وثب منها إلى مائدة أخرى ، ومنها طار في الهواء ، وانقض على (زوايد) ، وسقط معه أرضًا ، ثم لكمه في فكه ، ونهض يجذبه من عنقه في عنف .

وهتف بعض رواد البار ، وهم يتحركون للتدخل في الأمر :
- ما هذا ؟.. ماذا يحدث هنا ؟

ولكن (أدهم) أجابهم ، في صرامة :

- لا يتحرك أحدكم من مكانه .. إنه عمل الشرطة .

جمدت هذه العبارة الجميع في أماكنهم ، في حين هتف (زوايد) في هلع :

- أنا لم أفعل شيئًا .. أقسم لك إنتى لم أكن أعلم أن هذا الأمر يخالف القانون .

صاح به (أدهم) ، وهو يدفعه أمامه إلى الخارج :
- اخرس .

لم ينطق (زوايد) بحرف واحد ، حتى دفعه (أدهم) داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا عن البار ، فغمغم متوترًا :
- هذه ليست سيارة شرطة !.. من أنت بالضبط !؟

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، وواصل انطلاقه بالسيارة طويلًا في صمت ، حتى ابتعد عن المنطقة المأهولة من المدينة ، فارتجف (زوايد) ، وقال :

- من أنت بالضبط ؟.. وما الذى تريده منى ؟

ضبط (أدهم) فرامل السيارة بغتة ، وهو ينحرف إلى جانب الطريق ، فاندفع جسد (زوايد) إلى الأمام ، وهو يصرخ :
- ماذا تفعل ؟

ولكنه لم يكذب يعتدل ، حتى رأى فوهة مسدس (أدهم) مصوبة إلى جبهته مباشرة ، فأتسعت عيناه في رعب ، وتراجع مذعورًا ، واحتبست صرخته في حلقه ، وخاصة عندما قال (أدهم) ، في صرامة :

- من (بابيوس) هذا ؟

ارتجفت كل ذرة في كيان الرجل ، وهو يقول :

- سأخبرك يا سيدى .. سأخبرك كل ما ترغب في معرفته .
وانحلت عقدة لسانه ..

★ ★ ★

تطلع (أرنولد) إلى ساعته في قلق ، وهو يغمغم :

- إنها العاشرة إلا خمس دقائق .. هل تعتقد أنه سيصل فى موعده ؟

أجابه (بروس) فى هدوء :

- نعم .. لهفته للحصول على المليون دولار ، مستفوق لهفتنا للحصول على الوثائق .. اطمئن .

عقد (أرنولد) حاجبيه في توتر ، وعاد يلقي نظرة على ساعته ،
ويدير عينيه في عشرات الوجوه ، التي تملأ محطة القطار ، قبل أن
يقول :

- يا له من مكان !... أشعر وكأن كل شخص هنا يعلم ما جئنا من
أجله .. أو أن عشرات الجواسيس يحيطون بنا ، ويرصدون تحركاتنا .

ضحك (بروس) ، وهو يقول :

- لا تبألغ يا رجل .. الأمر أبسط من هذا بكثير ، ثم إن للزحام
فوائده ، فلن ينتبه أحد ، وسط هذه الحشود ، إلى عملية التسليم
والتسلم .

قال (أرنولد) :

- هل تظن هذا ؟

هز كتفيه ، مجيباً :

- إنه نوع من التغيير على الأقل .

لفهما الصمت مرة أخرى ، وراح كلاهما يلحظ الوجوه المحيطة
به ، حتى سمعا فجأة صوتاً من خلفهما يقول :

- هل أحضرتما المليون دولار ؟

كانا يجلسان على أحد المقاعد المزدوجة ، ذات الوجهين ، في
نفس المكان الذي حدثته الرسالة ، وكان من الواضح أن محادثتهما
يجلس خلفهما ، ويوليها ظهره ، لذا فقد استدار (أرنولد) محاولاً
رؤيته ، ولكنه سمعه يقول في حدة :

- لا تلتفت .

عقد (أرنولد) حاجبيه في غضب ، ولم يرق له أن يتلقى الأوامر

من أحد الهواة ، ولكنه أطاع الأمر ، ولم يكمل استدارته ، في حين
قال (بروس) :

- نعم .. لقد أحضرنا المبلغ .. هل أحضرت أنت الوثائق ؟

مد الرجل يده إليه بمظروف كبير ، وهو يقول :

- ها هي ذى .. تأكد من أنها صحيحة .

اختطف (بروس) المظروف في لهفة ، وهو يدفع الحقيبة نحو

الرجل ، قائلاً :

- وما هي ذى النقود ، فأنا واثق من أنها الوثائق الصحيحة .

أمسك الرجل الحقيبة في قوة ، ومد يده ليفتح قفلها ، ويلقي نظرة
على النقود ، في نفس اللحظة التي فض فيها (بروس) المظروف ،

ليلقي نظرة على الوثائق ، فهتف (بترو) من بعيد :

- إنه يقرأ الوثائق .

عقدت (زاشيل) حاجبها ، وقالت :

- لقد جنى على نفسه .. أنت تعرف الأوامر .

سألها في قلق :

- هل أطلق النار على رجل مخابرات أمريكي ؟

قالت في حدة :

- الأوامر لم تستثن أحداً .

جذب إبرة مسدسه ، وهو يغمغم :

- فليكن .. أنت قائدة المهمة .

وصوب المسدس إلى (بروس ماكنيلي) ، وضغط الزناد ، و ...

واندلعت الحرب في محطة قطار (أثينا) .

★ ★ ★

٩ - حرب الوثائق ..

ارتجف (زوايد) ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يقول لـ (أدهم) :

- (بابيوس) ليس صديقي ، ولست أعرف عنه شيئاً تقريباً ، ولكنه استأجرني للتفاوض مع (كوستا) ، لأنني أقيم في منطقة أخرى ، ومن رأيه أن هذا سيجعل اختفائي سهلاً ، عندما تنتهي المهمة .. ولقد كنت أتصور أن الأمر لا يعدو مجرد شراء رسائل غرامية ، تهدد بها امرأة (بابيوس) ، بسبب علاقة قديمة بينهما ، قبل أن يرتبط بزوجته الحالية .. هذا ما أخبرني به .
سأله (أدهم) :

- وكيف تلتقي به في المعتاد ؟

أجابه (زوايد) :

- هو يجري اتصاله بي وقتما يشاء .

سأله (أدهم) ، وهو يلصق فوهة المسدس بجبهته :

- أتدعى أنك لم ترد قط .

هتف الرجل :

- أنا لم أقل هذا .. لقد شاهدته مرة أو مرتين ، وخاصة عندما أعطاني النقود ، لأوصلها إلى (كوستا) .

قال (أدهم) ، في صرامة :

- تستطيع أن تصفه إذن .. أليس كذلك ؟

أوماً (زوايد) برأسه إيجاباً ، وقال :

- بكل تأكيد .. بكل تأكيد .

جذب (أدهم) مسند مقعد (زوايد) ، ثم أداره إلى اليمين ، فانفتحت فيه فجوة مستطيلة كبيرة ، انتزع منها جهاز كمبيوتر شخصياً ، شبيهاً بذلك الذي تمتلكه (راشيل) ، وأبرز شاشته ، ثم ضغط أزراره ، قائلاً :

- ابدأ الوصف إذن .

تطّلع الرجل إلى الكمبيوتر في دهشة ، ثم التقط نفساً عميقاً ، وبدأ يلقي أوصاف (بابيوس) واحدة بعد الأخرى ، و (أدهم) ينقل هذا إلى الكمبيوتر ، الذي يرسم صورة تقريبية للرجل ، واستغرق هذا نصف ساعة كاملة ، قبل أن يهتف (زوايد) :

- إنه هو .

سأله (أدهم) ، في حزم :

- أنت واثق ؟

هتف الرجل :

- تمام الثقة .. هذا الجهاز رائع بحق .. لقد صنع صورة طبق الأصل منه .

ضغط (أدهم) زرّاً في الجهاز ، فصدر عنه أزيز خافت ، ثم ظهرت صورة مطبوعة للرجل ، من تجويف رفيع ، فالتقطها (أدهم) ، ودسّها في جيبه ، وهو يقول :

- خذ بنصحتي يا رجل ، وانطلق من هنا إلى أقرب محطة (أوتوبيس) ، وغادر (أثينا) كلها ، دون أن تلتفت خلفك ، فلقد تورّطت ، دون أن تدري ، في عملية بالغة الخطورة .

شحب وجه الرجل ، وهو يتمتم :

- إلى هذا الحد ؟

أجابه (أدهم) :

- بل أكثر من أى حد يمكنك تخيله ، ولتحمدا لله (سبحانه وتعالى) ، لأننى الشخص الذى عثر عليك ، فلو كان الآخرون قد وجدوك أولا ، لكان هذا آخر يوم فى عمرك كله .

امتقع وجه الرجل بشدة ، حتى صار أشبه بالورقة البيضاء ، وهو يقول :

- حمدا لله .. حمدا لله .

أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده ، وهو يلوح بيده ، قائلا :

- هيا .. اذهب .

فتح الرجل باب السيارة ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، وكأنه يخشى أن يتراجع (أدهم) فى قوله ، فى حين انطلق هذا الأخير بالسيارة ، وهو يقاوم تلك الدوار العنيف ، الذى يهاجمه بلا رحمة .. كانت الدماء تغرق جانبه الأيسر تقريبا ، من عنقه حتى كله ، وجراحه تؤلمه كثيرا ، ولكنه قاوم فى استماتة ، حتى بلغ تلك البناية ، التى يقيم فيها الدكتور (يورغو) ، فأوقف السيارة ، وتسلل إلى البناية خلفية ، حتى لا ينتبه إليه الحارس ، واستقل المصعد إلى الطابق السادس ، وطرق باب الدكتور (يورغو) ، الذى يقيم ويعمل فى شقتين متجاورتين ، وانتظر حتى سمع صوته من الداخل يقول :

- من الطارق ؟

ازدرد (أدهم) لعبابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- أنا أحد أفراد (جمعية أصدقاء الهرم الأكبر) .

لم يكذ الدكتور (يورغو) يسمع هذه العبارة ، حتى فتح الباب بسرعة ، وقال :

- ادخل قبل أن يلحقك أحد .

دلف (أدهم) إلى الشقة فى صعوبة ، وتوقف وسط ظلامها ، و (يورغو) يغلق الباب خلفه ، ثم يضىء الأنوار ، قائلا :

- ما الذى يمكننى تقديمه لك ؟

قالها وهو يستدير ليواجه (أدهم) ، ولم يكذ بصره يقع عليه ، تحت أضواء الردهة ، حتى اتسعت عيناه فى شدة ، وهتف :

- رباه !.. إنك مصاب بشدة .

أوما (أدهم) برأسه إيجابا ، وقال فى تهالك :

- هذا صحيح ، وأعتقد أننى أحتاج إلى بعض الرعاية الطبية . هتف الدكتور (يورغو) :

- بعض الرعاية الطبية ؟!.. إنك تحتاج إلى إسعاف كامل يا رجل .. تعال معى .. سأنقلك إلى حجرة الإسعافات على الفور .

ترنح (أدهم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. إننى أحتاج إلى .. إلى ...

ولم يستطع إكمال عبارته ، وهوى ..

هوى فاقد الوعي ..

★ ★ ★

اخترقت رصاصة (بترو) الأولى ذراع (بروس) ، فصاح

والمظروف يسقط من يده :

- إنهم يحاولون قتلنا يا (أرنولد) .

قفز (أرنولد) ينتزع مسدسه ، فانطلقت صرخات المحيطين به ،
ووثب (بابيوس) من مكانه ، وانطلق يعدو بحقيبة النقود ، فى نفس
اللحظة التى أطلق فيها (بترو) رصاصته الصامته الثانية ، لتغوص
فى معدة (بروس) ..

وفى هذه المرة ، لمح (أرنولد) (بترو) ، وحذد موضع إطلاق
النار ، فصوب إليه مسدسه ، وصاح :
- ابتعد يا (بروس) .. سأظفر به .

ساد الهرج والمرج فى المحطة ، عندما أطلق (أرنولد)
رصاصته ، فى حين أمسك (بروس) معدته ، وحاول أن يجرى
هاتفاً :

- الوثائق .. أنقذ الوثائق .

ولكن (بترو) كان يعرف الأوامر جيذا ..

لقد رأى (بروس) الوثائق ، واطلع عليها ، وأصبح من المحتم
أن يموت ..

وعلى الرغم من أن (أرنولد) انطلق يعدو نحو (بترو) ، إلا
أن هذا الأخير تجاهله تماماً ، وهو يصوب مسدسه نحو (بروس) ،
الذى انحنى محاولاً التقاط الوثائق ، ويطلق عليه النار ..

وفى هذه المرة ، اخترقت الرصاصة رأس (بروس) ، وأسقطته
جثة هامدة على الفور ، وسالت الدماء من جمجمته لتفرق الوثائق
الإسرائيلية ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (أرنولد) رصاصاته
نحو (بترو) ، وسط صرخات الجميع وهرجهم ..

وأصاب الرصاصات كتف (بترو) وذراعه ، فقفز من مكانه ،
وانطلق يعدو بين الزحام ، و (أرنولد) يطارده فى إصرار ، على
الرغم من أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب بسرعة ..
أما (بابيوس) ، فقد انطلق يعدو مذعوراً ، ويقبض على حقيبة
النقود بكل قوته ، ولكن (راشيل) انطلقت خلفه ، وصاحت به :
- توقف يا رجل ، وإلا أطلقت النار .

ولكن (بابيوس) لم يتوقف ، وإنما واصل عدوه وسط الفارين من
ساحة إطلاق النار ، إلا أن (راشيل) صوبت مسدسها إليه ، وهتفت :
- أنت أردت هذا أيها الحقيير .

وأطلقت النار نحوه ، ولكن رصاصتها أصابت يده اليمنى ، فصرخ
والحقيبة تسقط من يده :
- لا .. النقود .

كان يهم بالتقاطها ، عندما أطلقت (راشيل) رصاصتها الثانية ،
وأصابته فى ذراعه ، فتراجع مردداً فى مرارة :
- النقود .. سأفقد النقود .

ورأى (راشيل) تصوب إليه مسدسها للمرة الثالثة ، فوازن
بسرعة بين حياته والنقود ، وانطلق يعدو مختلطاً بالمارة ، تاركاً
حقيبة النقود خلفه ، فانطلقت (راشيل) خلفه ، ورأته يشب داخل
سيارة أجرة ، وينطلق بها بأقصى سرعته ، فهتفت محنقة :
- اللعنة !

ثم أعادت مسدسها إلى غمده ، وعادت أدراجها بسرعة إلى حيث
سقط (بروس) ، وانتزعت الوثائق الملوثة بالدماء من تحت رأسه ،
وهى تغتمغ :

- لا تأخذ الأمور بما أخذ شخصي أيها الملحق العسكري الأمريكي ..
إنها دواعي العمل .

وأسرعت تغادر المكان ، وتختلط بالجموع المذعورة ، في نفس اللحظة التي وصلت فيها سيارات الشرطة ، وأحاطت بالمحطة ، ولكنها لم تستطع منع المئات من مغادرة المكان ، فتسللت بينهم (راشيل) ، وغادرت المحطة ، وفي أعماقها ابتسامة ساخرة كبيرة .. وفي هذا الوقت بالتحديد ، كان (أرنولد) يواصل مطاردته لـ (بترو) ، في أحد الشوارع الجانبية ، وهذا الأخير يعدو نحو سيارته ، محاولاً بلوغها ، قبل أن تبلغه رصاصات رجل المخابرات الأمريكي ، ولكن (أرنولد) توقف ، وصوب مسدسه إلى (بترو) في غضب ، وهو يقول :

- هذا من أجل (بروس) .

وأطلق رصاصاته في إحكام ، فاخترقت ظهر (بترو) في ثلاثة مواضع ، ودفعته إلى الأمام في عنف ، فارتطم بسيارته ، ولكنه تماسك ، واستدار يواجه (أرنولد) ، الذي هتف :

- وهذا من أجل الوثائق الحظيرة .

وأطلق خمس رصاصات أخرى ، اخترقت كلها جسد (بترو) ورأسه ، فارتطم ظهره بالسيارة هذه المرة ، وانطبعت دماؤه عليها ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وعندما أعاد (أرنولد) مسدسه إلى غمده ، كان يعلم أن خصمه قد خرج هذه المرة من اللعبة ..
خرج إلى الأبد ..

★ ★ ★



وأطلق رصاصاته في إحكام ، فاخترقت ظهر (بترو) في ثلاثة مواضع ،
ودفعته إلى الأمام في عنف ، فارتطم بسيارته ..

ألقى (ناحوم) نظرة على ساعته في قلق، وهو يقول لزميله (كوهين)، في المنزل الآمن، الذي اختاره (الموساد) :

- (راشيل) و (بترو) تأخرا كثيرا، وأشعر بالقلق من أجلهما .
قال (كوهين) في هدوء، وهو يشعل سيجارته :

- لا تقلق بشأن (راشيل) .. إنها امرأة قوية، تفوق كل من عرفتهم من رجال .

مط (ناحوم) شفتيه، وقال :

- ولكنها لا تروق لي قط، فهي ...

قبل أن يتم عبارته، سمع الاثنان صوت مفتاح يدور في ثقب الباب، فبتر حديثه، واستدار مع (كوهين) يتطلعان إلى الباب في حذر، وأصابعهما تداعب مقبضى مسدسيهما، وما إن وقع بصرهما على (راشيل)، حتى استرخت عضلاتهما، وسألها (كوهين) في اهتمام :

- أين كنت ؟ .. وأين (بترو) ؟

عقدت حاجبيها، وهي تجيب في توتر :

- (بترو) لقي مصرعه .

هتف (ناحوم) :

- اللعنة !

أما (كوهين)، فقد انتبه إلى المظروف الملوّث بالدم بين أصابعها، فسألها في لهفة :

- هل حصلت على الوثائق ؟

أجابته، وهي تفض المظروف :

- لقد اضطررنا لقتل (بروس ماكنيللي)، رجل المخابرات الأمريكي، والملحق العسكري للسفارة الأمريكية هنا، لأنه اطلع عليها، وكادت أظفر بشاملها، لولا اضطراب الموقف في محطة القطار، وفي الوقت نفسه راح (أرنولد ويلز) يطارد (بترو)، ونجح في قتله، قبل أن يبلغ سيارتنا، فاضطرت للعودة في واحدة من سيارات الأجرة .

بدا الضيق على وجه (كوهين)، وقال (ناحوم) في حدة :

- سأقتل هذا الأمريكي، عندما ...

قاطعته صيحتها الغاضبة :

- اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .

سألها في دهشة :

- ماذا حدث ؟

طوّحت الوثائق في غضب، وهي تقول :

- إنها ليست الصورة الأصلية للوثائق، بل نسخة رديئة منها، وذلك الحقيّر ما زال يحتفظ بالصورة الأصلية و (الميكرو فيلم) .

هتف (كوهين) :

- يا للشيطان ! .. وكيف نظفر به هذه المرة ؟

ضربت سطح المائدة بقبضتها، وهي تقول في حدة :

- سنعثر عليه، حتى لو اضطررنا لنبش كل ركن في (أثينا) .

ثم رفعت سيّابتها، مستطردة :

- وأعتقد أن لدينا طرف خيط، يمكن أن يقودنا إليه .

اعتدل (ناحوم)، يسألها في اهتمام :

- وما هو ؟

نهضت من مقعدها فى حماس ، قائلة :

- رقم سيارة الأجرة ، التى استقلها ليهرب من المحطة .. لقد التقطت الأرقام الثلاثة الأولى منها ، ويمكننا بقليل من الجهد أن نتوصل إليها ، وستقودنا حتماً إليه .

سألها (كوهين) :

- وهل تظنين أن سائق السيارة سينتكره ؟

أجابته فى انفعال :

- لقد قاد السيارة بنفسه ، وهذا يعنى أنه أحد سائقى سيارات الأجرة .

رفع (ناحوم) حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

- سائق سيارة أجرة ؟!.. وكيف حصل رجل كهذا على وثائقنا ؟

أجابته فى صرامة :

- لست أدرى ، ولكنه لن ينعم بها طويلاً ، فحتى لو غاص فى أعماق الأرض ، سنتوصل إليه ، وننتزعه منها ، وعندئذ سيدفع الثمن غالياً .

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تستطرد :

- غالياً جداً .

★ ★ ★

هل لى أن أفهم ما حدث بالضبط ؟ .

ألقى مفتش الشرطة اليونانى هذا السؤال على (أرنولد) ، فى غضب واضح ، ولكن هذا الأخير بدا حازماً حاسماً ، وهو يجيبه :

- لست أدرى .. ربما كانت محاولة لسرقة بعض الوثائق

المصرية منا ، فقد كنا نحملها فى حقيبة جلدية سوداء ، ويبدو أن أحدهم خطط لسرقتها ، وأطلق النار على زميلى لهذا الغرض .

لوح المفتش بذراعه ، وقال فى حنى :

- فطاريته أنت فى شوارعنا ، وأطلقت عليه النار حتى الموت .

قال (أرنولد) :

- وهل كنت تتوقع منى أن أقف مكتوف اليدين ، أراقبه فى أثناء

فراره ؟

صاح المفتش :

- بل كنت أتوقع منك أن تحترم قانون الدولة ، التى تقيم فيها .

أجاب (أرنولد) ، فى صرامة :

- أنا رجل أمن معتمد فى السفارة الأمريكية ، وأحمل جواز سفر

دبلوماسية ، وأرفض إجابة أى سؤال ، أو مناقشة أى أمر ، قبل

حضور مندوب خاص من وزارة الخارجية ، كما تقتضى التعليمات .

زفر المفتش فى حنى ، وقال :

- أعلم هذه التعليمات السخيفة .

ثم التقط الحقيبة الجلدية السوداء ، وهو يستطرد :

- أهذه هى الحقيبة ، التى تتحدث عنها ؟

أجاب (أرنولد) :

- هى بعينها ، ويدهشنى أن عثرتم عليها .

قال المفتش :

- هذا من حسن حظك ، ففى غمرة الموقف ، خشى كل مخلوق

أن يلمسها ، خوفاً من أن تكون ملغومة .

مذ (أرنولد) يده ليستعيد الحقيقة ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا من حسن الحظ بالفعل .

جذبها المفتش إليه ، قبل أن تبلغها يد (أرنولد) ، وقال :

- أريد التأكد من محتوياتها أولاً .

عقد (أرنولد) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول في صرامة :

- إنها حقيقة ديبلوماسية أيها المفتش ، ولو فتحتها الآن ، سيكون

عليك أن تبرر موقفك هذا أمام المسؤولين في دولتك ، عندما تحتج دولتي على هذا التصرف رسمياً .

صمت المفتش لحظة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة ، قبل أن يلقي الحقيقة إليه ، قائلاً في سخط :

- تباً لكم .

التقط (أرنولد) الحقيقة ، وألقى نظرة على جثة زميله

(بروس) ، التي ينقلها رجال الإسعاف إلى سيارتهم ، ثم أدار ظهره

للمفتش ، واتجه إلى سيارته مباشرة ، والمفتش يهتف من خلفه :

- ثقي بأنها ليست نهاية المطاف .. سأظفر بك إن عاجلاً أو آجلاً ..

إنها جريمة قتل ، وليست مخالفة مرور بسيطة .

تجاهله (أرنولد) تماماً ، وهو يدير محرك سيارته ، وينطلق بها

مبتعداً ، وغمغم في حلق شديد .

- إذن فقد دخل الإسرائيليون اللعبة بكل ثقلهم ، ويصرون على

عدم التفريط في وثائقهم .. فليكن .. سنثبت لهم أننا ملوك هذه

اللعبة .. أقسم أن نفعل .. أقسم ألف مرة .

وقبضت أصابعه على مقود السيارة في قوة ..

وفي غضب ..

★ ★ ★

تحسّس (كوستا) تلك الكدمات ، التي تخلّفت عن لكمات (أدهم)

في وجهه ، وهو يقول لفتاة البار في غضب :

- يا لذلك الرجل اللعين ؟! .. كيف يفعل كل هذا ؟! لقد ذك الرجال

الخمسة بقبضتيه . كما لو أنه بلدوزر ضخم ، سحقهم بلا رحمة .

قالت الفتاة في إعجاب :

- إنه قوى ووسيم .

رمقها (كوستا) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- اللعنة عليك أنت أيضاً .. هل نسيت أنني رب عملك ، وولى

نعمتك ؟

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهي تغادر حجرة مكتبه ، قائلة في

غضب :

- لا .. لم أنس ، وحاول أنت ألا تنسى أن هذا كل ما يربطني بك ،

ولا تزرني في منز ...

شهقت فجأة ، قبل أن تتم عبارتها ، فرفع (كوستا) عينيه إليها

في سرعة ، واتسعت عيناه في دهشة ، عندما وقعتا على

(بابيوس) ، الذي اندفع إلى مكتبه ، والدماء تغطي ذراعه وكفه

اليمنى ، هاتفاً :

- أنقذني .. أنقذني يا (كوستا) .

هبّ (كوستا) من مقعده ، ودفع الفتاة خارجاً ، وهو يقول لها

في غلظة :

- اتركينا وحدنا .. هيا .. اذهبي إلى عملك .

وأغلق الباب خلفها فى إحكام ، ثم استدار إليه ، يسأله فى توتر :
- ماذا أصابك ؟ .. وما الذى أتى بك إلى هنا ؟
لوح (بابيوس) بذراعه السليمة ، وهو يقول :
- لست أعرف سواك ، ممن يمكننى اللجوء إليهم ، فى مثل هذه الظروف .. لقد أصابتنى تلك اللعينة برصاصتين ، فى كفى وذراعى ، وأحتاج إلى من يستخرجهما ، ويداوى جراحى ، دون أن يلقى أية أسئلة .

هتف (كوستا) :

- وما شأنى أنا بهذا ؟

صاح به (بابيوس) :

- أنت صاحب بار . وكل أصحاب البارات أوغاد ، ولهم دائما علاقات وثيقة بالقذرين أمثالهم ، وكل ما أحتاج إليه هو أن تجرى اتصالاتك ، وتحضر لى من يفعل هذا .

سأله (كوستا) ، فى حدة :

- مقابل ماذا ؟ .. كم ستدفع له ؟

عض (بابيوس) شفتيه فى قهر ، وهو يقول :

- لست أملك شيئا فى هذه اللحظة ، على الرغم من أننى كنت أحمل حقيبة تحوى مليونًا من الدولارات ، منذ أقل من ساعة واحدة .

برقت عينا (كوستا) فى لهفة وجشع ، وهو يهتف :

- مليون دولار .. أنت كنت تحمل مليون دولار ؟ .

هتف (بابيوس) :

- نعم يا رجل .. كنت أفوز بمليون دولار ، لولا هذه اللعينة .

صاح به (كوستا) :

- هيا يا رجل .. قصّ على القصة كلها .

صرخ (بابيوس) :

- اللعنة عليك .. هل ستتركنى أتزف حتى الموت ؟! .. أنقذنى أولاً

يا رجل ، وسأروى لك القصة كلها .

قفز (كوستا) إلى هاتفه ، وهو يقول :

- فنيكن .. سأرسل فى إحضار طبيبى الخاص . ولكننى أصرّ على

اتفاقنا .. سيداوىك الطبيب ، ثم تقصّ على القصة ..

وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

- قصة المليون دولار .

وكان هذا إيذانًا بدخول لاعب آخر إلى الملعب ، واتضمامه إلى

أطراف اللعبة .

لعبة الموت ..

★ ★ ★

١٠ - قواعد اللعبة ..

(أثينا) : الرابع عشر من يناير ..

★ ★ ★

أوقف (مجدى) سيارته أمام البناية الأنيقة ، التى يقيم فيها الدكتور (يورغو) ، والتقط جريدة الصباح من المقعد المجاور له ، وطواها وهو يغادر السيارة ، فى الساعة والنصف صباحا ، واستقل المصعد إلى الطابق السادس ، وطرق باب شقة الدكتور (يورغو) ، ثم وقف ينتظر لحظات ، حتى سمع صوته من الداخل ، يسأل :
- من بالبواب ؟

شد (مجدى) قامته ، وهو يجيب :

- مندوب جمعية (أصدقاء الهرم الأكبر) .

مضت لحظة صامتة ، ثم فتح (يورغو) الباب ، وقال :

- أى مندوب بالتحديد ؟

أجابه (مجدى) :

- الذى اتصلت به منذ نصف الساعة .

أفسح له (يورغو) الطريق ، وقال :

- ادخل .

دلف (مجدى) إلى الشقة فى سرعة ، وهو يسأله :

- كيف حال سيادة العقيد ؟

أجابه (يورغو) ، وهو يقوده إلى حجرة جانبية مستقلة :
- فى خير حال .. إنه نائم فحسب ، ولكن صحته على ما يرام ، فمغطفه حماء من إصابة ذراعه ، والجرح فى عنقه سطحي إلى حد ما ، إلا أنه فقد الكثير من الدماء ، وكان من الضروري أن ننقل له بعض الدم الطازج .

سأله (مجدى) فى خماس :

- هل تحتاج إلى دمي ؟

ابتسم (يورغو) ، وهو يربّت على كتفه ، قائلا :

- يسعدنى أن تعرض هذا ، ولكننى أعطيتك الدم بالفعل ، فقد خرجت بعد منتصف الليل ، وابتعت لترّا من الدم ، من بنك دم خاص ، مستخدما هويتى ، ومدعيا أنه لعلاج حالة نزيف رحمى حاد ..

تطلع (مجدى) داخل الحجرة ، ورأى (أدهم) نائما على فراش وثير ، وإلى جواره حامل طبي أنيق ، تعلق فيه كيس من أكياس الدم

الفارغة ، فسأل (يورغو) فى قلق :

- متى يستعيد قدرته على الحركة ؟

أجابه (يورغو) مبتسما :

- فور استيقاظه ، فجسده القوى سيساعده على امتصاص

واستيعاب الموقف بسرعة .

أوما (مجدى) برأسه فى ارتياح ، وهو يغمغم :

- حمدا لله ... حمدا لله .

ثم التفت إلى (يورغو) ، مستطرذا بابتسامة كبيرة :

- ماذا كنا سنفعل بدونك ؟

أجابه (يورغو) ، على الفور :
- أنا لم أفعل أكثر مما يحتمه على واجبى .. هل نسيت أننى
مصرى ؟

ولم يكن مخطئاً فى هذا ..

فالتواقع أن الدكتور (يورغو) قد وُلِدَ فى (مصر) ، التى أقام
فيها والداه لفترة طويلة من الزمن ، وقضى فيها طفولته وصباه
وشبابه ، وتعلّق بها كثيراً ، حتى أصبح عاشقاً لها ، فى أثناء دراسته
فى كلية الطب ، جامعة (عين شمس) ..

ولأنه محب حقيقى لـ (مصر) ، كان من الطبيعى أن يلتفت انتباه
جهاز المخابرات العامة ، الذى أرسل رجاله لمراقبته ، ودراسته ،
وتحليل شخصيته جيداً ، حتى أيقن خبراء الجهاز أنه لا يدعى عشقه
لـ (مصر) ، وإنما يغرق فى هواها حتى النخاع ..
وهنا تم الاتصال به ، والاتفاق معه على تقديم خدماته لنا ، بأية
صورة تروق له ..

ولم يتردد (يورغو) فى الموافقة ..

وطوال السنوات التى قضاها فى دراسته الجامعية ، لم يطلب منه
القيام بعمل واحد ، حتى تخرج من الجامعة ، وسافر إلى (أثينا) ،
ليبدأ حياته العملية هناك ..

وعندئذ ، بدأ تعاونه مع المخابرات المصرية ..

ولم يتوان (يورغو) لحظة واحدة ، عن تقديم أفضل الخدمات
لنا ، مع حفاظه على الشرط الوحيد ، الذى وضعه عندما انضم
للمخابرات العامة المصرية ..

ألا يعمل أبداً ضد مصلحة (اليونان) ..
ولقد احترم المصريون شرطه هذا ، الذى يشف عن أصالته ،
وصدقه ، وروح الحزم والوفاء فى أعماقه ..
(مجدى) .. أنت هنا ؟! ..

ارتفع صوت (أدهم) بهذه العبارة ، فالتفت إليه (مجدى) فى
سرعة ، قائلاً :

- فى خدمتك يا سيادة العقيد .

نهض (أدهم) من الفراش ، وابتسم قائلاً للدكتور (يورغو) :
- صباح الخير يا دكتور .. يبدو أنك أحسنت التعامل مع إصاباتى ،
فأنا أشعر بالنشاط والانتعاش اليوم .

بدا الارتياح على وجه (يورغو) ، فى حين قال (مجدى) مخلصاً :
- حمداً لله على سلامتك يا سيدى .

سأله (أدهم) :

- أين (أنور) ؟

تنهّد (مجدى) ، وخفض عينيه ، وهو يغمغم :

- لدى خبر سيئ بشأنه .

وراح يروى لـ (أدهم) كل ما حدث فى غيابه ، وقص عليه قصة
مصرع (أنور) ، وإن لم يكن لديه الكثير من التفاصيل ، ثم أخبر
ما حدث فى محطة القطار ، فقال (أدهم) فى أسف :

- مسكين (أنور) .. كم يؤسفنى ذلك الجزء العنيف من عملنا .

غمغم (مجدى) :

- لقد مات كما تمنى طيلة عمره يا سيدى .. وهو يؤدى واجبه .

أوما (أدهم) برأسه متفهماً ، وقال :

- هذا عزاؤنا الوحيد .

ثم التقط نفساً عميقاً ، ليسيّط على مشاعر الحزن والغضب في أعماقه ، قبل أن يقول :

- ولكن دعنا لا نقحم مشاكلنا الخاصة في العمل .. لقد لقي (أنور) (رحمه الله) مصرعه ، في متجر العم (كريكوس) ، وهذا يعني أن الإسرائيليين قد توصّلوا إلى أنه الرجل الذي قام بتكبير وطبع (الميكرو فيلم) .. ومن المؤسف أن الرجل رفض الانصياع لنصيحتنا ، وإغلاق متجره لبضعة أيام ، وتثبيت بالبقاء فيه حتى آخر رمق .. أما حادث محطة القطار ، فيعني أن الإسرائيليين مصرون على تدمير كل من يطلع على وثائقهم ، حتى ولو كان أحد أصدقائهم الأمريكيين ، وهذا يوحى بمدى أهمية وخطورة هذه الوثائق .

قال (مجدى) :

- المفروض أنهم حصلوا عليها أمس .

هز (أدهم) رأسه ، وقال :

- هذا لن يكفيهم ، فإزال (الميكرو فيلم) نفسه مفقودا ، وما زال هناك احتمال لوجود نسخ أخرى من الوثائق ، ماداموا لم ينجحوا في العثور على (بابيوس) .. وبالمناسبة .. لدى صورة له ، ويمكنك عرضها على نقابة سائقي سيارات الأجرة ، ومن المؤكد أن أحدهم سيتعرفه ، ويرشدنا إليه .

سأله (مجدى) ، في دهشة :

- أهو سائق سيارة أجرة ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- هو كذلك ، ولكن المهم أن نتوصّل إليه قبل الإسرائيليين ، الذين

اتساءل عن خطوتهم التالية .

أجاب (مجدى) :

- أعتقد أنتى أعرف خطوتهم التالية .

ثم تناولته الجريدة ، وأشار إلى فقرة في باب الإعلانات ، وهو

يستطرد :

- اقرأ هذا الإعلان .

التقط (أدهم) الجريدة ، وقرأ فيها إعلاناً يقول :

- مطلوب مترجم ، من العبرية إلى الإنجليزية ، بمكافأة

مغرية .. يشترط وجود خبرات سابقة حديثة .. ،

ويلي ذلك اسم وعنوان الشخص ، الذى يتم الاتصال به للتعاقد ..

وخفض (أدهم) الجريدة ، وهو يقول :

- لعبة ذكية من الإسرائيليين ، وستساعدهم كثيراً فى التوصل إلى

المترجم .

سأله (مجدى) :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ، لنعترض خطتهم هذه يا سيدى ؟

عقد (أدهم) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- الأمر ليس سهلاً يا (مجدى) ، فالغرض من هذا الإعلان هو

معرفة ذلك الشخص ، الذى ترجم وثائقهم ، وعند معرفته ، سيبدل

الإسرائيليون أقصى طاقاتهم لاستجوابه ، حتى ولو اضطروا لبتّر

أطرافه كلها ، حتى يرشداهم إلى حامل الوثائق ، وبعدها سيتخلصون

منه حتمًا ، وهذا يعنى أنه من العسير أن نرسل شخصًا إليهم ، يدعى أنه المترجم ، فسيعرضه هذا الخطر بالغ ، ومن المستحيل - فى الوقت ذاته - أن نتركهم ينفذون خطتهم ، ويظفرون بالمترجم .

بدت الحيرة على وجه (مجدى) ، وهو يقول :

- وما الذى تقترحه إذن يا سيدى ؟

صمت (أدهم) مفكرًا للحظات أخرى ، ثم قال فى حزم :

- بالنسبة إليك ، ستتولى مراقبة ذلك العنوان فى الجريدة ، وتحديد شخصية كل مترجم يستجيب للإعلان ، مع تصويره لو أمكنك هذا ، وقبل هذا سأرسلك فى مهمة إلى نقابة سائقى سيارات الأجرة .

ثم رفع عينيه ، مستطردًا :

- أما أنا ، فسأحاول أن أقترّب أكثر .. أكثر بكثير .

وبدت عبارته غامضة ..

غامضة للغاية ..

★ ★ ★

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف صباحًا بعد ، عندما سأل (كوستا) طبيبه الخاص فى لهفة شديدة :

- هل داويت جراحه ؟

ألقى الطبيب نظرة سريعة على (بابيوس) ، ومطّ شفتيه بحركة سوقية ، وهو يشعل سيجارته ، قائلاً فى اقتضاب :

- سيشفى .. اطمئن .

نقده (كوستا) مبلغًا محترمًا ، وهو يقول :

- أريده أن يصبح سليمًا معافى ، بأكبر سرعة ممكنة ؛ فأمره بهمنى كثيرًا جدًا .

تطلّع إليه الطبيب فى خمول ، وحكّ لحيته نصف النامية ، قبل أن يحصى النقود ، ويلقيها فى جيبه ، قائلاً :

- ولماذا هذه المرة بالذات ؟

أجابه (كوستا) ، فى خشونة :

- ليس هذا من شأنك يا رجل .. افعل ما أمرك به فحسب ، واحرص

على إرضائى ، ما دمت أدفع بسخاء .

هتف الطبيب :

- كيف تتحدث هكذا إلى طبيب محترم مثلى ؟

قهقه (كوستا) ضاحكًا ، وهو يقول فى سخرية :

- طبيب سابق يا رجل .. لا تنس هذا قط .. ثم ما صلتك أنت

بالاحترام ؟!.. لو أنك تعلم ما هو الطب المحترم ، لما سحبوا

رخصتك ، ومنعوك من مزاوله مهنتك .. دعنى أنكر السبب .. آه ..

إنها حالات إجهاض غير شرعية .. أليس كذلك ؟

قال الرجل فى حدة :

- لقد خسروا الكثير بفعلتهم هذه .. أنا أمهر طبيب فى المنطقة

كلها ، ولن يجدوا مثلى قط .

قهقه (كوستا) مرة أخرى ، وربّت على ظهره فى خشونة ، قائلاً :

- أعترف أنك طبيب ماهر ، وهذا ما يدفعنا للتعاون معك يا رجل ،

ولكن لا نتحدث عن الاحترام ، فهو لا يناسبك قط .

مطّ الطبيب شفتيه مرة أخرى فى حنق ، وهمهم بكلمات غاضبة

غير مفهومة ، وهو يغادر المكان ، فى حين فرك (كوستا) كفيه ،

والتفت إلى (بابيوس) ، الذى تمت فى ضيق :

- أنت تسىء معاملة طبيبك على نحو عجيب .

أشار (كوستا) بيده ، وقال :

- لا تقلق نفسك بشأنه .. إننا نتعامل بالأسلوب نفسه منذ سنوات .
ولولا النقود التى يحصل عليها منا ، لما أمكنه العيش قط .

ثم مال نحوه ، واستطرد فى لهفة :

- ولكن دعك منه ، وأخبرنى : ما قصة المليون دولار هذه ؟

ازدرد (بابيوس) لعابه ، وهو يشعر بالندم ، لأنه أعلن هذا الأمر
لرجل مثل (كوستا) ، ولكنه أدرك عدم جدوى التراجع الآن ،
فغمغم :

- تلك الخطابات ، التى أرسلت الأصل لإحضارها من صندوق
البريد ، لم تكن خطابات غرامية ، كما سبق وأن أخبرتك .

قال (كوستا) ، فى لهفة :

- أعلم هذا .

ثم تحسّس كدمات وجهه ، قبل أن يستطرد :

- أعلمه جيدًا .

التقط (بابيوس) نفسًا عميقًا ، وتابع :

- الواقع اننى حتى لم أتزوج بعد ، ولكن القدر ألقى فى طريقى

بوئانق هامة ، تساوى ثروة طائلة ، لو أحسن المرء استغلالها .

سأله (كوستا) ، فى لهفة :

- أى نوع من الوثائق ؟

أجابه (بابيوس) ، فى تردد :

- وثائق سرية إسرائيلية .

تراجع (كوستا) فى حركة عنيفة ، وهو يهتف فى ارتياح :
- وثائق سرية إسرائيلية ؟! .. أتعنى أن كل هذا كان جزءًا من لعبة
أجهزة مخابرات ؟!

أوما (بابيوس) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. لعبة اشتركت فيها عدة أجهزة مخابرات ، وكل منها
يسعى للحصول على الوثائق .

هتف (كوستا) :

- يا للهول !.. لقد تورطت كثيرًا يا رجل .

أجابه (بابيوس) ، فى سرعة :

- لم أتورط فى شيء .. لقد كنت أعلم وأدرك مدى صعوبة
وخطورة الأمر منذ البداية ، ولكن إغراء الربح كان كبيرًا ، فلم أستطع
مقاومته ، وأعددت خطتى بدقة بالغة ، حتى يمكننى العبث مع كل
أجهزة المخابرات ، والفوز بالغنيمة .

قال (كوستا) ، بأنفاس مبهورة :

- العبث مع أجهزة المخابرات ؟! .. كم أنت واهم يا رجل !

هز (بابيوس) رأسه ، وقال :

- لست واهمًا كما تتصور .. لقد أحسنت القيام بدورى ، ولم

يستطع أحدهم تعقبى ، بسبب تلك الخطة المعقدة التى وضعتها ، حتى

تصل إلى عروضهم ، وعلى الرغم من كثرة الخطابات ، كانت هناك

ثلاثة عروض إيجابية فحسب .. الأمريكيون .. والإسرائيليون ..

والمصريون .. ولكن الإسرائيليين والمصريين طلبوا الاطلاع على

الوثائق ، قبل إبرام الصفقة ، أما الأمريكيون ، فقد عرضوا مليون

دولار مقابل الوثائق ، دون قيد أو شرط .

برقت عينا (كوستا) ، وهو يهتف :

- رائع .. وماذا فعلت معهم ؟

أجابه (بابيوس) ، فى أسى :

- حددت لهم موعدا للقاء ، واخترت مكانا مزدحما ، يصعب عليهم التلاعب معى فيه ، وحضروا فى الموعد المحدد بالضبط ، وتم التبادل على خير ما يرام .. أعطيتهم الوثائق ، وأعطوني حقيبة جلدية ، تحوى المليون دولار .

هتف (كوستا) :

- وماذا حدث إذن ؟ .. أين المليون دولار ؟

قال (بابيوس) ، فى مرارة :

- فجأة ، راحت الرصاصات تنهال علينا كالمطر ، ورأيت أحد الأمريكيين يصاب برصاصة ، فاختطفت الحقيبة ، ورحلت أجرى مذعورا ، ولكن امرأة مجنونة طاردتنى فى إصرار ، وأطلقت على النار ، واضطرتنى للتخلى عن حقيبة النقود ، لأظفر بحياتى .

صرخ (كوستا) ، فى غيظ :

- وما قيمة حياتك هذه ؟

حذى (بابيوس) فيه بدهشة ، فتراجع بسرعة ، قائلا :

- أعنى أنه كان من الضرورى أن تخاطر .

هتف (بابيوس) :

- أخطرت بحياتى من أجل المال ؟ .. وماذا سأفعل به ، بعد أن ألقى مصرعى ؟ .. ما الذى يمكننى أن أحصل عليه عندئذ ؟

فهقه (كوستا) ضاحكا ، وهو يقول :

- جنازة فاخرة .

بدت دعابته مبتذلة ، بالنسبة لـ (بابيوس) ، الذى قال :

- أنت لا تحسن فهم الأمر .

هتف (كوستا) :

- بل أنت من لا يحسن التعامل مع الكبار .

ثم مال نحوه ، مستطرذا فى حماس :

- يبدو أنك قد نسيت ، فى غمرة لهفتك للحصول على المال ، أن أصحاب الوثائق هم أكثر من يهمه استعادتها .

قال (بابيوس) مبهورا :

- أتقصد الإسرائيليين ؟

تراجع (كوستا) ، هاتفا :

- بالطبع .. كان من الخطر أن تعقد الصفقة مع غيرهم يا رجل ، فأنت بهذا تعرض وثائقهم وأسرارهم للخطر ، ولن يمكنهم التفاوض قط عن أمر كهذا .

قال (بابيوس) ، فى قلق :

- أتقصد أن أولئك الذين أطلقوا النار على أمس ، وأصابوا ذلك

الأمريكى ، كانوا من الإسرائيليين ؟!

فرد (كوستا) كفيه ، وهو يقول :

- ومن غيرهم ؟ .. إنهم يدافعون عن أسرارهم يا رجل .. أسرارهم

التي أردت أنت منحها للأمريكيين ، مقابل مليون دولار .

بدا التوتر على وجه (بابيوس) ، وهو يقول :

- وكيف أعالج مثل هذا الأمر الآن ؟

أجابه ، فى حزم :

- اترك لى التفكير فى هذا .

وبرقت عيناه فى شراهة ، وهو يشرد ببصره فى عالم أحلامه ،
ويستطرد بلهجة يسيل لعابها .
- من الطبيعى ألا أدخر جهذا فى سبيل مليون دولار .
وبرقت عيناه أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

« نعم .. أعرفه .. »
ألقي مسئول نقابة سائقى سيارات الأجرة هذه العبارة فى بساطة ،
عندما عرض عليه (مجدى) صوة (بابيوس) ، فسأله رجل
المخابرات المصرى فى اهتمام :
- هل يمكننى الحصول على بعض المعلومات عنه ؟
هز الرجل رأسه كفيًا ، وقال :
- ليس هذا من حقل .
قال (مجدى) ، فى هدوء :
- إنه أمر بالغ الأهمية .
عاد الرجل بهز رأسه فى عناد ، قائلاً :
- ولو .

أخرج (مجدى) بضع أوراق مالية من جيبه ، وهو يقول :
- وماذا لو أننى دفعت الثمن ؟
تلقت الرجل حوله فى توتر ، ثم اختطف المبلغ من يد (مجدى) ،
وألقيه فى درج مكتبه فى سرعة ، وهو يهمس :
- ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟
أجابه (مجدى) ، فى حزم :
- كل ما يمكننى الحصول عليه .

همس الرجل فى توتر ، وهو يختلس النظر فيما حوله ، على الرغم
من أنه يجلس فى حجرة خالية ، وقال :
- اسمه (خريستو بابيوس) .. أعزب .. يقيم فى البناية السادسة
عشرة من شارع (مينرفا) .. الشقة رقم أربعة ، ويمتلك سيارة أجرة
برقم (٢٠٠٢٦٧) .. هذا كل ما أعرفه عنه .

ابتسم (مجدى) ، وهو يقول :

- هذا يكفى .

ثم استدار لينصرف ، فسأله الرجل فى دهشة :

- ألن تدون هذا ؟

أجابه ، فى بساطة :

- لقد فعلت .

قال الرجل ، بدهشة أكبر :

- أين ؟ .. لم أرك تكتب شيئاً .

ابتسم (مجدى) ، وأشار إلى رأسه ، مستطرداً :

- هنا .

تابع الرجل ببصره فى ذهول ، حتى غادر حجرته ، ثم هز رأسه
فى حيرة ، مغمغماً :

- لا يمكن أن يمتلك ذاكرة قوية إلى هذا الحد .

وعاد يهز رأسه ثانية ، والتفت إلى عمله ، ولكنه لم يكد يمسك
قلمه ، حتى اقتحم (ناحوم) حجرته ، وسأله فى اهتمام :

- أريد بعض المعلومات عن أحد سائقكم ، يمتلك سيارة صفراء ،
من طراز (رينو) ، تبدأ أرقامها بـ (٢٦٧) .

تطلع إليه الرجل لحظة في دهشة ، قبل أن يهتف :
- ماذا حدث بالضبط ؟.. لماذا تهتمون جميعًا بـ (بابيوس)
وسيارته ؟

انعقد حاجبا (ناحوم) في شدة ، وهو يقول :
- جميعًا ؟!.. من تقصد بالضبط ؟.. هل طلب أحدهم بعض
المعلومات عنه من قبل ؟
ارتبك الرجل ، وقال :
- هذا يحدث دائمًا .

رمقه (ناحوم) بنظرة قاسية ، ثم امتدت يده فجأة تقبض على
قميص الرجل ، وجذبه إليه في حدة ، وانتزع مسدسه من غمده ،
وألصقه بعنق الرجل ، وهو يقول في صرامة :
- وما الذى أخبرته به عن (بابيوس) هذا ؟
هتف الرجل ، في ارتياح :

- أخبرته أن اسمه (خريستو بابيوس) ، وأنه أعزب ، ويقيم في
السادس عشر من شارع (مينرفا) ، في الشقة رقم أربعة ، ورقم
سيارته هو (٢٠٠٢٦٧) ، .. أقسم لك إن هذا هو كل ما حصل
عليه .. أقسم لك .

سأله (ناحوم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه في حدة :
- ومن هذا الرجل ؟.. من الذى أخبرته بكل هذا ؟
قال الرجل ، وهو يوشك على البكاء :
- لست أدري .. أقسم لك إننى لست أدري .. مجرد رجل .. كيف
لى أن أعرف من هو .

كان يلقي جوابه ، عندما لمح (مجدى) فجأة ، من النافذة
المجاورة ، وهو يقطع الطريق متجهًا إلى سيارته ، فهتف :
- ها هو ذا .. ها هو ذا الرجل .

التفت (ناحوم) بسرعة إلى حيث يشير الرجل ، وانعقد حاجباه
في شدة ، وهو يرسم ملامح (مجدى) في ذاكرته ، قبل أن يغمغم :
- إنن فهذا هو الرجل .
وكانت عبارة تحمل مغزى مخيفًا ..
وقاتلاً ..

★ ★ ★



١١ - الترجمة الكاملة ..

وقف (أرنولد) فى مطار (أثينا) ، يراقب باب الخروج فى نفاد صبر ، وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، بين الحين والحين ، وينقل قدميه من مكان إلى مكان فى عصبية ، دون أن يبتعد عن سيارته (الفورد) البيضاء ، التى تحمل أرقامًا دبلوماسية ، حتى لمح امرأة طويلة القامة ، شقراء ، رياضية القوام ، جميلة الملامح ، فاندفع إليها ، هاتفا فى حرارة :

- (ليزلى) العزيزة .. كم يسعدنى أن استجبت لندانى .

أجابته فى برود ، وهى تتجه معه إلى سيارته :

- لا داعى لإضفاء تلك اللمسة العاطفية السخيفة على الموقف يا (أرنولد) .. أنت تعلم أننى لم أستجب لندائك الشخصى ، وإنما لبیت أوامر الوكالة ، عندما طلبوا منى الانتقال من (باريس) إلى (أثينا) ، لمعاونتك فى مهمة خاصة ..

أدار محرك السيارة ، وهو يقول :

- إنها مهمة خاصة بالفعل .

التفتت إليه فى تساؤل ، فتابع وهو ينطلق بالسيارة :

- لقد قتلوا (بروس) .

انعقد حاجباها فى شدة ، وارتسم غضب شديد على وجهها ، وهى

تقول :

- من هؤلاء ؟

أجابها ، فى حنى واضح :

- الإسرائيليون .

وثب حاجباها بغتة إلى أعلى ، وهى تهتف :

- الإسرائيليون؟! .. ولماذا يفعلون هذا؟! .. المفروض أننا أصدقاء ، وهناك تعاون رسمى بيننا وبين (الموساد) .

قال فى صرامة :

- من الواضح أن تلك الوثائق ، التى يبحثون عنها ، تمثل لهم أهمية بالغة ، وأنها تحوى من الأسرار ما أخفوه عنا .. والأرجح أنها بعض الأسرار النووية ، فربما كان الإسرائيليون يخططون لإنتاج بعض الأسلحة النووية ، التى نحتفظ لأنفسنا بحق إنتاجها ، ويخشون أن ندرك هذا ، ويحاولون منعنا من هذا بأى ثمن .

قالت فى حدة :

- إلى حد قتل أحد رجالنا؟! ..

أوما برأسه ، قائلا :

- أنت تعرفين الإسرائيليين .

مطت شفيتها الجميلتين ، وهى تغغم فى غضب :

- كلنا نعرفهم .

ثم اعتدلت فى مجلسها ، وسألته :

- وما المطلوب منا أن نفعله ؟

انعقد حاجباه بشدة هذه المرة ، وهو يقول :

- الانتقام .

صمتت لحظة ، وكأنها تحاول استيعاب قوله ، قبل أن تغغم :

- بصفة رسمية؟! ..

هز رأسه نفيا ، وقال فى اقتضاب :
- كلا .

هتفت مستنكرة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟ .. هل أحضرتنى من (باريس) إلى هنا ،
لنقوم معا بعمل غير رسمى ؛ لمجرد أنك ترغب فى هذا ؟! .. ألا يبدو
لك هذا ضربا من العبث ، قد يكلفنا وظيفتنا ؟

قال فى قوة :

- يبدو أن (ليزلى فان هام) الشهيرة ، لم تستطع استيعاب الأمر
بعد .. لقد قتل الإسرائيليون أحد رجالنا ، للحفاظ على وثائقهم
اللينة ، ولكننا سننتقم منهم ، ونسحق فريقهم كله ، ثم نستولى على
وثائقهم .. وكل هذا يتم بعلم الرؤساء وموافقتهم ، ولكن دون أوراق
أو أوامر رسمية ، حتى لا نفسد لعبة السياسة ، التى يلهو بها كبار
المسؤولين .. هل فهمت ؟

ظلت تستمع إليه بعلامتها الباردة فى هدوء ، قبل أن تقول :
- هكذا يختلف الأمر .

والتزمت بالصمت لحظات ، ثم سألت :

- ألدنا معلومات عن فريق الإسرائيليين ؟

أجابها بسرعة :

- بالتأكيد .. جواسيسنا بين صفوفهم يمتازون بالنشاط
والسرعة ، ولقد أرسلوا لنا أسماء أفراد الفريق كلهم .. إنهم أربعة ..
على رأسهم (راشيل جولدمان) ، التى قمنا بتدريبها فى إدارتنا ..
أعنى كانوا أربعة ، فقد قتلت أحدهم البارحة .

شردت (ليزلى) ببصرها ، وهى تردد :

(راشيل جولدمان) .. تلك اليهودية المتعجرفة .. كم تمنيت أن
أواجهها على نحو عملى ، لأثبت لها أن الاهتمام بتنمية العضلات
لا يكفى وحده للتفوق .

قال (أرنولد) :

- وها هى ذى فرصتك بين أصابعك .

أومات برأسها موافقة ، وشردت ببصرها لحظات أخرى ، ثم
سألته :

- وكيف يمكننا العثور عليهم ؟

أشار إلى صحيفة على المقعد الخلفى ، وقال :

- لقد نشرنا إعلانا عن مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ،
وسيكون أحدهم فى استقبال من سيتقدمون بالطبع .
أخرجت من حقيبتها مسدسا قويا ، وهى تقول :
- عظيم .

ثم جذبت مشط المسدس ، وتركته يرتد بصوت قوى ، قبل أن
تستطرد فى صرامة :

- لن أنتظر طويلا إذن ، حتى ألتقى بيهوديتى المتعجرفة .

ارتسمت ابتسامة متشفية على شفتى (أرنولد) ، وهو يقول :
- إننا نتجه إليهم مباشرة ..

واتسعت ابتسامته ، لتحمل رغبة قوية ، تشتعل فى أعماقه ..
رغبة الشار ..

★ ★ ★

امتلات نفس (كوهين) بملل لا حدود له ، وهو يواصل استقبال المترجمين ، الذين استجابوا للإعلان ..

لم يكن عددهم كبيراً ، ولكن كل منهم كان يستفيض في وصف براعته ، وتأکید عبقريته ، وتمكنه من اللغتين العبرية والإنجليزية ، ولكن ما إن يأتي السؤال التقليدي :
- أديك خبرات سابقة حديثة ؟

حتى يرتبك المترجم ، ويحاول إقناعه بأن براعته تفوق حتما خبرات الآخرين ، ويتحجج بأن اللغة العبرية ليست إحدى اللغات الشائعة ، وأنه من النادر أن يطلب شخص ما مثل هذه التراجم ، و ... و ...

ويضطر هو إلى الاستماع إليهم في صبر ، حتى ينتهوا من حديثهم ، ثم يدون أسماءهم وعناوينهم ، ويعددهم بالاتصال بهم فيما بعد ..

والموقف يتكرر بحذافيره كل مرة ..

والملل يتصاعد .. ويتصاعد ..

ثم وصل ذلك المترجم ..

رجل وقور ، أشيب الشعر ، كث اللحية والشارب ، يرتدى ثياباً بسيطة ، توحى بالذوق وقلة الموارد ..

ولقد بدا الرجل خجولاً مرتبكاً ، وهو يقول :

- أنا أستاذ سابق للغات الشرقية ، في جامعة (أثينا) ، وأعتقد أنني أصلح للعمل الذي أعلنتم عنه ، فأنا أجيد الإنجليزية والعبرية إلى حد ما .

ألقي عليه (كوهين) سؤالاً بالعبرية ، فأجابه الرجل في إجابة ، ثم قال بلغة إنجليزية سليمة :

- المشكلة تكمن في تلك الخبرات السابقة الحديثة .

سأله (كوهين) :

- ألا تمتلك خبرات سابقة :

بدا الخجل على وجه الرجل ، وتتحنن قبل أن يجيب :

- لدى خبرات سابقة بالطبع ، ولكنها ليست حديثة ، فلا أحد يطلب

ترجمة من العبرية إلى الإنجليزية إلا فيما ندر .

عادت ملامح (كوهين) تمتلئ بالملل ، ولكن الرجل استدرك بسرعة :

- حتى أنني لم أسمع عن فعل هذا في الآونة الأخيرة ، سوى

تلميذي (بينو) ، الذي ترجم بعض الوثائق العبرية ، منذ عدة أيام ، و ...

اعتدل (كوهين) في حركة حادة ، وهتف :

- ترجم ماذا ؟

لوح الرجل بكفه ، وقال :

- بعض الوثائق العبرية .. إنه أمر نادر كما أخبرتك ، ولكن

(بينو) هذا محظوظ للغاية ، فقد أتاه مثل ذلك العمل ، وربح منه ثروة كما أخبرني .

سأله (كوهين) ، في لهفة :

- وهل تعرف فحوى هذه الوثائق ؟

هز الرجل رأسه في بساطة ، وأجاب :

- (بينو) رفض أن يخبرنى حرفاً واحداً عنها ، وأكّد أن هذه
رغبة صاحبها ..

غمغم (كوهين) :

- ربما كان هذا من حسن حظك .

تابع الرجل ، وكأنه لم يسمع العبارة :

- كل ما أخبرنى به هو أنها أوراق هامة للغاية ، و ...

قاطعه (كوهين) ، فى اهتمام :

- وأين يقيم (بينو) هذا ؟

سعل الرجل ، وقال :

- سأخبرك بعنوانه .. أعتقد أنكم ستتعاقدون معه .. أليس كذلك ؟

هزّ (كوهين) كتفيه ، وقال :

- إنه يمتلك الخبرات الحديثة .

أوماً الرجل برأسه متفهّماً ، وهو يغمغم :

- ألم أقل لك إنه محظوظ ؟

وأملأه العنوان ، ثم نهض لينصرف ، قائلاً :

- لو احتجتم إلى أى عمل آخر ، فأنا .

قاطعه (كوهين) ، وهو يدفعه دفعا إلى الخارج :

- بالتأكيد .. ومن سنجد أفضل منك ؟

قال الرجل ، وهو يخرج بطاقته :

- ولكن .. ولكنك لم تحصل على عنوانى .

ولكن (كوهين) لم يجب ، فقد أغلق الباب خلف الرجل ، وهرع

ليجرب اتصاله برئيسه (راشيل) ، وينقل إليها هذه المعلومة البالغة

الخطورة ..

والطريف أنه لو انتظر قليلاً ، أو اختلس النظر إلى الرجل ، بعد
أن أغلق الباب خلفه ، لما فعل ما فعل قط ، فلم يكذب يفتح الباب ،
حتى اعتدل الرجل ، وتلاشت نظرة الخجل من عينيه ، لتحل محلها
نظرة ساخرة ، انتقلت بسرعة إلى ابتسامته ..
تلك الابتسامة الخاصة ، التى تميز الرجل ..
(رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

اتخذ (مجدى) موقعه فى براعة ، بحيث يمكنه رصد كل من يصل
إلى المنزل الآمن للإسرائيليين ، دون أن يدرك أحدهم وجوده ، وراح
يؤدى عمله جيّداً ، ويلتقط صور الجميع ، واستغرق منه هذا بعض
الوقت ، قبل أن تلتصق فوهة مسدس باردة بظهره فجأة ، ويرتفع
معها صوت صارم ، يقول باليونانية :

- إياك أن تتحرك .

رفع (مجدى) يديه فى ببطء ، دون أن يترك آلة التصوير ، وهو
يقول باليونانية ، التى يجيدها إجابة تامة :

- سأفعل ، ولكننى لم أرتكب أى خطأ قانونى .

صاح به (ناحوم) ، فى غلظة :

- اصمت ، وتقدّم معى إلى تلك السيارة الزرقاء ، دون أدنى

مقاومة ، وإلا نسفت رأسك فى الطريق .

وأمسك كتف (مجدى) فى قوة ، وهو يدفعه أمامه فى قسوة إلى

السيارة ، ولم يبد (مجدى) أى نوع من المقاومة ، حتى احتل

(ناحوم) مقعده داخل السيارة ، وسأله فى صرامة :

- من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

التقط (مجدى) نفسًا عميقًا بصوت مسموع ، قبل أن يقول :
 - لن أحاول التحايل عليك ، وسأجيبك بكل صراحة .
 قال (ناحوم) ، فى غلظة :
 - هذا أفضل بالنسبة لك .
 أوماً (مجدى) برأسه متفهمًا ، وقال :
 - أنا مخبر سرى .
 - بدا الغضب على وجه (ناحوم) ، وصاح :
 - مخبر سرى ؟! .. هأنذا تبدأ العبث معى .
 قال (مجدى) ، بسرعة :
 - ولكننى كذلك بالفعل .. لقد استأجرتنى أحدهم ؛ للحصول على بعض المعلومات .
 سأله (ناحوم) ، وهو يلوح بالمسدس فى وجهه :
 - وما اسم من استأجرك ؟
 لم يضع (مجدى) لحظة واحدة فى التفكير ، وهو يجيب :
 - (أرنولد ويلز) .. إنه أمريكى ، يعمل فى السفارة الأمريكية هنا ، ويدفع بسخاء .
 ردّد (ناحوم) :
 - (أرنولد) ؟!
 ثم صاح ، فى غضب :
 - كاذب .. الأمريكيون لا يستأجرون يونانيًا لأداء أعمالهم .
 قال (مجدى) :
 - ولكنهم فعلوا هذه المرة .. وما شأنى أنا ؟ .. سلهم لماذا أبدلوا سياساتهم .

جذب (ناحوم) إبرة مسدسه ، وهو يقول :
 - لن يمكنك إقناعى بهذا قط .
 ثم صوب فوهة المسدس المزود بكاتم للصوت ، إلى جبهة (مجدى) مباشرة ، وهو يستطرد فى شراسة :
 - وليقطع ذراعى إن لم تكن تعمل لحساب المخابرات المصرية ..
 الوداع أيها المصرى ، وبلغ تحياتى للرفاق فى الجحيم .
 وضغط زناد مسدسه ؟
 ولكن (مجدى) لم يكن خصمًا عاديًا ..
 إنه رجل يختلف عن الكثيرين ..
 رجل مخابرات مصرى ..
 وفى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (ناحوم) زناد مسدسه ،
 انزلق (مجدى) بجسده إلى أسفل ، ورفع قدميه ليضرب الإسرائيلى فى صدره بكل قوته ، هاتفا :
 - ولماذا لا تبلغهم إياها بنفسك ؟
 مرقت الرصاصة فوق رأس (مجدى) ، واخترقت زجاج السيارة ، فى حين كانت ضربته لـ (ناحوم) بالغة القوة ، حتى أنها جعلته يدفع الباب المجاور له ، ويسقط خارج السيارة فى عنف ، وهو يصرخ :
 - اللعنة !
 وقبل أن يعتدل ، كان (مجدى) ينقض عليه كالليث ، ويطيح بمسدسه بضربة عنيفة ، ثم يضرب فكه بكلمة أكثر عنفاً ، قائلاً :
 - دعنى أعترف لك .. لست مخبرًا سرّيًا فى الواقع .

دفع (ناحوم) ركبته فى معدة (مجدى) ، وألقاه جانباً ، وهو يهتف :
- أعلم هذا .

ثم وثب محاولاً استعادة مسدسه ، ولكن (مجدى) قفز نحو المسدس ، وركله بكل قوته ، قائلاً :
- هيهات .

قبض (ناحوم) على قدم (مجدى) وجذبها فى قوة ، فأسقط هذا الأخير على وجهه ، وحاول أن يلكمه بين ساقيه ، (إلا أن (مجدى) أدار قدمه الأخرى فى سرعة ، وركله بها فى وجهه بعنف ، قائلاً :
- تحتاج إلى مزيد من التدريبات يا صاح .

وثب (ناحوم) عليه ، وأحاط وسطه بذراعيه ، ليسقط معه أرضاً ، أمام المارة الذين سيطر عليهم الذهول ، وهم يتابعون هذا الصراع الوحشى ، ولكن (مجدى) انتشى فى مهارة ، ولم يكد ظهره يلمس الأرض ، حتى كانت قدماه تغوصان فى معدة (ناحوم) ثم ترفعان جسده إلى أعلى ، وتقدفانه إلى الخلف فى قوة ..
ولكن سقطة (ناحوم) أوصلته إلى نقطة بالغة الخطورة ..
إلى جوار مسدسه تماماً ..

وبسرعة ، اختطف (ناحوم) مسدسه ، وصوبه إلى (مجدى) ، صائحاً :

- خسرت أيها الغبى .

وانطلقت من مسدسه ثلاث رصاصات ..

★ ★ ★

١٢ - لمحة أمريكية ..

رفع مدير (الموساد) عينيه عن تقاريره العديدة ، ليتطلع إلى أحد رجاله ، الذى طلب مقابلته على وجه عاجل ، ثم سألته فى صوت قوى :
- حسن .. ما ذلك الأمر العاجل ، الذى طلبت مقابلتى من أجله ؟
أجابه الرجل ، بسرعة :

- وصلنا تقرير من رجال (الشين بيت) (*) يا سيدى .

قال المدير فى شيء من الضجر :

- هذا يحدث دائماً .

مال الرجل نحوه ، قائلاً :

- ولكن هذا التقرير يختلف يا سيادة المدير ، فهو يحوى ما كنا ننتظره منذ فترة طويلة .

حدجه المدير بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- اسمع يا هذا .. لست أميل إلى تلك الأسلوب المطول السخيف ..

أخبرنى ما لديك على الفور .

أجابه الرجل :

- لقد عرفنا كيف وصلت الوثائق إلى (اليونان) يا سيادة المدير .

كان من الواضح أن هذا القول قد أثار اهتمام المدير بشدة ، فقد

اعتدل فى مقعده ، وسأل الرجل :

- كيف ؟

(*) الشين بيت : المخابرات الداخلية الإسرائيلية .

قال الرجل ، فى حماس :

- لقد أبدى رجال (الشين بيت) نكاءً واضحاً ، عندما ركزوا بحثهم على حذاء (كاهان) ، الذى لم يعثروا له على أثر ، بين حطام الطائرة .. وبعد بحث مركز ودقيق ، أمكنهم العثور عليه .. كان هناك يدوى يرتديه ، على الرغم من تناقضه مع ملابسه الرثة .. ويبدو أن التناقض كان واضحاً ، حتى أن الرجال ألغوا القبض عليه ، وبدءوا فى استجوابه بأساليبهم التقليدية ، ثم انتقلوا إلى الأساليب الخاصة ، فاعترف الرجل على الفور ، وقال : إنه عثر على الحذاء والحقيبة بين حطام الطائرة ، فاستولى عليهما ، واحتفظ لنفسه بالحذاء ، ثم باع الحقيبة لبحار يونانى فى (تل أبيب) .

قال المدير ، فى اهتمام :

- بحار يونانى .. آه .. هذا يفسر الأمر إلى حد كبير .. المهم : هل عرفت أية معلومات عن ذلك البحار ؟

أجابه الرجل ، فى زهو :

- لم يكن هذا سهلاً ، ولكننا فعلناه يا سيدى المدير .. فالبحار اليونانى يدعى (بونيستو بابيوس) ، ولقد رحلت باخرته إلى اليونان مباشرة ، فور شرائه للحقيبة .

أشار المدير بسبأته ، وهو يقول :

هذا يفسر كل شيء ، ويمكننا استنتاج الباقي ، فقد عاد البحار إلى (اليونان) ، وعثر على (الميكرو فيلم) فى الحقيبة ، فذهب إلى أحد المصورين ، وقام بتكبيره وطبعه ، وبعدها طلب من أحدهم ترجمته ، وعندما أدرك خطورة ما تحويه تلك الوثائق ، فكر فى الاستفادة منها ، فأرسل تلك الملخصات ، وكان ما كان .

تمتم الرجل :

- استنتاج جيد يا سيادة المدير ، ولكن تعوقه معلومة واحدة ، فذلك البحار (بونيستو بابيوس) لم يقضى سوى ليلة واحدة فى (اليونان) ، ثم رحل فى الصباح التالى مباشرة ، على ظهر الباخرة التى يعمل بها ، إلى (تركيا) ، والوقت الذى قضاه فى وطنه ، لم يكن يكفى ليفعل كل هذا .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

- إذن فقد أعطى البحار (الميكرو فيلم) لشخص آخر ، قام بالعمل كله .

أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- هذا ما قدره الخبراء يا سيدى .

هز المدير رأسه فى اهتمام ، ثم قال :

- أبلغ هذه المعلومات لفريقنا فى (أثينا) ، وأرسل أحد قتلتنا المحترفين إلى (تركيا) ، لتصفية ذلك البحار .
ثم انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يستطرد :
- وأخبر الجميع أن الأوامر ما زالت كما هى دون تغيير .. أسلوب التعامل الوحيد مع كل من اقترب من هذه الوثائق هو القتل .. واعتصر كلماته فى حزم وصلابة ، مؤكداً :
- القتل بلا رحمة ..

★ ★ ★

لم يكن (ناحوم أريان) أبداً أحد رجال (الموساد) العاديين ، فقد التحق فى البداية بالقوات الخاصة الإسرائيلية ، وتلقى تدريبات مكثفة

فى عدد من المجالات ، وأتقن أساليب القتال والنزال ، والرماية ،
والقفز بالمظلات ، قبل أن يلتحق بالمخابرات الإسرائيلية ، ويتلقى
المزيد من التدريبات الخاصة ..

باختصار ، كان كائى رجل مخابرات ، يمتلك عددًا من المهارات
المدهشة ، التى تؤهله للتفوق على خصومه العاديين ..

وفى مجال الرماية بالذات ، أثبت (ناحوم) تفوقًا غير عادى ،
جعل من المستحيل عليه أن يخطئ إصابة (مجدى) ، من مسافة
قصيرة ، لا تتجاوز المترين ..

ولكن العجيب أنه فعل ..

لقد أخطأ إصابة هدفه بثلاثة أمتار كاملة ..

هذا لأنه فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (ناحوم) زناد مسدسه ،

قبضت يد قوية على معصمه ، وانبعث من خلفه صوت يقول :

- ليس بهذه البساطة .

طاشت الرصاصات الثلاث فى الهواء ، فى نفس الوقت الذى ارتفع
فيه صوت أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب فى سرعة ، واستدار
(ناحوم) فى غضب ليواجه خصمه ، إلا أنه لم يلمح سوى خصلة من
الشعر الأشيب ، قبل أن تتفجر قبضة كالفنبلة فى أنفه ، وتغلبها أخرى
صاعقة فى فكه ، ثم ثالثة فى معدته ، وعندما انتشى ألما ، اجتمعت
قبضتان ، وانفجرتا فى مؤخرة عنقه ، فسقط فاقد الوعي ، فى حين
حدق (مجدى) فى دهشة ، فى وجه ذلك الشيخ الأشيب ، التى وجهه
كل هذه الضربات لـ (ناحوم) ، ولكن الشيخ تحرك نحوه فى سرعة ،
وهتف بالعربية :

- هيا بنا قبل أن يصل رجال الشرطة .

انطلقا يعدوان بكل قوتهما ، وينحرفان فى عدد من الشوارع
الجانبية ، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، حتى توقفوا فى منطقة بعيدة ،
ولهت (مجدى) ، وهو يقول للشيخ :

- أشكر لك ما فعلته يا سيدى ، ولكن لماذا خاطرت بنفسك على
هذا النحو ؟

ابتسم الشيخ ، وهو يقول :

- لأن هذا واجبى تجاه الزملاء يا عزيزى (مجدى) .

نطقها بصوت مختلف تمامًا ، جعل حاجبا (مجدى) يرتفعان فى
دهشة ، قبل أن يهتف :

- سيادة العقيد ؟! .. مستحيل ..! تتحرك مذهب للغاية !.. كيف تفعل
هذا ؟!

انتزع (أدهم) لحيته المستعارة ، وهو يقول :

- إنها خبرة طويلة يا صديقى .

سأله (مجدى) :

- ولكن لماذا تتكررت فى هذه الهيئة ؟

أجابه (أدهم) ، فى هدوء :

- كان من الضرورى أن نربك خطة الإسرائيليين ، لذا فقد تقدمت
اليهم بصفتى أستاذ لغات شرقية سابق ، وقدتهم بأسلوب غير مباشر
إلى شخص لا وجود له ، أقنعهم بأنه المترجم المنشود ، وعندما
ينشغلون بالبحث عنه ، نكون نحن قد توصلنا إلى الشخص المطلوب .

سأله (مجدى) ، فى قلق :

- وما أدرانا أنهم لم يعثروا عليه بالفعل ..

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال في حزم :

- لن يعثروا عليه قط بهذا الأسلوب .

قال (مجدى) ، فى دهشة :

- ولماذا تعتقد هذا يا سيادة المقدم ؟

أجابه (أدهم) ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، فى شوارع (أثينا) :

- لسبب بسيط للغاية ، وهو أنه ليس من الطبيعى أن يلجأ شخص يونانى إلى مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ، عندما يرغب فى معرفة فحوى بعض الوثائق ، التى وقعت فى يده بوسيلة ما .. فما حاجته إلى الإنجليزية ؟! .. الإجراء الطبيعى هو أن يسعى لترجمة الوثائق ، من العبرية إلى اليونانية ، وعندما تتضح له خطورته ، يقوم بترجمة النص اليونانى إلى الإنجليزية ، وهذا يعنى أنه لا ينبغى أن يتم البحث عن مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ، وإنما المفروض أن نبحث عن نوعين من المترجمين .. أحدهم يترجم من العبرية إلى اليونانية ، والثانى من اليونانية إلى الإنجليزية .

رفع (مجدى) حاجبيه ، وهتف :

- رباه !.. هذا صحيح يا سيادة العقيد .. صحيح تمامًا ..

المفروض أن نبحث عن مترجم إلى اليونانية ، وليس إلى الإنجليزية .

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

- وهذه مهمتك يا (مجدى) .

ثم سأله :

- ولكن ماذا فعلت بشأن (بابيوس) ؟

أجابه (مجدى) :

- حصلت على كل المعلومات اللازمة عنه يا سيادة العقيد ؟

وتقل إليه كل ما لديه من معلومات عن (بابيوس) ، فاستمع (أدهم) إليه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

- عظيم .. إذن فأنت ستبحث عن المترجم ، أما أنا ، فسيكون هدفى هو (بابيوس) ..

وشرد ببصره ، مستطرذا :

- والوثائق الإسرائيلية .

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يغادر منزل الإسرائيليين ، حتى هرع (كوهين) إلى هاتفه الخاص ، واتصل بـ (راشيل) ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى هتف :

- عثرت عليه يا (راشيل) .. عثرت عليه .

قفزت من مكانها ، وهى تسأله :

- المترجم ؟!

أجابها ظافراً :

- نعم يا (راشيل) .. لدى الآن كل البيانات عنه .. اسمه ،

وعنوانه ، ورقم هاتفه .

سألته فى لهفة :

- وهل تأكدت من أنه هو المترجم المطلوب ؟

أجابه فى سعادة :

- تأكدت تمامًا .

قالت فجأة :

- ولكن مهلاً .. لماذا لم تقل : إنك التقيت به ؟!.. لماذا تقول :
إن لديك بياناته فحسب ؟!.. ألم يأت إليك ؟

أجابها بسرعة :

- كلا .. لقد عرفت أمره بمصادفة مدهشة ، سأقضيها عليك عندما

نلتقى .

قالت في حزم :

- أنا في طريقى إليك على الفور .

قال ، في حماس :

- وأنا في انتظارك .

أعاد سماعه الهاتف إلى موضعها ، وهو يبتسم في حماس ، ولكنه
لم يكذب ، حتى انتفض جسده كله بغتة ، مع صوت يقول
بالإنجليزية :

- نحن أيضاً سننتظرها يا صديقى .

قلزت يد (كوهين) في سرعة إلى مسدسه ، ولكنها تجمّدت في
موضعها ، عندما استدار ليصطدم بصره بوجهى (أرنولد)
و (ليزلى) ، وبمسدسيهما المصوبين إلى رأسه وصدره ، وخاصة
عندما سمع (ليزلى) ، تقول ساخرة :

- هيا .. التلقط مسدسك .. أرجوك ، فأنا أشعر بشيء من تأنيب
الضمير ، عندما أنسف جمجمة شخص ، لم يلتقط مسدسه بعد .

رفع (كوهين) ذراعيه مستسلماً ، وهو يقول :

- لماذا تفعلان هذا ؟!.. أنتما من المخابرات الأمريكية .. أليس

كذلك ؟

قال (أرنولد) ، في صرامة :

- يا لتعقرية !.. أنت تستحق جائزة الأنكباء بالفعل يا رجل ..
والآن اخفض يدك اليسرى في بطة ، والتلقط مسدسك بسبائك
وليهامك ، وألقه عند قدمى .. وحذار أن تحاول العبث ، فرصاصتى
ستسبق رصاصتك حتماً .

أطاعه (كوهين) دون مقاومة ، وألقى مسدسه عند قدميه ،
فسأله (أرنولد) :

- أين تلك الوثائق ، التى حصلت عليها (راشيل) أمس ؟

أجابته (كوهين) :

- لقد حرقتها كلها .

قالت (ليزلى) ، في سخرية :

- حقاً ؟!.. لماذا بقيتم هنا إذن ، ما نتم قد نجحتم فى تدمير
الوثائق ؟

أطبق (كوهين) شفطيه ، وأشاح بوجهه فى صمت ، فتأبعت
(ليزلى) بنفس السخرية :

- آه .. نسيت أن القواعد تحتم عليك الكتمان ، حتى ولو أوهمك
خصمك بأنه يعلم كل الحقائق .

قال (كوهين) ، فى برود :

- طريف منك أن تذكرت هذا ، فهذا يعطينا من محاولات انتزاع
المعلومات السخيفة .

أجابته (ليزلى) :

- حقاً ؟!.. وماذا لو أنتى أميل إلى تجربة الأمر ؟

قالتها ، وهوت على فكه بمسدسها ، بكل ما تملك من قوة ، وكانت الضربة من العنف ، حتى أنه ارتطم بالحائط ، وعندما ارتد عنه ، استقبلته لكمة مماثلة من (أرنولد) ، وهو يقول :

- هل يروق لك هذا ؟

مسح (كوهين) خيط الدم ، الذي سال من شفته المقطوعة ، وقال في حدة :

- أنتما تنتهكان اتفاق التعاون ، بين مخابراتنا ومخابراتكم .

قال (أرنولد) ، في غضب :

- نحن فعلنا هذا ؟!.. ماذا تسمى قتلكم لزميلنا (بروس) إذن ؟

لم يجب (كوهين) ، وهو يمسح الدماء مرة أخرى ، فقالت

(ليزلى) فى صرامة :

- لماذا لا ندخر الوقت والجهد ، وتخبرنا ما لديك مباشرة ؟

نظر إليها (كوهين) فى ازدراء ، وقال :

- اذهبي إلى الجحيم .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهي تقول :

- لست أنا من سيذهب إليه يا صديقى .

التقى حاجباه فى توتر ، وهو يسألها :

- هل تتويان قتلى ؟

قال (أرنولد) ، فى شماتة :

- ماذا تقترح ؟

بدا توتر شديد على وجه (كوهين) ، عندما عرف مصيره ،

وهتف فى حدة غاضبة :

- لا يمكنكما الإفلات ببلعتكما قط .. دولتى ستحتج رسمياً .

قال (أرنولد) ، فى صرامة :

- دعها تحتج .. لقد سلمنا تلك الأساليب المدللة ، التى تتعامل بها

دولتكم معنا .. دعها تذهب إلى الجحيم ، ولن يهتم شخص واحد بها .

صاح به (كوهين) :

- هذا ما تتخيله ، ولكنك تنسى أننا نحكم اقتصاداً الـ ...

قاطعته (ليزلى) بإشارة مباغتة ، وهي تقول فى صرامة :

- اصمت .

ابتلع لسانه على الفور ، فى حين أرهفت (ليزلى) سمعها فى

اهتمام ، فهمس (أرنولد) ، يسألها :

- ماذا هناك ؟

أجابته هامسة ، وهي تجذب إبرة مسدسها :

- هناك أقدام أنثوية تقترب .. أعتقد أنها (راشيل) .

بدا التوتر على وجه (كوهين) ، وهو يستمع إلى وقع أقدام

(راشيل) ، فى حين صوبت (ليزلى) مسدسها إلى الباب ، وهي

تهمس فى سخرية :

- كم سيروق لى رؤية علامات الدهشة على وجهك يا عزيزتى

(راشيل) ، قبل أن تخرق رصاصاتى جسدك .

سمع الجميع صوت مفتاح (راشيل) يدور بالباب ، و ...

وفجأة ، انقضت (كوهين) على (أرنولد) ، صارخاً :

- احترسى يا (راشيل) .

وهنا ضغطت (ليزلى) زناد مسدسها ..

وبدأت المعركة .

★ ★ ★

١٣ - عصر المرأة ..

بدا (كوستا) شديد الانفعال ، وهو يجلس إلى جانب (موستاش) في سيارته الكبيرة ، ويقول ملوفا بكفيه :
- وهكذا خسر ذلك الغبي مليون دولار .. هل يمكنك أن تصدق هذا ؟
أجابه (موستاش) ، في خشونة :
- يمكنني تصديق كل شيء في هذا العالم .
قال (كوستا) في حماس ، و (موستاش) يقود السيارة عبر شوارع (أثينا) :
- لقد أخطأ التعامل مع الموقف ، ولهذا خسر .

سأله (موستاش) :

- وما الذي يمكن أن نفعله نحن ؟

أجابه (كوستا) :

- سنتعامل مع الأمر بشكل مختلف تماما ، فلن نضيع وقتنا في التفاوض مع جميع الأطراف بشكل ساذج ، وإنما سنتجه إلى الهدف مباشرة .. إلى الإسرائيليين .. سنعلنهم أن وثائقهم معنا ، ونطلب مليون دولار ثمنا لها ، وعندئذ ستخفض المخاطرة إلى ما يقرب من الصفر .

سأله (موستاش) ، في حيرة :

- وأية وثائق تلك التي سنعطهم إياها .. ألم تقل : إن الرجل قد خسر وثائقه أيضا .

هز (كوستا) رأسه نفيا ، وهو يقول في حماس :
- كانت نسخة منها فحسب ، فذلك الخبيث يحتفظ بالوثائق الأصلية ، ولكنه يرفض إخباري مخبئها .

قال (موستاش) ، وهو ينحرف بالسيارة :

- كيف سنجدتها إذن ؟

صاح فيه (كوستا) ، في حدة :

- رويدك يا رجل .. عامل سيارتي يرفق .

غمغم (موستاش) مرتبكا ، وهو يخفض سرعة السيارة :

- معذرة يا (كوستا) .. معذرة .

مط (كوستا) شفطيه ، وقال غاضبا :

- وقيم ستفيدني اعتذارائك ، عندما تتلف السيارة ؟!

ثم التفت نفسا عميقا ، أفرغ معه غضبه ، واستعاد به لهفته ، وهو يستطرد :

- هل تعلم .. أنا واثق من أن ذلك الخبيث يخفي الوثائق في شفته ،

ولهذا سنذهب إليه ، ونفتش كل شبر فيها ، حتى نعثر عليها ، وعندئذ

لن نكون بحاجة إليه ، وسنملك كل أوراق اللعبة .

قال (موستاش) ، في حماس :

- المفروض إذن أن نخفي عنه هذا .

قهقه (كوستا) ضاحكا ، وهو يقول :

- يا لك من رجل ! .. وهل تصورت أنتي سأقول له بكل سذاجة :

معذرة يا عزيزي (بابيوس) .. سنذهب لتفتيش شفتك ، للبحث عن

المستندات ؟! .. كلاً بالطبع .. لقد تركته نائما في حجرتي ، وهرعت

معك إلى هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهتف :

- ربنا .. إنه هو .

سأله (موستاش) ، فى سرعة :

- من هو ؟

أشار (كوستا) الى نهاية الطريق ، بالقرب من شقة (بابيوس) ،

وهو يجيب فى انفعال :

- ذلك الرجل ، الذى أوسعنا ضربا .. إنه يغادر سيارته هناك .

كان (أدهم) قد أوقف سيارته على مقربة من شقة (بابيوس) ،

وغادرها متجها إلى المنزل ، دون أن ينتبه إلى (كوستا)

و (موستاش) ، فهتف الأخير فى غضب :

- هذا صحيح .. إنه هو .

ثم زمجر مستطردا فى شراسة :

- لن يفلت منى هذه المرة .

أمسك (كوستا) يده ، وهو يقول :

- دعنا نفعلها بطريقة مختلفة يا رجل .

سأله (موستاش) ، وجسده ينتفض انفعالا :

- كيف ؟ .. أخبرنى كيف ؟

أجاب (كوستا) ، فى انفعال مماثل :

- سنقترب منه بشكل عادى ، دون أن ينتبه إلينا ، ثم ننحرف نحوه

بغتة ، وتضغط أنت دواسة الوقود بكل قوتك ، ونقفز فوق الأفريز ،

وتسحقه بإطارات السيارة :

هتف (موستاش) ، وهو يتجه نحو (أدهم) مباشرة :

- فكرة رائعة .. فكرة رائعة .

٢٧٠

ولم ينتبه (أدهم) إلى ما يحدث خلفه بالفعل ، فقد انشغل عقله

تماما بالتفكير فى أمر (بابيوس) ، واحتمالات عثوره عليه فى

شقته ..

ومن خلفه ، انقضت عليه سيارة (كوستا) ، الذى صرخ :

- اسحقه يا (موستاش) .. اسحقه .

ومع صيحة (كوستا) ، انتبه (أدهم) للموقف ، واستدار

بسرعة مدهشة ، ولكن السيارة كانت تنقض عليه مباشرة ، و ...

وفجأة ، ظهرت فتاة متوسطة الطول ، ذات شعر أسود فاحم

طويل ، ومنظار داكن أنيق ، وصرخت :

- احترس يا (أدهم) .

ثم وثبت فوق مقدمة إحدى السيارات ، وانتزعت من حقيبتها

مسدسا ، أطلقت منه رصاصتين نحو سيارة (كوستا) ، الذى انحنى

بسرعة ، صارخا :

- ابتعد يا (موستاش) .. ابتعد من هنا .

كان (أدهم) قد قفز جانبا ، متفاديا السيارة ، فى نفس اللحظة

التي أطلقت فيها ذات الشعر الأسود رصاصتها ، فانحرف

(موستاش) بالسيارة مذعورا ، واخترق بها نهر الطريق ، متجاوزا

كل قواعد القيادة السليمة ، واستدار بها إلى الطريق العكسى ،

وانطلق محاولا الفرار ، والسيارات المحيطة به تتوقف مرغمة ،

وإطاراتها تصرخ فى ألم ، فوق أسفلت الطريق ، فى حين صوبت

إليه ذات الشعر الأسود مسدسها مرة أخرى ، فصاح بها (أدهم) :

- كفى .

أدارت عينيها إليه ، من خلف المنظار الداكن ، ثم قفزت نحوه ،
وهي تعيد مسدسها إلى غمده ، هاتفة في لهجة أقرب إلى الجذل :
- لقد وصلت في الوقت المناسب .. أليس كذلك ؟
بدا الغضب على وجه (أداهم) ، وقال وهو يجذبها من يدها :
- هيا نبتعد عن هنا ، قبل أن يصل رجال الشرطة .
واندفع معها إلى طريق جاتبي ضيق ، ومنه إلى شارع خلفي ،
لم يكد يصل إليه ، حتى توقف ، ليقول لها في حدة :
- لماذا بقيت هنا ؟

ضحكت (هويدا) ، وهي تقول :
- هل تتصور أنه من الممكن أن أضيع فرصة كهذه ؟ .. مستحيل !
قال (أداهم) ، في غضب :
- ولكنك ستواجهين خطراً داهماً هنا .. الإسرائيليون يبحثون
عني ، وسيجدون فيك وسيلة للتوصل إلى .
لوحت بكفيها ، قائلة :

- ولكنني لست هنا .. الممثلة (هيدى كامل) سافرت مع طاقم
التصوير إلى (باريس) .. هذا ما أعلنته الصحف ، وما سيؤكدّه
زملائي الممثلون والمصورون ، وأنا كما ترى ، متفكرة في هيئة
مختلفة ، ولن يتعرفني أحد .

قال ، في صرامة :
- نعم .. وخاصة بعد أن أطلقت النار علانية في الشارع .. هل
تتصورين أنه جزء من أحد أفلامك ؟ .. لقد أفسدت عملي تماماً
بتصرفك هذا .

قالت في دهشة .

- ولكنني كنت مضطرة للتدخل .. إنني أتتبعك منذ فترة ، دون أن
أتدخل في عملك ، ولكن هذا الرجل كاد يقتلك بالفعل .

قال في حدة :

- كانت هناك ألف وسيلة لتفادي هذا ، دون إطلاق النار في
الشارع .

هزت كتفها ، قائلة :

- وماذا في هذا ؟ .. لقد ابتعدنا عن المنطقة ، ولن يعثروا علينا
قط .

قال محنقاً :

- ولكنني كنت في طريقى لتفتيش شقة بعينها في المنطقة ، ولن
يمكنني هذا الآن ، بعد أن تملأ الشرطة المكان ، وتبدأ عملية البحث
عنا بالتحديد .

ضحكت ، قائلة :

- لا تقنعني بأن هذا يمكن أن يعترض طريقك .. إنني أستطيع إبدال
ملاحى تماماً بشعر أحمر مستعار قصير ، مع التخلي عن المنظار
وتغيير ثوبي فحسب .. وهذا لا يقارن ببراعتك المذهلة في هذا
المجال .. أليس كذلك ؟ .. إنك تستطيع إبدال هيئتك بمهارة لا يعادلها
فيها بشر ، ويمكنك أن تدخل الشقة في هيئة صاحبها نفسه .

هدأت ثائرتة قليلاً ، وابتسم وهو يقول :

- هذا صحيح ، ولكن المشكلة أنني لم ألتق بصاحب الشقة قط ،
وكل ما أعرفه عن شخصيته وملاحه مجرد رسم صنعه الكمبيوتر .

وبدت نظرة حماسية في عينيه ، قبل أن يستطرد :

- ولكن خطتك تصلح للتنفيذ بالفعل ، مع تعديل بسيط .

حاولت أن تستشف من ملامحه ما يعتزمه ، ولكن وجهه لم يكن يحمل سوى نظرة عينيه المتألقة ، وابتسامته التي تحمل الكثير من الثقة ..

ومن الغموض ..

★ ★ ★

تراجعت (راشيل) بسرعة مذهشة ، عندما سمعت صرخة (كوهين) التحذيرية ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها رصاصات (ليزلى) ، واخترقت الباب ، فانتزعت (راشيل) مسدسها ، وضربت الباب بقدمها ، ولكن (ليزلى) أطلقت رصاصتين أخريين من مسدسها ، وهي تهتف :

- أخيرا التقينا في ساحة القتال يا (راشيل جولدمان) .

ارتفع حاجبا (راشيل) في دهشة ، عندما ميّزت صوت (ليزلى) ، وساورها قلق عارم ، وهي تسترجع تلك الفترة ، التي تلقت فيها تدريباتها مع (ليزلى) ، في مدرسة المخابرات الأمريكية .

كانت متفوقة على معظم أقرانها ، ولكنها لم تنجح قط في هزيمة (ليزلى) ، التي اعتبرها الجميع موهبة فذة في عالم المخابرات .. المجال الوحيد الذي برّزت فيه (ليزلى) ، كان القوة الجسدية .. ولهذا ركّزت عليها كل جهودها .. ونجحت في هذا ..

نجحت حتى أن عضلاتها البارزة تكاد تتفوق على عضلات بعض الرجال الأقوياء ..

ولكنها الآن تشعر برغبة في هزيمة (ليزلى فان هام) .. رغبة عارمة ..

وفي حدة ، أطلقت (راشيل) رصاصات مسدسها ، ولكن (ليزلى) أطلقت ضحكة ساخرة ، وهتفت :

- أخطأت يا عزيزتى .. كنت تخطئين الأهداف المتحركة دائما . ثم ضغطت زناد مسدسها ، وتركت رصاصاته تنطلق على نحو متصل ، وهي تندفع نحو الباب في حركة انتحارية ، مستطردة : - على عكس تماما .

أدركت (راشيل) أن (ليزلى) ستظفر بها حتما ، لو أنها انتظرتها ، فانطلقت تعدو نحو السلم ، وقفزت إليه في نفس اللحظة ، التي بلغت فيها (ليزلى) الباب ، وأطلقت رصاصاتها نحوها ، ولكن كل الرصاصات أصابت الجدار ، في حين قفزت (راشيل) درجات السلم بأقصى سرعتها ، محاولة بلوغ الشارع ، قبل أن تصل إليها (ليزلى) ..

وفي الوقت ذاته ، كان (كوهين) يشتبك في قتال يدوي عنيف مع (أرنولد) ، الذي هتف وهو يقاومه ، ويحاول الاحتفاظ بمسدسه :

- أعلم أنكم تتلقون تدريبات شاقة يا رجل (الموساد) . ولكم في فكه ، مستطردا :
- ولكننا نتلقى تدريبات أفضل .

احتمل (كوهين) الضربة ، وأمسك معصم (أرنولد) في قوة ،
محاولاً انتزاع مسدسه ، وهو يقول في غضب :

- تدريباتكم أكثر أناقة ولا شك ، ولكن تدريباتنا تمنحنا قوة أكثر .

ركله (أرنولد) في معدته ، وهو يقول :

- قوة بلا عقل .

وثب (كوهين) ليركله بدوره ، صائخاً :

- هل تظن هذا ؟

لكن (أرنولد) أمسك ساقه بحركة بارعة ، ودار جسده حول نفسه
في خفة وسرعة ، ففقد (كوهين) توازنه ، وقفز جسده في الهواء ،
على الرغم منه ، قبل أن يسقط على ظهره في عنف ..

وتراجع (أرنولد) في سرعة ، وهو يصوب إليه مسدسه ، ويقول
في غضب :

- أرايت يا رجل (الموساد) ؟ .. إننا نتفوق دائماً .

أطلق (كوهين) صرخة غاضبة ، وهو يقفز واقفاً على قدميه ،
وينقض على (أرنولد) ، صارخاً :

- لم تحسم المعركة بعد أيها الأمريكي .

ضغط (أرنولد) زناد مسدسه في غضب ، فانطلقت رصاصاته
تخترق جسد (كوهين) ، وتدفعه إلى الخلف في عنف ، وهو يطلق
صرخة ألم رهيبة ، حتى ارتطم جسده بالنافذة ، فتحطم زجاجها ،
وهوى جسده منها ، وصرخته تمتد متصلة ، حتى ارتطم بالأرض ،
في عنف ..



فانطلقت رصاصاته تخترق جسد (كوهين) ، وتدفعه إلى الخلف في عنف ،
وهو يطلق صرخة ألم رهيبة ..

وهنا نفخ (أرنولد) الدخان المتصاعد من فوهة مسدسه ، وهو يقول فى صرامة وحزم :

- بل حُصِمَتْ أيها الإسرائيلى .

وفى اللحظة التى ارتطم فيها جسد (كوهين) بالأرض ، وتهشمت جمجمته عليها ، كانت (راشيل) قد بلغت الطريق ، وسط صراخ المارة ، فوثبت تتجاوز سور حديقة صغيرة ، ثم دفعت جسدها خلف تمثال يتوسطها ، فى نفس الوقت الذى وصلت فيه (ليزلى) ، وراحت تدير عينيها فيما حولها ، قبل أن تهتف فى حنى :

- اللعنة !.. أين ذهبت تلك الإسرائيلىة الحفيرة ؟

ارتفع صوت سيارات الشرطة ، التى تقترب من المكان ، واندفع (أرنولد) من البناية ، وهتف بـ (ليزلى) :

- هيا بنا .. لا بد أن نبتعد عن هنا ، قبل أن يصل رجال الشرطة .

صاحت به :

- ولكننى لم أظفر بعد بتلك اللعينة .

جذبها من يدها فى حدة ، هاتفا :

- فيما بعد .. فيما بعد .

وقفز معها داخل سيارته ، ذات اللوحات الديبلوماسية ، وانطلقا بها بعيدا عن المبنى ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة ، وانعقد حاجبا المفتش اليونانى ، عندما لمح (أرنولد) وسيارته الديبلوماسية ، وهتف فى حنى :

- إنه هو .

راقب السيارة بعينه ، وهى تبتعد بسرعة ، قبل أن يستطرد ساخطا :

- اللعنة على كل الساسة والسياسة .

وتوقفت سيارات الشرطة أمام المبنى ، حيث التفت بعض المارة حول جثة (كوهين) ، فألقت (راشيل) مسدسها إلى جوار قاعدة التمثال ، وانطلقت تعدو نحو المكان ، هاتفة فى صوت يصطنع البكاء :

- زوجى .. زوجى الحبيب .. لقد قتلوه .

وألقت نفسها أرضا ، وأجهشت بالبكاء ، فى مشهد تمثيلى بارع ، نجح فى إقناع الجميع بمأساتها ، حتى أن المفتش اليونانى وضع يده على كتفها ، وقال مشفقا :

- تقبلى أسفى يا سيدتى ، وأرجو ألا يضايقك أن أطرح عليك بعض الأسئلة .

بكت فى حرارة أقنعت المفتش ، وهى تهتف :

- وبم تفيد الأسئلة ؟.. لقد قتلوه .. قتلوا عزيزى (كوهين) .

سألها المفتش :

- هل رأيت قتلته ؟

أجابته بسرعة :

- إنهما اثنان .. رجل وامرأة .. أمريكيان .. لقد قتلاه دون سبب .

واصطنعت البكاء الحار مرة ثانية ، حتى وصلت سيارة الإسعاف ،

وحملت جثة (كوهين) ، فربت المفتش على كتفها مرة أخرى ،

وقال :

- دعينا نلقى نظرة على الشقة .

واستغرقت عمليات الفحص والبحث ساعة كاملة ، تظاهرت
(راشيل) خلالها بالحزن والانهيار ، حتى انتهى الأمر ، واتجه إليها
المفتش مغمغماً :

- لست أدري ماذا أقول يا سيدي ، ولكن الرجل الذي أعتقد أنه
قاتل زوجك ، يعمل في السفارة الأمريكية هنا ، ولديه حصانة
دبلوماسية خاصة .

هتفت (راشيل) :

- ماذا تعنى ؟!.. هل يضيع دم زوجي هذا ؟

تنهد في حلق ، وقال :

- سأبذل قصارى جهدي يا سيدي .. صدقيني .. سأبذل قصارى
جهدي .

ظلت تفتعل الحزن والبكاء ، حتى غادر رجال الشرطة الشقة ،
والمفتش يتمم :

- سأرسل من يصلح النافذة .

وعندما أغلقت الباب خلفهم ، اختلت معالم الحزن من ملامحها
بغثة ، وتمتعت في غضب :

- فليكن أيتها الأمريكية اللعينة .. لم تنته الحرب بيننا بعد ،
وستدفعين الثمن غالباً في النهاية .

قالتها ، واتجهت نحو الهاتف ، ولكنها لم تكذ تلتقط سماعته ،
حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فعدت حاجبها ، مغممة :

- هل أرسل المفتش مصلح النافذة بهذه السرعة ؟
وعادت ترسم الحزن على وجهها ، وهي تفتح الباب ، إلا أنها

لم تستطع الاحتفاظ بذلك الانفعال الزائف طويلاً ، مع تلك الدهشة التي
ملأتها ، وهي تحديق في الشاب الضئيل ، الذي وقف أمامها مرتبكاً ،
وهو يقول :

- معذرة يا سيدي .. لقد جئت متأخراً ، ولكن ... ولكن ...
سألته ، في ضجر :

- ما الذي يمكنني تقديمه لك بالضبط ؟

ارتبك وهو يجيب :

- أنا مترجم ، جئت استجابة للإعلان ، ولكن ..
سألته في حدة :

- ولكن ماذا ؟.. قل ما لديك بسرعة .

أجابها ، مضطرباً :

- ولكنني لا أجيد الإنجليزية ، بل أستطيع الترجمة من العبرية إلى
اليونانية فحسب .

قالت ، في ضيق :

- لسنا نحتاج إلى شيء كهذا .

وحاولت أن تغلق الباب ، ولكنه هتف بسرعة :

- ولكن عندي الخبرات السابقة الحديثة ، التي تطلبونها .. لقد

ترجمت مؤخراً عدداً من الوثائق الإسرائيلية إلى اليونانية .

برقت عيناها ، وهي تحديق في وجهه ، هاتفة :

- وثائق إسرائيلية .

ازدرد لعابه ، قبل أن يقول :

- نعم يا سيدي .. لقد أحضرها لي سائق سيارة أجرة ، وكانت

عبارة عن صور غير واضحة جيذاً ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ..

١٤ - المترجم ..

عقد مفتش الشرطة اليوناني حاجبيه في غضبه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يرفع ذراعيه ، ويلوح بهما في حلق ، هاتفا :
- ماذا أصابنا ؟!.. أن عبث يعبثونه ببلادنا ؟.. كل شيء كان يسير على ما يرام ، وفجأة ، تتحول (أثينا) إلى ساحة قتال .. الكل يطلقون النار في شوارعها ، والقنابل يتساقطون في كل مكان ، كما لو أن الحكومة قد أصدرت قرارا بإلغاء نظام الشرطة ، أو أن أحدا لم يعد يبالي بوجودنا .

قال أحد رجال الشرطة ، محاولا تهدئته :

- الشهود يقولون : إن سيارة طانشة حاولت صدم شخص ما عمدا ، وفجأة ظهرت فتاة رهيفة ، ذات شعر أسود طويل ، ومنظار داكن ، وترتدي سترة جندي ، وقفزت فوق إحدى السيارات ، وراحت تطلق النار على السيارة الجانبية ، ثم انطلقت تعدو هاربة مع ذلك الشخص ، الذي حاولت السيارة صدمه .

هتف المفتش ، في حلق :

- عظيم .. تروى الأمر كما يبدو كان حادثة مرور بسيطة .

قال رجل الشرطة ، في هيرة :

- وماذا يمكننا أن نفعل يا سيدي ؟.. لقد حدث الأمر وانتهى ، قبل

أن نصل إلى هنا .

قاطعة ، بابتسامة كبيرة :

- أنت الشخص الذي أبحث عنه بالضبط .

تهللت أساريره ، وهو يهتف :

- حقا ؟!

أفست له الطريق ، قائلة :

- تفضل .. تفضل يا رجل .. سيكون لنا حديث طويل معا ..

اتسعت ابتسامة السعادة على شفتيه ، وهو يدلف إلى الشقة ، دون أن يدرك أنه ألقى بنفسه بين أسنان التمساح بمصادفة عجيبة .. وقاتلة .

★ ★ ★

ياسر

www.dvd4arab.com

صاح المفتش :

- وهذا ما يحزننى .. كل شيء يحدث وينتهى ، قبل أن نصل نحن ..
نفس الأسلوب الساخر ، الذى تستخدمه السينما لوصف رجال
الشرطة ، فى أفلام المقامرات السخيفة .. الشرطة المسكينة ، التى
لا حول لها ولا قوة ، والتى لا تصل إلا بعد أن ينهى البطل الموقف ..
أليس كذلك ؟

حاول رجل الشرطة أن يخفى ابتسامته ، وهو يقول :

- ولكن لا يوجد بطل هنا يا سيدى .

التفت إليه مفتش الشرطة فى حنى ، وهو يقول :

- ماذا تقول ؟ .. ماذا تقول أيها الشرطى ؟

انفجرت شفتا الشرطى ، وهم يقول شيء ما ، عندما دوى صوت
رصاصات بفتة ، ثم اندفعت فتاة كستانية الشعر من شارع جانبي ،
وهى تصرخ :

- النجدة .. النجدة .. إنه يحاول قتلى .

انتزع رجال الشرطة مسدساتهم بسرعة ، واندفع المفتش نحو
الفتاة ، وصاح بها :

- من هو ؟ .. من الذى يحاول قتلك ؟

صرخت فى ارتياح ، وهى تشير إلى الشارع الجانبى :

- القاتل .. إنه يطاربنى .. انقذونى .

ساد الهرج والمرج فى الطريق ، واندفع رجال الشرطة بمسدساتهم
نحو ذلك الشارع الجانبى ، فى حين قال المفتش للفتاة ، فى حسم :
- انتظرى هنا ، وحاولى أن تهدنى يا سيدتى ، لقد تولينا الأمر ،
وكل شيء على ما يرام ، و ...

وبتر عبارته بفتة ، وهو يحذى فى وجه الفتاة ، قبل أن يهتف :
- ألا أعرفك ؟

رفعت (هويدا) عينيها إليه ، ورددت فى خفوت :

- تعرفنى .. بالطبع يا رجل .. كل شخص فى (أوروبا) يعرف
من أنا .

هتف ، فى دهشة :

- بالتأكيد .. من يجهل (هيدى كامل) .

ابتسمت (هويدا) ، وهى تقول :

- نعم .. من يجهلها .

قالتها ، وعيناها تتطلعان من خلفه إلى (أدهم) ، الذى حمل
معطفه فى هدوء ، واتجه نحو البناية ، التى يقيم فيها (بابيوس) ،
مستغلاً انشغال الجميع بما فعلته هى ..

وفى خطوات سريعة ، وقفزات مرنة رشيقة ، صعد (أدهم) فى
سلم البناية ، حتى بلغ شقة (بابيوس) ، فدى بابها ، وانتظر بعض
الوقت ، حتى تأكد من أن الشقة خالية ، ثم أخرج من جيبه أداة
بسيطة ، دفعها فى ثقب المفتاح ، وأدارها فى مهارة وسرعة ، حتى
انفتح الباب ، فدفعه فى هدوء ، و ...
ماذا تفعل هنا ؟ ..

انطلق السؤال من خلفه ، بصوت أنثوى عصبى ، ولكنه التفت إلى
صاحبتة فى هدوء وهو يبتسم ، قائلاً :
- كما ترين يا سيدتى .. أستعد لدخول الشقة .

كانت امرأة في أوائل الخمسينات من عمرها ، بدينة قصيرة ،
 ترمقه بنظرة متشككة قاسية ، وهي تقول :
 - وبأى حق تعزل شقة (خريستو) ..
 ضحك ، قائلاً :
 - بحق الأخوة يا سيدي .. أنا شقيقه .
 تبدلت ملامحها فجأة ، وهي تهتف :
 - آه .. أنت (بونيستو) إذن ؟
 لم يكن قد سمع الاسم من قبل ، ولكنه أجاب في هدوء يبعث الثقة
 في النفوس :
 - نعم .. أنا (بونيستو بابيوس) .. شقيق (خريستو) .
 صافحته في حرارة ، وهي تقول :
 - مرحباً بك يا (بونيستو) .. (خريستو) يتحدث عنك كثيراً ، وعن
 رحلاتك البحرية التي لا تنتهي ، من (الإسكندرية) إلى (اسطنبول) ،
 إلى (تل أبيب) .. لقد أخبرني أنك لا تعود إلى الوطن قط تقريباً .
 النقط (أدهم) اسم (تل أبيب) ، وبدأ عقله يعمل في سرعة ، وهو
 يقول :
 - من المؤكد أنه أخبرك هذا ، بعد رحلتى الأخيرة .
 أجابته ، في سعادة :
 - بالضبط .. بعد عودتك من (تل أبيب) .. عند ما أعطيتك تلك
 الحقيبة .. هل تذكرها ..
 ابتسم ، وهو يجيب :
 - بالطبع .. لقد حدث هذا منذ أيام قليلة .

هتفت :

- بالضبط .. منذ أقل من أسبوع واحد ، و ...
 وبثرت عبارتها بغتة ، وهي ترمقه بنظرة عجيبة ، قبل أن تقول :
 - ولكن مهلاً .. (خريستو) قال : إنك ستذهب مباشرة إلى
 (اسطنبول) .. كيف عدت بهذه السرعة ؟
 أجابها بسرعة ، وهو يفتعل الأسف :
 - الباخرة أصيبت بالعطب ، واضطررنا للعودة .
 أقنعها الرد المباشر ، وتلك اللهجة التي أضفى عليها (أدهم) نبرة
 صادقة بسيطة ، فعادت تبتسم ، قائلة :
 - آه .. هذا يحدث كثيراً .
 هز كتفيه ، قائلاً :
 - كثيراً جداً يا سيدي .
 ثم ابتسم ، مستطرذا :
 - والآن معذرة ، فأنا أشعر بالإرهاق ، وأحتاج إلى بعض الراحة .
 قالت ، في سرعة :
 - بالطبع يا (بونيستو) .. بالطبع .. ولو احتجت إلى أى شيء ،
 فأنا رهن إشارتك .
 منجها ابتسامة أخرى ، وهو يقول :
 - أشكرك يا سيدي .. أشكرك كثيراً .
 ودلف إلى شقة (بابيوس) في سرعة ، وأغلق الباب خلفه ،
 وضحك قائلاً :
 - يبدو أن كل مكان في العالم يحوى جارة كهذه .

فوجئ بصوت يقول فى شيء من الشراسة :
- بكل تأكيد .

التفت (أدهم) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على
(كوستا) بحجمه الضخم ، وإلى جواره (موستاش) ، يصوب إليه
مسدسه ، وبدا من الواضح أنهما قاما بتفتيش المكان كله ، فقد قلبوا
الأثاث ، وبعثروا كل شيء على نحو عنيف .

وفى هدوء ، عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى
سخرية :

- رائع .. يبدو أن (كوستا) البدين قد نبت له عقل ، واستطاع
أن يتخذ خطوة مدروسة .

أجابه (كوستا) ، فى شماتة :

- (كوستا) البدين له عقل أكبر من عقولكم جميعا أيها
المتعجرفون ، عقل جعله يستغل الاضطراب ، الذى أحدثته زميلتك
فى الشارع ، ليعود إلى هنا مع (موستاش) ، ويفتش كل ركن فى
الشقة ، قبل أن تصل أنت إليها .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وقال فى لهجة استفزازية :

- ليس المهم أن تبحث بسرعة يا رجل .. المهم أن تعلم ما الذى
تبحث عنه .

أجابه (كوستا) ، فى حدة :

- لا تتصور أنك أكثر رجال العالم تكاء يا هذا .. أنا أعلم بالطبع
ما الذى أبحث عنه .

ثم مال نحوه ، مستطرذا ، فى تفاخر :

- الوثائق .. نحن نبحث عن الوثائق الإسرائيلية يا رجل .

كان هذا بالضبط ما يرغب (أدهم) فى سماعه ، وما استفز
(كوستا) ليلفظ به ، لذا فقد اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :
- هذا يثبت أنك عبقرى بالفعل يا (كوستا) .. عبقرى حقيقى .
انتفخت أوداج (كوستا) فى زهو ، ولكن (أدهم) أضاف بسرعة :
- بالنسبة للخنازير .

احتقن وجه (كوستا) ، وهو يهتف غاضبًا :
- ماذا تقول ؟

وأطلق (موستاش) زمجرة شرسة ، وهو يتحسس موضع إصابة
شاربه ، هاتفا :

- هل أقتله يا (كوستا) ؟ .. هل أقتله ؟

قال (أدهم) ، ساخرًا :

- هيا .. مره بقتلى ، أيها الخنزير العبقرى .

وهنا لم تحتمل أعصاب (كوستا) ، فصرخ فى غضب :

- نعم .. اقتله .. اقتله يا (موستاش) .

ولم تكن سبابة (موستاش) تنتظر أكثر من هذا الأمر ، فاعتصرت

زناد المسدس على الفور ..

وانطلقت الرصاصات ..

★ ★ ★

اندفع (ناحوم) فى توتر شديد داخل المنزل الآمن ، وهو يهتف
بالعبرية :

- ما الذى فعله هؤلاء الأوغاد ب (كوهين) ؟

وقع بصره بغتة على (راشيل) ، التى ترمقه بنظرة صارمة ،

وعلى الشخص النحيل ، الذى يجلس أمامها ، والذى انتفض فى هلع ،
عندما رآه يقتحم المكان فى هذا العنف ، فقال فى حدة :
- من هذا ؟

أجابته (راشيل) ، فى صرامة امرأة :

- ادخل ، وأغلق الباب خلفك يا (ناحوم) .

كانت أعصابه ثائرة للغاية ، منذ استعاد وعيه ، وعلم بمصرع
(كوهين) ، إلا أنه تماسك فى صعوبة ، وأغلق الباب خلفه ، وتقدم
منها بنظرة متسائلة ، فأشارت إلى الرجل ، وهى تبتسم ابتسامة ذات
مغزى ، وتقول :

- إنه المترجم الذى نبحث عنه .

هتف (ناحوم) ، فى لهفة :

- حقا ؟!

أجابه الرجل ، مرتبكا :

- لست أميل إلى الزهو يا سيدى ، ولكننى بالفعل أجيد الترجمة ،

من العبرية إلى اليونانية ، و ...

قاطعه (ناحوم) فى دهشة ، مستنكرا :

- إلى اليونانية ؟!

أسرعت (راشيل) ، تقول :

- ولكن لديه خبرات مذهشة ، فقد ترجم منذ عدة أيام بعض الوثائق

الإسرائيلية ، من العبرية إلى اليونانية ، لحساب سائق سيارة أجرة ،

يدعى (بابيوس) .

قال (ناحوم) ، بسرعة :

- (خريستو بابيوس) .. المقيم فى السادس عشر من شارع
(مينرفا) ، فى الشقة رقم أربعة ، ويمتلك سيارة رقم لوحاتها
(٢٠٠٢٦٧) .

ارتفع حاجبا المترجم فى دهشة ، وهو يقول :

- بالضبط .. كيف عرفت هذا ؟

أجابته (راشيل) :

- إننا نعرف الكثير ، ولكننا نحتاج إلى خبراتك .

غمغم ، مبهورا :

- أنا رهن إشارتك يا سيدتى .

منحته ابتسامة أنيقة ، وهى تقول :

- لا يمكنك أن تتصور كم يمكنك أن تفيدنا .

غرق لحظات فى عينيها الجميلتين ، وازدرد لعابه فى صعوبة ،

وهو يتمم :

- كلا .. لا يمكننى يا سيدتى .

مالت نحوه كثيرا ، حتى تسأل عطرها إلى أنفه ، وهى تهمس :

- قل لى يا عزيزى .. هل تحتفظ بمسودات لعملك ؟

همس مبهورا :

- أحيانا .

داعبت أنفاسها أذنه ، وهى تسأله :

- هل يمكننى رؤية المكان ، الذى تقوم فيه بعملك .

بح صوته تماما ، وهو يقول :

- بالطبع .

تراجعت بغتة ، وهبت واقفة ، وهي تقول :

- هيا بنا إذن .

ارتبك قائلاً :

- الآن يا سيدى .

ابتسمت مرة أخرى فى وجهه ، وهي تقول :

- نعم .. الآن .

نهض قائلاً :

- أنا رهن إشارتك يا سيدتى .

واستقل سيارة (الموساد) معها ، وهو يتطلع إليها مبهوراً مأخوذاً ، وراحت هى تداعبه طوال الوقت ، وتبتسم له كثيرًا ، حتى بلغوا منزله ، فقال فى لهفة :

- عندما ترين مكتبى يا سيدتى ، ستأكدين من أننى الرجل المناسب ، فمكتبتى تحتفظ بعشرات الكتب اليونانية والعبرية .. لقد درست التاريخ العبرى كله .. منذ أيام (موسى) ، وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .

عقدت حاجبها فى ضيق ، وهي تقول :

- ولماذا حرب أكتوبر بالذات ؟

ارتبك وهو يقول :

- تصوّرت أنها نقطة تحول حاسمة ، فى تاريخ (إسرائيل) . مطّت شفيتها غاضبة ، ثم غادرت معه السيارة ، وهي تقول لـ (ناحوم) بالفرنسية .

- انتظر هنا ، وراقب الطريق جيدًا .

ثم وضعت يدها على كتف المترجم ، مستطردة بابتسامة واسعة :

- والآن دعنا نشاهد مكتبك .

صعد معها إلى شفته ، وجسده كله يرتجف لملامساتها ، حتى أنه استغرق بعض الوقت ، ليضع المفتاح فى ثقب الباب ، قبل أن يفتح الباب ، ويشير إليها ، قائلاً :

- تفضلى يا سيدتى .. تفضلى .

دخلت (راشيل) شفته ، وهي تدير عينيها فى المكان فى اهتمام : كانت الفوضى تسود حجرة المكتب إلى حد كبير .. أوراق متناثرة هنا وهناك ..

عشرات الكتب ملقاة على الأريكة وفوق المقاعد .. آلة كاتبة عتيقة ، تحتل مكانًا بارزًا ، وتحيط بها أوراق متكوّرة ، لم يحاول صاحبها حتى أن يلقبها فى سلة المهملات .. وفى ارتباك ، قال المترجم ، وهو يرفع بعض الكتب عن أحد المقاعد ، ليمنحها مكانًا للجلوس ، وسط كل هذه الفوضى :

- إننى أعمل طوال الوقت ، ولست متزوجًا .. أنت تلهمين بالتأكيد .

غمغمت :

- بالتأكيد .

ثم سألته ، فى اهتمام :

- أين مسودات الوثائق الإسرائيلية ؟

أجابها فى ارتباك :

- فى مكان ما هنا .. لست أدري أين وضعتها بالضبط ، ولكننى سأجدها حتمًا .



راقبته في صمت ، وهو يبعثر الكتب والأوراق ، بحثاً عن
المسودات ، ثم سألته في خفوت :
- ألا تتخلص من مسوداتك عادة ؟

ابتسم مغفماً :

- إذا ما تذكرت هذا ؟

انعقد حاجباها ، وشبكت أصابع كفيها أمام وجهها ، وهي تراقب
تحركاته المضطربة غير المنتظمة ، وخاصة عندما قلب محتويات
سلة المهملات على الأرض ، وراح يبحث بينها في اهتمام ..

ثم نهضت (راشيل) ..

نهضت وخلعت سترتها الجلدية ، وبدأت عضلاتها المفتولة بارزة
واضحة ، على نحو يتنافى مع جمال وجهها ، وأطلقت من عينيها نظرة
وحشية عجيبة ، وهي تقترب في ببطء من المترجم ، الذي أولاها
ظهره ، وراح يبحث عن المسودات ، وهو يقول في حيرة :

- كانت هنا .. لقد رأيته أمس أو أول أمس .. ترى أين ذهبت ؟ ..

إنها أفضل ما ترجمته ، في السنوات الأربع الأخيرة .. هل تعلمين
يا سيدتي .. لقد شعرت بسعادة جمّة ، وأنا أفعل هذا ، على الرغم
من أن المعلومات التي كانت تحويها هذه الوثائق ، - أنت تدعو
للفزع .. حديث عن التطور النووي ، والـ ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أحاطت ذراعها بعنقه ، وشعر بعضلاتها
القوية تعتصره ، فهتف في ارتياح :

- سيدى .. ماذا ته ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أحاطت ذراعها بعنقه ، وشعر بعضلاتها القوية

تعتصره ..

١٥ - مفتاح السر ..

« هذا أمر غير محتمل .. »

صاح مندوب (الموساد) بهذه العبارة فى حنى ، أمام مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، الذى تراجع بمقعده ، وتطلع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله فى برود :

« ما هو الأمر غير المحتمل ؟ »

أجاب المندوب ، فى حدة :

« ذلك الذى يحدث فى (أثينا) .. رجالكم يقتلون رجالنا هناك ، ويطلقون النار فى كل مكان .. ماذا أصابكم ؟ .. المفروض أن نتعاون معاً ، لا أن نتقاتل على هذا النحو ، وبمنتهى العلانية .
بدت ابتسامة باهتة على شفتى مدير المخابرات الأمريكى ، وهو يرفع عينيه فى دهشة مصطنعة ، ويقول :

« رجالنا يتقاتلون فى (أثينا) ؟ .. عجباً ! .. لماذا لم يبلغنى الرجال بهذا ؟ .. كل ما أعلمه هو أن مجهولين أطلقوا النار على أحد رجالنا ، فى محطة قطار (أثينا) ، وقتلوه بأسلوب خسيس للغاية .
وضغط حروف كلمة (مجهولين) عمداً ، ليضفى عليها المعنى الذى يقصده ، والتقط المندوب الإسرائيلى المغزى ، واستوعبه جيداً ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال فى توتر :

« لا شأن لنا بالمجهولين ، الذين يطلقون النار على رجالكم ..
إننى أتحدث عن رجالك ، الذين يقتلون رجالنا . »

اختنقت الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه ذعراً وألماً ، وراح يضرب بذراعيه وقدميه ، محاولاً الدفاع عن حياته ، ولكن (راشيل) كانت تعتصر عنقه بكل قوتها ، وعيناها تحملان تعبيراً وحشياً مخيفاً ..

تعبير أشبه بما تحمله عينا لبؤة مفترسة ، وهى تلتهم فريستها الدسمة ، بعد جوع طويل ..

وجحظت عينا المترجم فى شدة ، وتدلى لسانه خارج حلقه فى مشهد مخيف ، ومقاومته تتلاشى وتتهار ، و ...

وانبعثت قرقرة خفيفة فى المكان ، ثم تهاوى الرجل جثة هامدة ..
وعلى الرغم من ثقتها فى مصرعه ، واصلت (راشيل) اعتصار عنقه فى قسوة رهيبة ، قبل أن تتركه يسقط أرضاً .
ولثوان ، ظلت عيناها تحملان ذلك التعبير الوحشى ، قبل أن تشعل قذاحتها ، وتغمغم :

« أرايت أيها المترجم ؟ لقد أفدتنا كثيراً .
وأشعلت النار فى بعض الأوراق ، وتركناها تتأجج قليلاً ، ثم غادرت المكان كله ، واستقلت السيارة مع (ناحوم) ، وهى تتمم :
« هيا بنا .. لقد انتهينا من هذا أيضاً .
وعندما انطلقت بهما السيارة ، كانت النيران تشتعل فى المكان كله ، معلنة احتراق طرف آخر من أطراف الحلقة ..
حلقة الموت . »

هز المدير كتفيه ، وقال :

- ومن أدراك أن رجالنا يفعلون هذا ؟ .. ربما كان المجهولون أنفسهم ، هم الذين يسعون لقتل رجالكم ، كما قتلوا رجلنا .
انعقد حاجبا المندوب الإسرائيلي في غضب ، ومال يستند بكفيه إلى مكتب المدير ، وهو يقترب منه بوجهه ، قائلا :
- سيدى .. أرجوك أن تستمع إلى جيداً ، وبمنتهى الحكمة والاهتمام ، فما يحدث فى (أثينا) سابقة خطيرة ، لا عهد لنا بها فى عالمنا .. أعترف أن لنا فريقاً هناك ، يسعى لاستعادة بعض وثائقنا ، ولكن رجالك يحاولون منعنا من هذا دون مبرر .

سأله المدير ، مباشرة :

- أية وثائق هذه ؟

عقد المندوب حاجبيه ، وهو يقول :

- وثائق سرية للغاية .

ابتسم المدير فى شئ من السخرية ، وهو يقول :

- أليس من المفروض ، طبقاً للاتفاق الموقع بيننا ، أن نتبادل المعلومات والأسرار ؟

أجابه المندوب ، فى عصبية :

- هذا لا ينطبق على تلك المعلومات ، التى تندرج تحت عبارة (سرى للغاية) .

قال المدير ، فى صرامة :

- بل ينطبق على كل أنواع المعلومات حسبما أذكر .

ثم ضغط أزرار جهاز الكمبيوتر المجاور له ، مستطرداً :

- ويمكننا أن نراجع العقد ، و ..

قاطعه المندوب الإسرائيلى ، فى توتر :

- ربما كان كذلك ، ولكننى لا أستطيع أن أخبرك ماتحريه تلك الوثائق .

سأله بسرعة :

- لماذا ؟

التقط المندوب الإسرائيلى نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب :

- لأننى أنا نفسى أجهل هذا .

أوماً المدير برأسه ، وقال :

- سبب منطقى .

ثم عادت تلك الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يستطرد :

- ولكن من يدري ؟! .. ربما أمكننا معرفة فحوى تلك الوثائق

يوماً ما .

أدرك المندوب الإسرائيلى ما يعنيه مدير المخابرات الأمريكى

بقوله ، فقال فى ضيق :

- سيدى .. هذا الأسلوب لا يتفق مع ما عهدناه من تعاون ، بين

جهازى مخابراتنا .. ولو أننا تجاوزنا ما فعله رجالك ، عندما قتلوا

اثنين من رجالنا ، فسنكون قد وضعنا أحد أخطر المبادئ فى عالمنا ،

ودققنا المسمار الأول فى نعش صداقتنا الطويلة .

قال المدير فى صرامة :

- من الواضح أنك تميل إلى الثرثرة يا رجل (الموساد) ، ولكنك

لم تمنحنى بعد دليلاً واحداً ، على أن رجالى فعلوا شيئاً برجالك .

هتف المندوب ، فى حدة :

- ولكنكم فعلتم هذا بصورة سافرة يا سيدى ، فقتل رجالكم

(أرثولد) عميلنا (كوهين) ، فى هجوم مباشر على منزلنا الآمن ،
فى قلب (أثينا) وطاردت (ليزلى) عميلتنا (راشيل) فى الطرقات ،
ولولا نجاح (راشيل) فى الاختباء ، ووصول رجال الشرطة ، لقتلتها
(ليزلى) فى منتصف الطريق .

رفع المدير حاجبيه ، وهو يفتعل الدهشة ، قائلاً :

- عجبنا !.. ليست لدى أنى فكرة عن هذا .. دعنا نراجع الأوامر
الرسمية .

وضغط أزرار الكمبيوتر بسرعة ، قبل أن يشير إلى شاشته ،
مستطرداً :

- انظر .. ألم أقل لك ؟.. لا توجد أية أوامر رسمية ، كما أنه من
المفروض ، طبقاً لمعلوماتنا ، أن تكون (ليزلى) الآن فى (باريس) ،
وليس فى (أثينا) .

انعقد حاجبا المندوب الإسرائيلى ، وهو يقول :

- شىء طريف يا سيادة المدير ، ولكن نحن أيضاً نفعل هذا أحياناً ،
فليس من الضرورى أن تكون أعمالنا كلها بأوامر رسمية .. بل ولن
أبالغ لو قلت إننا مبتكروا الفكرة ، ولكن كل هذا لا يهم .. المهم الآن
أن نوقف تلك الحرب الدائرة بين مخابراتينا ، حتى لا يكون الرابع
الوحيد منها هم المصريون .

قال المدير ، فى بطم :

- هل تدخل المصريون اللعبة ؟

أجاب المدير ، فى عصبية :

- بالتأكيد ، فوثائقنا السرية تهتمهم بأكثر مما تهتمكم ، وسيبذلون

قصارى جهدهم للحصول عليها ، ولو انشغلنا نحن بقتال بعضنا
البعض ، سيصبحون هم الفائزين فى النهاية .

لوح مدير المخابرات بذراعة ، قائلاً :

- هراء .. المصريون لا يمكنهم هزيمتنا معاً .

أجاب المندوب ، فى حزم :

- ينبغي أن تعرف أولاً من الرجل ، الذى اختارته المخابرات
المصرية ، ليتولى هذه العملية .. إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

توثر أصابع المدير على نحو ملحوظ ، عندما نطق المندوب
الإسرائيلى اسم (أدهم) ، وقبض على مسند مقعده فى شدة ، قبل أن
يغمغم :

- هذا أمر طبيعى .

ثم عاد يتراجع بمقعده ، مستطرداً :

- وهذا يغير الكثير من الأمور .. الكثير جداً .

وهنا فقط ، شعر المندوب الإسرائيلى بالارتياح ..

★ ★ ★

أكثر ما يميز (أدهم صبرى) ، فى عالم المخابرات ، ليس مهاراته
المتعددة ، أو خبراته اللامحدودة ، وإنما هى تلك الموهبة ، التى
حباه الله (سبحانه وتعالى) بها ، والتى عمل والده (رحمه الله)
على تلمينتها وصقلها ، منذ نعومة أظفار (أدهم) ..

إنها سرعة استجابته المدهشة ..

ففى الوقت الذى يحتاج فيه الشخص العادى إلى ثانيتين كاملتين ،
لتحديد موقفه من مواجهة ما ، واتخاذ رد الفعل المناسب لها ،
يختصر عقل (أدهم) زمن هذه العملية إلى نصف ثانية فحسب ..

وهنا تبرز قيمة الوقت .

ففرق مقداره ثانية ونصف الثانية ، يعدّ بالنسبة لرجل مثل (أدهم صبرى) ، فترة زمنية كافية ، ليفعل فيها الكثير .. والكثير جدًا ..

فعندما بدأ (أدهم) حديثه المستفز مع (كوستا) ، كان يعلم أن هذا الأخير سيفقد أعصابه بسرعة ، وأنه سيأمر (موستاش) المتحفظ بإطلاق النار عليه ، لذا فقد ظلت عيناه تتابعان وترصدان سبابة (موستاش) طوال الوقت ، وهى متأهبة فوق زناد المسدس ، حتى صرخ (كوستا) بأمره بالقتل ..

وهنا تحرك (أدهم) ..

تحرك فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (موستاش) زناد مسدسه ، فأنحنى فى سرعة وخفة ، وسمع الرصاصة تعبر فوقه ، وتخرق باب الحجرة ، وهو ينزلق فى مرونة مذهشة ، متجهًا نحو (موستاش) بالضبط ، ثم يقفز واقفاً على قدميه أمامه ، وهو يقول :
- أنت أخطأت إصابة هدفك .

ثم وثب يركل المسدس من يده ، مستطردًا :

- أما أنا .. فلا .

سقط المسدس من يد (موستاش) ، فأطلق زمجرة مخيلة ، وانقضَّ على (أدهم) فى غضب ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (كوستا) ، محاولاً استعادة المسدس ، وهو يهتف :

- أمسكه جيدًا يا (موستاش) ، وسأستعيد أنا المسدس .

ولكن (أدهم) استقبل (موستاش) بكلمة كالقنبلة فى فكه ، ثم حملة

فى قوة ، وألقاه جانبًا ، قبل أن يثب ليركل المسدس ، قبل أن تبلغه يد (كوستا) ، هاتفاً :

- ليس بهذه السرعة يا صاح .

شهق (كوستا) ، وتراجع فى رعب ، وهو يهتف :

- أنا أعترف أيتها السيد .. أعترف .

ولكن فجأة ، قفز (موستاش) نحو (أدهم) من الخلف ، وأحاط وسطه وذراعيه بذراعيه القويتين ، وهو يصرخ :

- سأقتله يا (كوستا) .. سأقتله .

وهنا قفز (أدهم) بقدميه ، ودفعهما فى الجدار المواجه له بكل قوته ، مما دفع (موستاش) إلى الخلف فى عنف ، فارتدت قدما (أدهم) ، لتضربا ساقيه بضربة رهيبة ، جعلته يصرخ ، وأجبرته على تخفيف ضغط ذراعيه ، فانزلق (أدهم) من بينهما ، ودار على عقبيه فى سرعة مذهشة ، ثم أمسك الجانب السليم من شارب (موستاش) ، وهو يقول ساخرًا :

- من حسن الحظ أنك لم تحلقه بعد .

ثم لكمة فى معدته بكل قوته ، وجذبه من شاربه فى قوة ، جعلته يطلق صرخة ألم رهيبة ، قبل أن يضربه (أدهم) بالجدار ، ثم يكيل له ثلاث لكمات متعاقبة ، فى أنفه وفكه وعنقه ، وبعدها تراجع (أدهم) عدة خطوات إلى الوراء ، وقفز يدور حول نفسه فى براعة مذهشة ، قبل أن يركل وجه (موستاش) بقوة رهيبة ، شهق لها الشاب فى عنف ، ثم دار حول نفسه ، وسقط على وجهه فاقد الوعي .

واتسعت عيناه (كوستا) فى ذعر ، ولكنه قفز يلتقط المسدس مرة ثانية وضوَّبه إلى (أدهم) ، صائحًا :

- سأطلق النار .. أقسم إننى سأفعل .

نفض (أدهم) الغبار عن ثيابه ، وهو يقول :

- هيا ... افعل .. وسيد هشنى هذا بالفعل ، فلم أر من قبل خنزيرا

يطلق النار .

صاح (كوستا) فى زعر ، و (أدهم) يقترب منه :

- ولكننى سأفعل .. أقسم لك .

ارتفع فى هذه اللحظة صوت طرقات قوية ، على باب الشقة ،

مصحوبا بصوت مفتش الشرطة ، وهو يهتف :

- ماذا يحدث هنا ؟ .. افتحوا الباب فوراً ، وإلا اقتحمنا الباب ،

وأطلقنا النار دون إنذار .

صاح (كوستا) :

- أرايت !! الشرطة وصلت ، ولن يمكنك أن تضربنى .

تقدم (أدهم) نحوه أكثر فى هدوء ، وهو يقول :

- حقا ؟ .. وما رأيك لو ضربتك على مؤخرك أمامهم .

هتف (كوستا) مرتجفا :

- قلت لك : إننى سأطلق النار .. صدقنى .

وفى نفس الوقت هتف مفتش الشرطة من الخارج :

- افتح الباب .. هذا آخر إنذار .

ووثب (أدهم) نحو (كوستا) ، الذى ضغط زناده المسدس ،

صارخا :

- لا .. لا .

أخطأت رصاصته (أدهم) ، وواصلت طريقها عبر الحجرة ، لتحطم

إناء زهور أنيقا ، فسقط أرضا ، وتحطم بشدة ، فى نفس اللحظة التى

طوى فيها (أدهم) عنق (كوستا) بذراعه ، قائلا فى سخرية .

- ها أنتذا أطلقت النار أيها الخنزير اليونانى .. بم أفادك هذا ؟

ومن الخارج ، صاح المفتش :

- إنهم يطلقون النار .. تراجعوا يا رجال .

وصاح (كوستا) ، فى ارتياح :

- لا .. لا تضربنى .. أرجوك .. إنهم سيقتحمون المكان حتما ،

و ..

وفجأة ، بتر (كوستا) عبارته ، وهتف :

- ما هذا بالضبط ؟

أدار (أدهم) عينيه إلى حيث يتطلع (كوستا) ، ووقع بصره على

مفتاح له شكل خاص ، وبحمل حلقة طبع عليها أرقام واضحة ،

و (كوستا) يهتف :

- آه .. ها هو ذا ما نبحث عنه .. أراهن على أن هذا المفتاح

سيقودنا إلى تلك الوثائق .. أراهن ..

قال (أدهم) :

- أصدقك أيها الخنزير .

ثم هوى على رأس (كوستا) بضربة عنيفة ، أسقطته فاقد

الوعى ، وقفز يلتقط المفتاح ، ويدسه فى جيبه ، فى نفس اللحظة

التي ارتفع فيها صوت المفتش فى الخارج :

- اقتحموا المكان .

وفي نفس اللحظة ، التي اقتحم فيها رجال الشرطة الشقة ، كان (أدهم) يقفز من نافذتها إلى الخارج ، فصاح المفتش :
- ها هو ذا .. الحقوا به .

انطلق رجال الشرطة إلى النافذة ، ورأوا (أدهم) يتحرك في خفة .
مثيرة للدهشة ، فوق أفريز النافذة ، وهتف أحدهم :
- إنه يحاول الفرار .. هل نطلق النار عليه ؟
صاح بهم المفتش :
- أوقفوه بأي ثمن .

انطلقت رصاصاتهم نحو (أدهم) ، ولكنه وثب في اللحظة نفسها ، وتعلق بشرفة الشقة المجاورة ، ثم وثب داخلها ، واختلى داخل الشقة ، فتراجع رجال الشرطة ، صائحين :
- إنه يحاول الفرار من الشقة الأخرى .

لم يكد المفتش يسمعهم ، حتى اندفع نحو الشقة المجاورة ، ولكنه لم يكد يبلغها ، حتى انفتح بابها في عنف ، فارتطم بوجهه في قوة ، وأسقطه على الأرض بين رجاله ، في حين اندفع (أدهم) خارج الشقة ، واندفع نحو السلم ، قبل أن يطلق أحد الرجال رصاصة واحدة ، فصاح المفتش :
- إنه يصعد إلى السطح .. الحقوا به .

ولم يتوقف (أدهم) لحظة واحدة ، على الرغم من الرصاصات المنهمرة عليه كالمنطر ، والتي صدّت درجات السلم معظمها ، حتى بلغ السطح ، وتوقف لحظة أمام بابه المغلق بقفل كبير ، وصوت المفتش يبلغه من أسفل ، وهو يهتف في حدة :
- ماذا أصابكم ؟ .. إنه مجرد رجل واحد .

وهنا تراجع (أدهم) خطوتين ، ثم ضرب الباب بقدمه ، بكل ما استطاع من قوة ، فحطم رتاجه ، وأسقط قفله ، واندفع إلى السطح ..

كان السطح خاليا تماما ، ولا يوجد مكان واحد فيه يصلح للاختباء ، وكان له حاجز قصير عند أطرافه ، أسرع إليه (أدهم) ، وتطلع إلى المبنى المجاور ، الذي يفصله عن هذا المبنى طريق جانبي صغير ، لا يزيد عرضه على أربعة أمتار ، ثم غمغم ساخرا :
- يبدو أن القدر يصّر على أن تكون حياتك شاقة دائما يا (أدهم) .

كان وقع أقدام رجال الشرطة يقترب في سرعة ، ولكنه ظل محتفظا بهدونه ، وهو يتراجع في سرعة ، ويقيس المسافة ببصره جيدا ، ثم ينطلق نحو الحاجز بأقصى سرعته ..
ووصل رجال الشرطة إلى السطح ، وهتف أحدهم في صرامة :
- توقف يا رجل ، وإلا ...

ولم يستطع الرجل إتمام عبارته ، وهو يحذق في ذهول ، في (أدهم صبرى) ، الذي بلغ الحاجز ، ووثب وثبة مدهشة ، فاقت كل ما رآه الشرطي في حياته ، حتى في حلقة السيرك ، ليعبر الأمتار الأربعة ، ويهبط عند السطح المجاور ، ثم يواصل عدوه دون توقف ..

وعندما وصل المفتش إلى السطح ، وهو يلهث في شدة ، لم يكن الدهول قد فارق الشرطي بعد ، فصاح به :
- ماذا أصابك يا رجل ؟ .. لماذا لم تطلق النار ؟

أجابه الشرطى ، مبهوذاً :
 - هل رأيت ما فعله يا سيدى ؟ .. هل رأيت هذا ؟
 حذق المفتش فى السطح المجاور ، الذى بدا له خالياً تماماً ، ثم
 هتف محنقاً :
 - أيها الأغبياء ! .. سيهبط من البناية المجاورة .
 وانطلق يعدو مع رجاله ، فى محاولة للحاق بـ (أدهم) ..
 ولكن هيهات ..
 لقد بلغ (أدهم) الشارع فى دقيقة واحدة ، واستعد ليعدو مبتعداً ،
 عندما توقفت أمامه سيارة صغيرة ، وهتفت الفتاة حمراء الشعر ،
 التى تجلس أمام عجلة قيادتها :
 - أسرع يا (أدهم) .. أسرع .
 وثب داخل السيارة دون مناقشة ، فانطلقت على الفور ، وهتفت
 (هويدا) فى جذل :
 - كنت أعلم أنك ستفعلها .. لقد أثرت جنون رجال الشرطة
 كالمعتاد .
 استرخى فى مقعده ، وهو يلتقط أنفاسه ، وسألها :
 - هل تحملين حقيبة من الشعر المستعار ؟
 ضحكت ، قائلة :
 - هذا أفضل ما فى المرأة .. إنها تستطيع تغيير شكلها فى
 سهولة .
 تتمم ، وهو يسبل عينيه :
 - هذا صحيح .

كان يشعر بآلام شديدة فى عنقه وذراعه ، وشعرت هى
 بما يعانيه ، على الرغم من أن ملامحه لم تشف عن هذا ، فسألته :
 - إلى أين تريد منى أن أذهب بك ؟
 تنهد ، قائلاً :
 - إلى أقرب محل لاستجار السيارات .
 هتفت ، فى غضب :
 - أما تزال مصراً على كتمان ما تفعله عنى ؟
 ابتسم ، متمتماً :
 - أنت تعرفين القواعد .
 عذت حاجبها فى حلق ، وهى تقول :
 - فليكن ، ولكنك لن تستطيع منعى من اقتحام الأمر وقتما أشاء .
 اكتفى بابتسامة خفيفة ، دون أن يعلق على عبارتها ، فقد كان
 يحتاج فعلاً إلى الراحة ..
 يحتاج إليها بشدة ..

★ ★ ★

كادت أسنان (راشيل) تتحطم ، وهى تقبض فكها على بعضهما
 فى حلق ، هاتفة :
 - ماذا أصابنا هذه المرة ؟ .. إننا ننتقل من فشل إلى فشل .. لماذا
 تفسد كل الأمور ؟
 أجابها (ناحوم) ، فى ضيق :
 - أعتقد أنك ببالغين كثيراً يا (راشيل) .. لقد حققنا نجاحات
 عديدة ، وتخلصنا من مترجم الوثائق ، ومن الرجل الذى طبع
 صورها ، وهذا نجاح كبير .

أجابها ، وقد بدأ يشعر بالفخر لما فعله :
- أفرجت عنهما الشرطة بضمان محل عملهما ، وسيعودان إلى
البار حتما .

هبت من مكانها ، قائلة :
- عظيم .. دعنا نذهب إليهما على الفور إذن .
سألها ، بسرعة :
- وماذا عن الأمريكيين ؟

قالت ، في قلق :
- ماذا عنهم ؟

لوح بكفه ، قائلا :-

- إنهم بطاردوننا في كل مكان ، ويعرفون عملنا .. لا يمكنني أن
أتحرك بحرية في وجودهم :

عقدت حاجبيها في غضب ، وهي تقول :
- أنت على حق .. إنهم أوغاد .. لقد قتلوا (بترو) و (كوهين) ،
وتلك اللعينة (ليزلى) تسعى للتخلص منى .

سألها :

- ماذا تفعل معهم إذن ؟
صمتت لحظات مليئة ، ثم التفتت إليه ، قائلة :
- ماذا تفعل عادة ، عندما يهتد أحدهم أمنك ؟

أجاب ، بسرعة :

- أتخلص منه .

ثم أضاف ، في قلق :

- ولكنهما من الأمريكيين ، والمفروض أن يتم التعاون بيننا

قالت ، في حدة :

- ولكن حامل الوثائق نفسه ما زال مطلق السراح ، والوثائق في
حوزته مع (الميكرو فيلم) ، و (أدهم صبرى) سبقنا إليه دائما
بخطوة .. هل رأيت كيف وصل إلى عنوانه ، وفتش شقته جيدا ..
ماذا لو أنه حصل على نسخة من الوثائق ؟

قال ، في حسم :

- يمكننا التأكد من هذا .

سألته ، في دهشة :

- كيف ؟

أجابها ، في لهجة حازمة واثقة :

- رجال الشرطة عثروا على رجلين فاقدى الوعي ، في شقة
(بابيوس) ، بعد فرار (أدهم) منها ، أحدهما هو (كوستا
زافيروس) ، صاحب بار البجعة البيضاء ، والثاني حارسه الخاص
(موستاش) ، وتم استجوابهما ، ولكنهما ادعيا أنهما سمعا جلبة في
الشفة ، وعندما طرقا بابها لاستطلاع الأمر ، هاجمهما (أدهم) ،
وأفقدتهما وعيهما .

سألته ، حائرة :

- وكيف علمت هذا ؟

لوح بكفه ، قائلا :-

- رشوت أحد رجال الشرطة ، فمنحني صورة من أوراق التحقيق .

مالت نحوه ، تسأله في اهتمام :

- وأين (كوستا) و (موستاش) الآن ؟

وبينهم ، لا أن نتقاتل .. كيف نبرّر هذا أمام الرؤساء ؟

رفعت حاجبها فى خبث ، وخفضته قائلة :

- الأوامر صريحة . بشأن كل من يطلع على الوثائق .

قال فى دهشة :

- ولكنهما لم يطلعا عليها .

قالت ، فى خبث أكثر :

- عليهما عبء إثبات هذا .

تطلع إليها لحظة ، فى حيرة وتساؤل ، قبل أن يهتف :

- آه .. فهمت يا (راشيل) .. يا لك من عبقرية ! .. سيسعدنى

هذا للغاية .

أجابته ، مبتسمة :

- وأنا أيضا يا عزيزى (ناحوم) .. ولكننا لن نضيع وقتنا فى

هذا الآن ، بل سنتجه مباشرة إلى بار البجعة البيضاء ، وبعد أن نتم

مهمتنا هناك ، سنجد الوقت للقاء الأصدقاء الأمريكيين .

وأخرجت مسدسها . لتجذب مشطه ، وتتركه يرتدّ فى قوة ، قبل

أن تستطرد :

- وعندها ستحين ساعة اللهو ..

قالتها ، وفمها يحمل ابتسامة كبيرة ..

ابتسامة جذل ..

ووحشية .

★ ★ ★

١٦ - أصدقاء الشر ..

أغلق (أدهم) عينيه فى إرهاب كبير ، وهو يرقد على الأريكة

الوثيرة ، فى ردهة المنزل الآمن ، وراح عقله يسترجع الأحداث كلها

فى ببطء ، ويحاول التركيز على بعض النقاط ، ولكن ذهنه المكدود

كان يرفض هذا فى إصرار ، ويلجّ عليه ليحظى بقدر من النوم ، ولكنه

لم يكد يسبل جفنيه ، ويحاول الاستسلام للنعاس ، حتى سمع صوت

المفتاح يدور فى الباب ، فقفز فى سرعة ، واستلّ مسدسه فى تحفّز ،

إلا أنه لم يلبث أن أعاده إلى موضعه ، وهو يقول :

- أهلاً يا (مجدى) .. ماذا فعلت اليوم ؟

أجابه (مجدى) ، فى صوت يحمل رنة ضيق واضحة :

- عثرت على المترجم .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

- لماذا تبدو حزينا إذن ؟

ناولته (مجدى) الجريدة المسائية ، وهو يقول :

- لأننى عثرت عليه من هذا الخبر .

التقط (أدهم) الجريدة ، وقرأ الخبر الذى يشير إليه (مجدى) ،

والذى يتحدث عن مصرع مترجم شاب ، فى حريق غامض بمنزله ،

ثم تأتى التفاصيل لتشير إلى أن ذلك المترجم الشاب تخصص فى

الترجمة من العبرية إلى اليونانية ، ثم يصف الحريق ، وبراعة رجال

الإطفاء فى التعامل معه .. إلى نهاية الخبر ..

وفي مرارة ، طوى (أدهم) الجريدة ، وقال :
 - يا للخسارة : .. لقد توصل إليه الإسرائيليون قبلنا .
 تعتم (مجدى) :
 - هذا من سوء حظه .
 وألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قبل أن يستطرد :
 - من الواضح أن الإسرائيليين يعتزمون محو كل ما يتعلق
 بوثائقهم من الوجود .
 أجابه (أدهم) ، وهو يسبل جفنيه فى إرهاق :
 - بالتأكيد ، فأقدامهم على قتل أحد رجال المخابرات الأمريكية ،
 ليس بالعمل التقليدى أو البسيط ، بل هو إجراء يشف عن مدى أهمية
 وخطورة تلك الوثائق . بالنسبة لهم .
 سأله (مجدى) :
 - هل تعتقد أننا نستطيع الحصول على تلك الوثائق ؟
 ابتسم (أدهم) ، وهز كتفيه ، قائلاً :
 - لماذا نحن هنا إذن ؟
 وصمت لحظة ، وهو يسترخى تماماً فى مكانه ، حتى أن
 (مجدى) تصور أنه استغرق فى النوم بالفعل ، ولكنه سمعه يتابع :
 - ولكن المهم ألا يدرك الإسرائيليون أننا حصلنا على وثائقهم .
 قال (مجدى) ، فى دهشة :
 - ولماذا ؟
 أجابه (أدهم) ، فى إرهاق واضح :
 - حتى تظل لها نفس الأهمية بالنسبة لهم ، ويتصورون أن أحداً
 لم ينجح فى كشف سرهم ، فهذا يمنح الوثائق أهمية أكبر .



حتى سمع صوت المفتاح يدور فى الباب ، فقفز فى سرعة ، واستل مسدسه
 فى تحقُّر ، إلا أنه لم يلبث أن أعاده إلى موضعه ..

غمغم (مجدى) :

- فهمت .

ثم تردد لحظة ، قبل أن يسأله :

- ولكن ماذا عنك يا سيادة العقيد ؟ .. هل كان يومك مثمرًا ؟

حاول (أدهم) أن يبتسم ، ولكن ابتسامته تهاكت فوق شفثيه ،

وهو يتمتم :

- بالتأكيد .. لقد عثرت على مفتاح .

سأله (مجدى) :

- مفتاح ماذا ؟

ولم يجب (أدهم) هذه المرة ، لأنه غرق ..

غرق فى سبات عميق ..

★ ★ ★

جذب (أرنولد) مشط مسدسه ، داخل سيارته الأمريكية ، ذات

اللوحات الدبلوماسية ، وهو يقول لزميلته (ليزلى) فى حزم :

- لقد حصلت على كل المعلومات اللازمة ، فالشخص الذى يسعى

الإسرائيليون خلفه يدعى (كريستو بايوس) ، وهو أحد سائلى

سيارات الأجرة ، وأعتقد أنه الشخص نفسه ، الذى تفاوض معنا بشأن

الوثائق ، ولكنه اختلف تمامًا منذ ليلة أمس ، وتعرضت شفته لمحاولة

سرقة ، وطارد رجال الشرطة السارق ، ولكنه أفلت منهم ، وترك

خلفه رجلين ، أحدهما صاحب بار ، والثانى حارسه الخاص .

سأله ، فى برود :

- هل حصلت على عنوانهما ؟

أجابها ، فى حزم :

- بالطبع .. وهل يمكن أن يفوتنى هذا ؟

قالت ، فى شيء من الاستمتاع :

- دعنا نطلق إلى هناك إذن ، وسنجد حتمًا من يرشدنا إلى مكان

أصدقائنا الإسرائيليين ، بعد أن أدخلوا منزلهم الآمن ، وانتقلوا إلى

آخر .

أدار محرك السيارة ، وهو يقول :

- نعم .. دعينا نذهب إليهم ، فأنا شديد الشوق لرؤيتهم مرة

ثانية .

كان بهم بالانطلاق بالسيارة ، عندما ارتفع رنين هاتفها ، فالتقط

سماعته ، وقال :

- (أرنولد ويلز) .. من المتحدث ؟

واستمع إلى محدثه لحظات ، ثم انمقد حاجباه فى غضب ، وهو

يقول :

- ماذا ؟ .. هذا مستحيل !

التفتت إليه (ليزلى) فى قلق ، وسألته :

- ماذا هناك ؟

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يستمع إلى محدثه مرة أخرى ، ثم

يهتف محنقًا :

- ما معنى هذا ؟ .. لقد تلقينا أوامر محدودة ، ونعمل على تنفيذها

بكل إخلاص .

لم يرق لها تجاهله لسؤالها ، فضغطة زر ميكروفون الهاتف ،

وامتلأت السيارة بصوت السفير الأمريكى ، وهو يقول فى حدة :

- لا تجادل يا (أرنولد) .. إنها أوامر صريحة ، من (واشنطن) مباشرة .. العملية الثأرية ألغيت .. واصل مع (ليزلى) البحث عن الوثائق الإسرائيلية ، ومحاولة استعادتها ، ولكن أوقفا تلك الحرب .. لا إطلاق نار بعد الآن .. سنوقف قتل الإسرائيليين ويوقفون قتلنا .. هذه هي الأوامر الجديدة .

هتف (أرنولد) :

- اللعنة على كل الأوامر .. لقد قتل الإسرائيليون (بروس) ، ولا بد أن يدفعوا الثمن .

أجابه السفير ، فى صرامة :

- وأنت قتلت (بترو) و (كوهين) ، وهذا يكفى .. نفذ الأوامر دون مناقشة .. لا قتل بعد الآن .. دع (راشيل) و (ناحوم) لشئونهما .

صمت (أرنولد) لحظات ، والغضب يملأ كل خلجة من خلجاته ، ثم قال فى صرامة ، وهو يضغط أسنانه ببعضها :

- للأسف يا سيادة السفير .. لقد وصلت تلك الأوامر متأخرة . عقدت (ليزلى) حاجبيها ، وهى تتطلع إليه فى دهشة ، فى حين هتف السفير فى شيء من الذعر :

- وصلت متأخرة ؟! .. ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه (أرنولد) :

- لقد تخلصنا من (راشيل) و (ناحوم) بالفعل .

صرخ السفير :

- ماذا ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (ليزلى) بشدة ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، والسفير يستطرد فى غضب :

- كيف نبرر هذا للإسرائيليين ؟! .. لماذا تسرعتما إلى هذا الحد ؟ أجابه (أرنولد) ، فى صرامة :

- كنا ننفذ الأوامر يا سيادة السفير . مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول السفير فى توتر :

- لا مفر من القدر .. ما حدث قد حدث .. سأبلغهم بهذا فى (واشنطن) ، وأترك لهم اتخاذ القرار .

قال (أرنولد) ، قبل أن ينهى الاتصال :

- خيرًا تفعل يا سيادة السفير . هتفت به (ليزلى) ، وهو بعيد السّاعة إلى موضعها :

- لماذا أخبرته أننا تخلصنا بالفعل من (راشيل) و (ناحوم) ، على الرغم من أننا لم نفعل هذا بعد ؟

قال ، فى حزم :

- ألم نفعل حقا ؟! .. هذا يعنى إذن أنه علينا أن نتخلص منهما بأسرع ما يمكننا ، حتى لا يتهمنا أحد بالكذب . وانطلق بالسيارة ..

★ ★ ★

احتقن وجه (بابيوس) فى شدة ، وهو ينقل بصره بين (كوستا) و (موستاش) ، قبل أن يهتف فى حنى :

- فتشتما شقتى ؟! .. ومن منحكما هذا الحق ؟ قال له (كوستا) ، فى خشونة :

- ومن يحتاج إلى موافقتك ؟ .. لقد أفسدت الأمر كله ، وعلى أن أسعى لإصلاحه ، حتى نطفر مرة أخرى بالمليون دولار .
هتف (بابيوس) ، وهو يحاول النهوض من فراشه :
- أيها الوغد الحقيير .. لست أدرى ماذا أصابنى ، حتى أقص عليك الأمر كله ، وأنا الذى وضعت أعقد خطة فى التاريخ .
هوى (موستاش) على فكه بكلمة قوية ، أعادته إلى الفراش ، وهو يقول له فى غلظة :

- لا تتحدث بهذا الأسلوب مع (كوستا) .

صرخت فتاة البار ، وهتفت :

- رويدكما .. الرجل مصاب .

قال (كوستا) ، فى قسوة :

- فليمت ، لو أن هذا يحلو له ، ولكنه لن يمنعنى من الحصول على المال .

مسح (بابيوس) خيط الدم ، الذى سال من طرف شفثيه ، وهو يقول :

- وكيف ستحصل على المال أيها العبقرى ؟

لوح (كوستا) بيده ، وهو يقول :

- لن أضيع الوقت فى مناورات سخيفة طويلة مثلك ، بل سأضرب

على الوتر الحساس مباشرة ، وأتفاوض مع الإسرائيليين .

اعتدل (بابيوس) ، وهو يسأله محققا :

- وكيف تتم اتصالاتك معهم ، دون أن تمتلك الوثائق التى

يريدونها ؟

انعقد حاجبا (كوستا) فى شدة ، وهو يقول :

- سأحصل عليها منك .

هتف (بابيوس) :

- مبهات .. إتنى الخضل الموت .

صاح به (كوستا) :

- هناك ما هو أشنع من الموت يا رجل .

ثم أشار إلى (موستاش) ، قائلا :

- أره ماذا أعنى يا (موستاش) ..

لم يكذب بتم عبارته ، حتى هوى (موستاش) على فك (بابيوس)

بكلمة قوية ، وصرخت الفتاة فى ارتياح :

- لا .. لا تفعل هذا .

دفعها (كوستا) فى غلظة ، وهو يصيح بها :

- لو أنك لا تحتملين هذا ، فغادري الحجرة يا ذات القلب الرقيق ،

ولكننا سنواصل عملنا ، حتى نخبرنا صديقنا (بابيوس) بالمكان ،

الذى أغفل فيه وثائق الإسرائيليين .

صاح (بابيوس) ، على الرغم من لكمات وضربات وركلات

(موستاش) ، التى تنهال عليه كالمطر :

- لن تعرف مكانها أبدا .. أبدا .

التفت إليه (كوستا) فى حدة ، وصاح :

- هل تراهن ؟

تشبثت به الفتاة ، هائلة فى ضراعة :

- لا تعامله بهذه القسوة .. لن يحتمل كل هذا .

وبعد لحظة من الصمت ، هتف (كوستا) ، بصوت مبجوح :
- أنتما .. أنتما ؟ ..!

أجابته (راشيل) ، فى سخرية :

- نعم يا رجل .. نحن الإسرائيليون ، الذين تبحث عنهم .. لقد
وفرنا عليك الوقت والجهد ، وأتينا إليك مباشرة .

ثم انعقد حاجباها فى صرامة ، مستطردة :

- أين الوثائق ؟

أجابها (كوستا) ، وهو يرتجف :

- لست أدرى .

ثم أشار إلى (بابيوس) ، مستطردًا :

- هذا الرجل وحده يعلم أين هى .

التفتت (راشيل) إلى (بابيوس) ، وسألته :

- أنت (بابيوس) .. أليس كذلك ؟

أجابها (كوستا) :

- نعم .. إنه هو .. لقد أتى إلى هنا بعد إصا ...

قاطعته صائحة ، فى صرامة ؟

- أخرس أربها الغبى الحقيق .

زمجر (موستاش) ، قائلاً :

- لا أحد يتحدث مع (كوستا) بهذا الأسلوب .

قال (ناحوم) ، فى صرامة :

- حلفاً !!

ثم ضغط زناده مسدسه ، وانتفضت فتاة البار ، وهى تصرخ

دفعها (كوستا) فى غلظة ، وهتف :

- حطّم يده يا (موستاش) .

أمسك (موستاش) يد (بابيوس) المصابة فى قوة ، وأصقها

بالجدار ، فصرخ هذا الأخير مذعورًا :

- لا .. لا تفعل .

ولكن (موستاش) سحق اليد بقدمه فى قسوة رهيبة ، جعلت

الفتاة تطلق صرخة فظيعة ، تردّد صداها فى المكان كله ، وامترجت

بصرخة الألم الهائلة ، التى أطلقها (بابيوس) ، قبل أن يهتف :

- كفى .. كفى يا الله عليكم .

سأله (كوستا) ، فى وحشية :

- أين الوثائق ؟ أين تحتفظ بها ؟

قال (بابيوس) ، منهازًا :

- لن يمكنك الاستفادة منها .. صدقنى .. الأمر ليس بالسهولة التى

تتصورها .

صاح به (كوستا) :

- بل هو ليس بالصعوبة التى تتصورها أنت يا رجل .. كل

ما يقتضيه الأمر هو أن نبحث عن الإسرائيليين حتى نجدهم ، و ...

قاطعه صوت صارم ، يقول :

- لا داعى للتعب يا رجل .. نحن هنا .

انتفض جسد (كوستا) فى ذعر ، وصرخت الفتاة فى فزع ، وهى

تلتصق به ، واستدار الجميع يحدقون فى (راشيل) و (ناحوم) ،

الذين وقفا عند باب الحجرة ، يصوبان مسدسيهما إلى الجميع ..

في ارتياح ، عندما اخترقت الرصاصة جمجمة (موستاش) ، في منتصف الجبهة تمامًا ، فجحظت عيناه في زعر ودمشة ، وترشح جسده لحظة ، ثم هوى جثة هامدة ، إلى جوار فراش (بابيوس) ، الذي لوّح بيده في رعب هائل ، صارخًا :
- لا .. لا .

سألته (راشيل) ، في صرامة :
- أين الوثائق يا (بابيوس) ؟

ازدرد الرجل لعابه في صعوبة ، وتمتم مرتبكا :
- سيدتي .. أنا لم أقصد شيئًا .. الوثائق رهن إشارتك ، وسأخفض المبلغ المطلوب إلى ..

انطلقت من مسدسها رصاصة صامتة ، اخترقت ساقه اليسرى ، فأطلق صرخة ألم قوية ، وهي تتابع في برود :
- يبدو أنك لم تحسن فهمنا جيدًا يا (بابيوس) .. إننا إسرائيليون .. وهذا يعني أننا يهود بالطبع .. هل رأيت في حياتك كلها يهوديًا واحدًا ، يمكنه أن يدفع قرشا ، في شيء يمكنه الحصول عليه مجانًا ؟!

هتف (بابيوس) في ألم ، ودماءه تتزف في غزارة :
- ولكنني فعلت كل هذا من أجل الـ ...

أخرسته رصاصة أخرى من مسدسها ، اخترقت ركبته اليمنى ، فصرخ مع فتاة البار صرخة مزدوجة رهيبة ، و (راشيل) تقول :
- صبرى ينفذ بسرعة يا (بابيوس) ، وأنت تستهلك الكثير من الرصاصات .. قل لى : ما الهدف الذي تفضله لى ، في المرة القادمة .. كتفك الأيسر ، أم مرفقك الأيمن ؟

صاح (بابيوس) ، في انهيار :

- لا ياسيدتي .. لا .. خذى الوثائق .. خذى كل شيء وانصرفى .. أرجوك .

ورفع قميصه في سرعة ، فبدأ أسفله جراب من الجلد ملتصق ببطنه ، انتزعته في عصبية ، وألقاه إليها ، قائلاً :
- هنا تجدين كل الوثائق .. كل ورقة منها .. وأقسم لك إنها كلها هنا .. كلها .

هتف (كوستا) ذاهلاً :

- هل كانت هنا طوال الوقت ؟

أما (راشيل) ، فقد التلقت الغلاف الجلدى ، وراحت تفحص الصور الأصلية للوثائق ، وهي تسأل (بابيوس) ؟
- ألا توجد نسخ أخرى ؟

هتف (بابيوس) ، في ألم مذعور :

- مطلقًا .. أقسم لك .. لم أصنع منها سوى نسخة واحدة ، وهي تلك التي أعطيتها للأمريكيين .

ابتسم (ناحوم) ، وهو يقول :

- عظيم .. في هذه الحالة .

ودون أن يهتم بإكمال عبارته ، ضغط زناد مسدسه ، فانطلقت رصاصته تخترق عين (بابيوس) اليسرى ، وتغوص في مخه ، ثم تعبر جمجمته من الخلف ، مع قنبلة من الدم ، انفجرت في الجدار المقابل ، قبل أن يهوى (بابيوس) جثة هامدة ..

وصرخت فتاة البار في رعب هائل ، وامتزجت صرختها بصرخة
(راشيل) ، الغاضبة :

- ماذا فعلت أيها الغبي ؟

بدت الحيرة على وجه (ناحوم) ، وهو يقول :

- نَقُذت الأوامر يا (راشيل) .. لقد حصلنا على الصور الأصلية
للوثائق ، والرجل أقسم أنه لا توجد أية نسخ أخرى منها ، ألا تحتم
الأوامر التخلص منه بعد هذا .

صاحت في جنون :

- و (الميكروفيلم) أيها الغبي .. إننا لم نحصل على

(الميكروفيلم) بعد .

دار الحديث بينهما بالعبرية ، فلم يفهم منه (كوستا) وفتاته حرفاً
واحداً ، إلا أن شحوب وجه (ناحوم) أوحى لهما بحدوث خطأ ما ،
وخاصة مع غضب (راشيل) الهادر ، فازدرد (كوستا) لعابه ،
وتمتم :

- أظنكما لا تحتاجان إلينا الآن .

أخرجت (راشيل) قِذاحتها ، وأشعلت النار في الصور الأصلية
للوثائق ، وهي تقول في حدة :

- لا أحد يحتاج إليكما .. هذا صحيح .

ثم التفتت إلى زميلها ، مستطردة :

- اقتلها يا (ناحوم) .

أدار (ناحوم) فوهة مسدسه إليهما بسرعة ، وهو يقول :

- على الرحب والسعة .

أطلقت الفتاة صرخة مذعورة ، والتصقت بـ (كوستا) في شدة ،
حتى كانت تتلاشى في جسده البدين ، في حين لوّح هو بذراعيه في
ارتباك ، هاتفاً :

- مهلاً أيها السيدان .. يمكنني أن أفيدكما .

قالت (راشيل) في لا مبالة ، وهي تراقب النيران ، التي تلتهم
صور الوثائق في سرعة :

- أشك في هذا .

ولكنه صاح :

- (بابيوس) كان يخلّي شيئاً آخر .

عقدت حاجبيها ، والتفتت إليه ، وهي تشير لـ (ناحوم) بعدم
إطلاق النار ، وسألته :

- لماذا تقول هذا ؟

أجابها متوتراً :

- بسبب المفتاح .. المفتاح الذي عثر عليه الرجل الآخر ، الذي
هاجمنا في شقة (بابيوس) .

جذب الأمر انتباهها في شدة ، فعادت تسأله :

- أي مفتاح ؟ .. ومتى حصل عليه ذلك الرجل ؟

ازدرد لعابه في صعوبة ، في محاولة لترطيب حلقه الجاف ، قبل
أن يجيب :

- عندما كنا نتشاجر في شقة (بابيوس) ، حاولت إطلاق النار
عليه ، ولكن الرصاصة أخطأته ، وأصابته إناء زهور ، فتحطم ،

وسقط أرضاً ، وقفز منه ذلك المفتاح ؟

سألته ، فى توتر :

- وكيف يبدو هذا المفتاح ؟ .. ما شكله بالضبط ؟

راح يلوح بكفيه ، وهو يجيب فى انفعال :

- مفتاح صغير ، فى نهايته حلقة معدنية ، عليها رقم ما .

سألته ، فى لهفة :

- وما هذا الرقم ؟ .. هل تذكره ؟

هز رأسه نفيا فى توتر ، وأجاب :

- كلا .. لست أذكره .. إتنى لم ألق سوى نظرة واحدة عليه ، ولم

تكن كافية حتى لألمح الأرقام .

سألته ، فى صرامة :

- وما شكل الحلقة ؟

أجابها بسرعة :

- حلقة مستديرة تماما ، لها لون أصفر ، والأرقام فوقها باللون

الأخضر .. إنها تبدو كما لو كانت شعارا لأحد البنوك أو الفنادق .

عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول فى انفعال :

- إذن فقد عثر (أدهم) على مفتاح ما .. أراهن على أنه مفتاح

خزاة خاصة ، يحتفظ فيها (بابيوس) بذلك (الميكروفيلم) ، ولكن

أين هى ؟ .. أين ؟

سألها (ناحوم) ، فى قلق :

- ماذا عن هذين ؟ .. هل تبقى عليهما ؟

رفعت عينيها فى ببطء ، وتطلعت إلى (كوستا) وفتاته لحظة ،

ثم أجابت فى برود :

- كلا .

صرخت الفتاة ، فى ارتياح :

- لا .. لا .. أنا لم أفعل شيئا .

ولكن (ناحوم) صوب إليهما مسدسه ، وقال فى لهجة أقرب إلى

الجدل :

- الوداع .

ودوت رصاصات قاتلة فى المكان ..

وانتفض جسد (كوستا) فى قوة ، مع صرخة الفتاة ، قبل أن

تتسع عيون الجميع فى دهشة ..

لقد انطلقت الرصاصات القاتلة ، وأصابت هدفها مباشرة ..

ولكن هذا الهدف لم يكن (كوستا) أو فتاته ..

بل كان (ناحوم) ..

(ناحوم) ، الذى اتسعت عيناه فى ألم ودهشة ، ثم ترثج ، وهوى

جثة هامدة ، عند قدمى (راشيل) ، التى استدارت بمسدسها فى

سرعة ، ولكنها تجمّدت مكانها ، عندما رأت أمامها فوهتين

مصوّبتين إليها ، وخلفهما آخر وجهين تتمنى رؤيتهما فى هذه

اللحظة ..

(أرنولد) و (ليزلى) ..

★ ★ ★



٢٢٩

هذا الأمر ، ولو أننا حللنا الموقف ، فسنجد أنه من العجيب أن يقدم
(كوستا) على مثل هذا التصرف بشكل طبيعي .

قال (مجدى) :

- ربما أخبره (بابيوس) بأمر الوثائق .

قال (أدهم) ، فى اهتمام :

- هذا مؤكد ، ولكن لماذا لم يخبره بمكانها أيضًا ؟

حاول (مجدى) أن يجد تفسيرًا ، إلا أنه لم ينجح فى هذا ، فقال :

- لست أدري .

نهض (أدهم) ، والتقط سترته ، وهو يقول :

- هناك تفسير واحد ، وهو أن (كوستا) أجبر (بابيوس)

بوسيلة ما على الإفصاح له بأمر الوثائق ، ولكن (بابيوس) رفض

إطلاعه على مكانها ، حتى يحتفظ بالورقة الراححة فى يده ، فما كان

من (كوستا) إلا أن اقتحم شقة (بابيوس) ، وفتشها للبحث عن

الوثائق .

ثم ارتدى السترة ، مستطرذا فى حزم :

- وهذا يحمل بدوره تفسيرًا واحدًا .. أن (كوستا) يحتفظ

بـ (بابيوس) فى مكان ما .

نهض (مجدى) واقفًا ، وهو يقول :

- تفسير منطقي للغاية ، ولكن كيف نتأكد من صحته ؟

أجاب (أدهم) :

- هناك وسيلة واحدة لهذا .

وقبل أن يسأله (مجدى) عنها ، استطرد بسرعة :

- زيارة قصيرة لخزير (أثينا) (كوستا زافيروس) .

١٧ - الذكاء والقوة ..

كان (أدهم) غارقًا فى نوم عميق ، عندما هب فجأة جالسًا على
الأريكة ، وهو يهتف :

- رباه !.. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

سأله (مجدى) ، فى قلق :

- ماذا حدث يا سيادة العقيد ؟

أجاب (أدهم) ، فى توتر :

- قل لى : لماذا يذهب (كوستا) و (موستاش) إلى شقة

(بابيوس) ؟

قال (مجدى) ، فى دهشة :

- وهل فعلا ؟!

أجاب (أدهم) :

- نعم .. فعلا .. والسؤال هو لماذا فعلا ؟

أجاب (مجدى) ، فى اهتمام :

- للبحث عن الوثائق .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يسأله :

- وكيف يعلم (كوستا) بأمر الوثائق ، ما دام (بابيوس) يحتفظ

بهذا سرًا ، إلى الحد الذى يستخدم فيه وسيطًا للتعامل مع (كوستا) ،

على الرغم من معرفتهما لبعضهما !.. هناك سر يكمن خلف

سأله (مجدى) ، وهو يلتقط سترته بدوره :
- هل نذهب معا ؟

أجابته (أدهم) ، وهو يريه المفتاح :

- كلا .. سأذهب وحدى ، ولكننى سأسند إليك مهمة أخرى ..
أريد منك أن تقوم بزيارة كل مكان فى (أثينا) ، يمكنه تأجير خزانة
خاصة .. البنوك ، والوكالات الخاصة ، وحتى الفنادق ، وابحث عن
جهة تشبه مفاتيح خزائنها هذا المفتاح : هل يمكنك هذا ؟

قال (مجدى) ، فى حماس :

- بالتأكيد .

قال (أدهم) : وهو يفتح الباب :

- عظيم .. سنلتقى هنا فى المساء ، عندما يتم كل منا عمله ..
وابتسم مستطرذا :

- هذا لو بقينا على قيد الحياة .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (راشيل) فى شدة ، وهى تحدق فى وجهى (أرنولد)
و (ليزلى) ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة متشفية على شفתי
تلك الأخيرة ، وهى تقول :

- مفاجأة يا عزيزتى (راشيل) .. أليس كذلك ؟

خلفست (راشيل) يدها بالمسدس إلى جوارها ، وهى تقول فى
غيظ :

- يمكننى أن أتوقع أى شيء منك يا (ليزلى) ، فأنت لم تتغيرى
كثيرا ، منذ أيام التدريبات القديمة فى (واشنطن) .

قالت (ليزلى) ، فى سخرية :

- كنا صغيرتين حينذاك يا عزيزتى (راشيل) ، ولكن طهنا لم
تتغير كثيرا .. مازلت أنا أكثر ذكاء ، ومازلت أنت أكثر قوة .

ثم أضافت ، بلهجة متشفية :

- ما رأيك الآن يا عزيزتى (راشيل) .. أيهما أكثر فائدة .. الذكاء
أم القوة ؟!

عضت (راشيل) شفتها فى غيظ ، فى حين قال (أرنولد) فى
عصبية :

- لن نضيع الوقت فى الحديث معها .. هيا .. أطلقى النار عليها ،
ولننته هذه العملية المسخيفة .

توترت عضلات (راشيل) ، وتحفظت فى عصبية ، فى حين
ابتسمت (ليزلى) ، قائلة فى سخرية :

- ولماذا العجلة يا عزيزى (أرنولد) ؟ .. دعنا نتمتع قليلا بروية
عزيزتنا (راشيل) ، وهى ترتجف ذعرا أمامنا .

قالت (راشيل) ، فى حدة :

- إننى أفضّل الموت على الارتجاف أمامك يا (ليزلى) .

هزت (ليزلى) كتفها ، وقالت :

- فليكن .. ما دمت تختارين الموت ، فلن أبخل عليك به
يا عزيزتى .

وصوبت مسدسها إليها ، قائلة :

- الوداع يا عزيزتى (راشيل) .

قالت (راشيل) ، فى عصبية :

- ألن تحاولى معرفة مكان الوثائق على الأقل ؟

هتف (أرنولد) :

- ستخبريننا بها يا (راشيل) .. أليس كذلك ؟

أجابته (راشيل) ، بابتسامة مأكرة :

- بالطبع .. هذا لو ...

ثم صرخت فجأة ، وهي تنظر إلى (كوستا) :

- ما الذى تفعله أيها المجنون ؟

وعلى الرغم من سذاجة الخدعة وبساطتها ، إلا أن اللهجة التى

صرخت بها (راشيل) ، جعلت (أرنولد) و (ليزلى) يلتفتان فى

حركة سريعة إلى (كوستا) وفتاته ، فوثبت (راشيل) بسرعة ،

وركلت مسدس (ليزلى) ، صارخة :

- أين نكاؤك أيتها الأمريكية ؟

التفت إليها (أرنولد) ، وصوب مسدسه نحوها ، صارخا :

- أيتها اللعينة ؟

ولكن (راشيل) أطلقت رصاصات مسدسها نحوه ، صائحة :

- اخرس أيها الأمريكى الحقيير .

اخترقت رصاصاتها كلها جسده ، وقذفته إلى الخلف فى عنف ،

ليسقط جثة هامدة ، فى نفس الوقت الذى أدارت فيه مسدسها نحو

(ليزلى) ، صائحة :

- دورك أيتها الزكية .

امتقع وجه (ليزلى) فى شدة ، عندما ضغطت (راشيل) زناد

مسدسها ، ولكن المسدس لم يطلق رصاصة واحدة إضافية ، وإنما

أصدر تكة خفيفة ، تشف عن خلو خزائنه من الرصاصات ، فبرقت

عينا (ليزلى) ، وهي تقول :

- خسرت أيتها الإسرائيلية .

وقفزت تلتقط مسدسها ، فاندفعت (راشيل) تعدو خارج الحجرة ،

ولاحقتها رصاصات (ليزلى) ، التى صاحت خلفها :

- لن يمكنك الفرار يا (راشيل) .. لقد أغلقنا كل الأبواب ، قبل

أن نعلن وجوبنا .

قالتها وهي تخرج إلى البار الخالى فى حذر ، وأدارت عينيها فيه ،

وهي تقول :

- ومن سوء حظك أن (كوستا) الغيبى هذا أغلق باره الليلة ، حتى

يتفرغ لانتزاع المعلومات من (هابيووس) .. يا للخسارة يا (راشيل) ..

ستنتهى حياتك على يد (ليزلى) ، التى تمقتينها طوال عمرك .

كان البار يبدو صامتا ساكنا ، ولكن (ليزلى) كانت واثقة من أن

(راشيل) تختبئ فى مكان ما منه ، فتحرّكت داخله فى حذر شديد ،

وهي تدير عينيها فيما حولها متوترة ، وهتفت :

- (راشيل) .. أين أنت يا زميلتى السابقة ؟

وفجأة ، لمحت حذاء (راشيل) خلف طاولة البار ، فوثبت نحوه ،

وصرخت :

- وقعت أيتها اللعينة .

ودارت حول البار ، وأطلقت رصاصتين من مسدسها ، و ...

واتسعت عيناها ، فى دهشة ..

لقد وجدت الحذاء وحده ، دون (راشيل) نفسها ..

وقبل أن تستوعب (ليزلى) الخدعة ، انقضت عليها (راشيل) من

الخلف ، وأمسكت معصمها ، ولوته فى قسوة ، لتجبرها على التخلّى

عن مسدسها ، ثم أحاطت عنقها بذراعها المفتولة العضلات ،
صارخة :

- حان دورى أيتها اللعينة .

جحظت عينا (ليزلى) من فرط الألم ، وحاولت أن تضرب
(راشيل) بقدميها أو قبضتيها ، إلا أن (راشيل) شبت أصابع يديها
فى قوة ، واستتفرت كل عضلة فى ذراعيها ، لتعصر عنق
(ليزلى) ، قائلة فى قسوة وتشق .

- هل أدركت الآن فائدة القوة ، أيتها الأمريكية الذكية ؟

ضربت الأمريكية الهواء بذراعيها ، وصدرها يصرخ طالباً
الهواء ، ولكن (راشيل) أمسكت رأسها فى قوة ، وصاحت :
- الوداع أيتها الذكية .. الوداع .

وأدارت رأسها فى عنف ، فصدرت عن عنقها قرقة مخيفة ،
وخرجت من حلقها حشرة مؤلمة ، ثم تراخى جسدها كله ..

وتألفت عينا (راشيل) فى قسوة ، وهى تواصل اعتصار عنق
(ليزلى) لحظات أخرى ، قبل أن تلقى جثتها أرضاً فى ازدراء ،
وتبصق عليها فى شراسة ، ثم انحنت لتلتقط مسدسها ، واستدارت
عائدة إلى حجرة (كوستا) ..

ولكن (كوستا) وفتاته لم يكونا هناك ..

كان الباب الخلفى للبار مفتوحاً ، ولا يوجد أثر لهما ..

وانعقد حاجبا (راشيل) فى قسوة ، وهى تغغم :

- فليكن أيها اليونانى الحقير .. لن تغلب منى إلى الأبد .

وغادرت البار من الباب الخلفى بدورها ، ورأسها يرسم خطتها

الجديدة ..

خطة البحث عن آخر وأهم خيوط اللعبة ..
عن (الميكرو فيلم) ..

★ ★ ★

لهث (كوستا) فى شدة ، وهو يعدو بكل قوته ، فى الشوارع
القريبة من البار ، وركضت خلفه فتاته ، وهى تهتف به :
- انتظرنى يا (كوستا) .. لا تتركنى وحدى مع هذه السفاحة ..
انتظرنى .

احتقن وجهه ، وهو يهتف بها بدوره :

- لن أنتظر أحداً .. أسرعى أنت .. ألم ترى ما تفعله بالجميع ؟! ..
إنها تقتل بلا شفقة أو رحمة .

كان ينحرف فى شارع جانبي ، عندما توقف بغتة ، وصاح فى
ارتياح :

- لا .. لا .. الرحمة .

رفعت الفتاة حاجبيها فى دهشة ، عندما رأتة يسقط جاثياً على
ركبتيه ، وأنفاسه تتقطع من فرط التعب والذعر ، وهو يستطرد :

- الرحمة أيها السيد الكريم .. لن أحتمل المزيد .. الرحمة .

لحقت به الفتاة ، ووقع بصرها على (أدهم) ، فى معطف المطر ،
وهو يقول - (كوستا) :

- ماذا أصابك يا رجل ؟ .. ماذا حدث ؟

هتفت الفتاة :

- أنقذنا أيها الوسيم .. تلك المتوحشة تريد قتلنا .

سألها (أدهم) :

- أية متوحشة ؟ .. ماذا حدث بالضبط ؟

قصت عليه الفتاة ما حدث في البار ، منذ بدأ (موستاش) يضرب (بابيوس) ، وحتى مصرع (ليزلى) ، في حين ظل (كوستا) يرند ملتاعاً :

- لن أحتمل المزيد .. أرجوك .. أرجوك .

حتى صاح به (أدهم) :

- كفى يا رجل .. لن يفعل بك أحد شيئاً .

هتف (كوستا) ، في حرارة :

- حقاً ؟!.. ألن تقتلى أيها السيد الكريم ؟!.. شكراً لك .. شكراً لك .

قال له (أدهم) ، في صرامة :

- انهض يا رجل ، ولا تركع أمام مخلوق مرة ثانية ..

نهض (كوستا) ، مرئداً ، والعرق يغمر وجهه البدين ، على

الرغم من برودة الجو :

- لن أفعل .. أقسم لك .. لن أفعل .

رمقه (أدهم) بنظرة ازدياء ، وهو يقول :

- لو أنني طاوعت مشاعري ، لأطلقت النار عليك مباشرة ، ولكن

أدميتى تدفعنى للإبقاء عليك .

هتف (كوستا) بعبارات الشكر مرة أخرى ، فأشار إليه (أدهم) ،

مستطرداً :

- هيا .. اذهب ، قبل أن أعدل عن رأيى .

انطلق (كوستا) يعدو مرة أخرى ، وهو يهتف بفتاته :

- هيا بنا .. هيا بنا .

ترننت الفتاة لحظة ، ثم قالت :

- إلى اللقاء أيها الـوسيم .. حاول أن تأتى مرة أخرى .

ثم انطلقت تعدو خلف (كوستا) ، تاركة (أدهم) خلفها ، بعد دراسة الموقف كله في ذهنه ثانية ..

إنن فقد أزاح الإسرائيليون الفريق الأمريكى من اللعبة ، ونجحت

(راشيل) في قتل (بابيوس) ، وحرق صور الوثائق الأصلية ..

هكذا يكون الإسرائيليون قد قضوا على كل أثر لوثائقهم ، فيما

عدا الأثر الأكبر .. (الميكروفيلم) ..

وفي هدوء ، أخرج (أدهم) المفتاح من جيبه ، وألقى عليه نظرة

طويلة ، قبل أن يقول :

- إنن فقد أصبحت الدليل الوحيد ، الذى يمكن أن يقودنا إلى

(الميكروفيلم) .. ولكن ثرى إلى أية جهة تنتمى ؟!

وبقى سؤاله معلقاً فى الهواء طويلاً ..

وبلا جواب ..

★ ★ ★

، مستحيل ..! ،

صرخ مدير المخابرات المركزية الأمريكية بالكلمة ، وهو يكاد

يعتصر سناعة هاتفه السرى الخاص بأصابعه ، قبل أن يستطرد فى

حدة :

- ماذا تقول يا رجل ؟!.. أخشى أن تكون أننى قد أصيبت

بعطب ما .. أعد على مسامعى ما قلته الآن .

أجابه مندوب المخابرات فى (أثينا) :

- ما سمعته صحيح يا سيدى .. (راشيل جولمان) قتلت

(أرنولد) و (ليزلى) ، فى بار صغير هنا .

ارتفع حاجبا المدير في دهشة ، ثم عادا ينطقان في غضب ، وهو يقول :

- أي قول هذا ؟! لقد وصلني تقرير من السفير عندك ، منذ دقائق معدودة ، يقول فيه : إن (أرنولد) و (ليزلى) قُتلا (راشيل) و (ناحوم) بالفعل .

قال الرجل ، في توتر :

- خدعنا (أرنولد) يا سيادة المدير ، وكان يتوقع الظفر بهما ، قبل أن يمنعنا من مواصلة العملية الثأرية ، ولكن (راشيل) اللعينة خدعته مع (ليزلى) ، وقتلتها بلا رحمة .

امتلات نفس المدير بغضب هائل ، وهو يغمغم :
- اللعنة .. اللعنة .

وسمع صوت المندوب ، يسأله عبر أسلاك الهاتف :

- ماذا سنفعل يا سيادة المدير ؟

جابه ، في حزم :

- امسحني نصف ساعة فحسب ، وسأتصل بك ، وأبلغك أوامري .

والهى الاتصال ، ثم ضغط زر جهاز خاص على مكتبه ، وقال :

- أرسل لى المندوب الإسرائيلى على الفور .

ثم عض شفتيه في غضب ، وهو يغمغم لنفسه :

- كان ينبغي أن أصنع ما قالوه عن هؤلاء الإسرائيليين ، من أنهم

لا يقيمون وزنا قط لأية أعراف أو أخلاقيات ، عندما يتعلق الأمر بمصالحهم الخاصة .

زفر في توتر عصبى ، وراح يتحرك في حجرته في حنى ، حتى

سمع صوت طرقات على باب حجرته ، فالتفت إلى الباب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- انخل .

واستقبل المندوب الإسرائيلى بنظرة صارمة ، جعلت هذا الأخير يسأله ، في قلق :

- ماذا هناك يا سيادة المدير ؟

قال المدير :

- أنت تعلم طبعا أنني اقتبعت بحديثك ، حول ضرورة أن ننبد خلافتنا ، في الوقت الحالى على الأقل ، وأن نتعاون لمنع المصريين من التفوق علينا ، وأننى أصدرت أوامرى ، بناء على هذا ، بمنع أية عمليات ثأرية بين فريقينا .. أليس كذلك ؟

أجابه الإسرائيلى ، في قلق :

- بلى يا سيادة المدير .. وكان هذا عطفًا وحكمة منك ، في مثل هذه الظروف .. ولكن ما العيب فى الموقف ؟

ازدادت نظرة المدير صرامة وغضبًا ، وهو يقول :

- العيب هو أنكم رفضتم الالتزام بهذا أيها الإسرائيليون ، وانتهزتم فرصة الهدنة ، التى وافقنا عليها ، وقتلتم اثنين من أفضل عملائنا فى (أوروبا) .

هتف الرجل ، في دهشة حقيقية :

- ماذا ؟! عن أى شيء تتحدث يا سيادة المدير ؟

صاح المدير ، في وجهه :

- عميلتكم اللعينة (راشيل جولدمان) قتلت (أرنولد) و (ليزلى) .

تراجع الإسرائيلي مصعوقاً ، وهتف :
... مستحيل !.. مستحيل أن تفعل (راشيل) هذا .
ثم استدرك في سرعة :

- (لا إذا) .

سأله المدير في حدة :

- (لا إذا ماذا ؟

أجابه الإسرائيلي ، في شيء من الحزم :

- (لا إذا كان هذا دفاعاً عن النفس .

بدت الفكرة منطقية للغاية ، بالنسبة لمدير المخابرات الأمريكية ،
وخاصة وهو يعلم أن عمليه تجاوزا الأوامر ، وسعياً لقتل
الإسرائيليين بالفعل ، ولكن أبى أن يعترف بفشلهما في هذا ، وصاح :
- محال .. رجالى لا يتجاوزون الأوامر قط .

قال الإسرائيلي ، في حذر :

- هذا يحتاج إلى تحقيق عادل يا سيادة المدير .

أجابه المدير ، في صرامة :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

- والآن عد إلى مكتبك ، ودعنى أدرس الأمر وحدى .

غادر الإسرائيلي المكتب ، والقلق يعصف بنفسه ، في حين جلس
المدير على مقعده المفضل ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وفرد
سبابتيه ، ليداعب إحداهما بالأخرى ، وهو يفكر في عمق ، قبل أن
يغمغم :

- فليكن .. لا بد من تلقين الإسرائيليين درساً قاسياً ، حتى
لا يتكرر هذا الموقف قط .

ثم نهض إلى هاتفه الخاص ، وطلب رقماً قصيراً ، قبل أن يقول :
- اسمعنى جيداً يا (شولترز) .. أرسل فرقة إعدام فوراً إلى
(أثينا) ، مع كل المعدات والمصروفات اللازمة .. نعم .. سيقومون
بعملية اغتيال مباشرة .. كلاً .. ليس رجلاً .. إنه امرأة .. سيعدمون
امرأة يهودية تدعى (راشيل) .

وانعقد حاجباه في صرامة ، وهو يستطرد :

- (راشيل جولدمان) ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (راشيل) ، في مزيج من الغضب والدهشة ، وهى
تستمع إلى مندوب خاص ، يعمل لحساب (الموساد) فى (أثينا) ،
ثم هتفت في حنق :

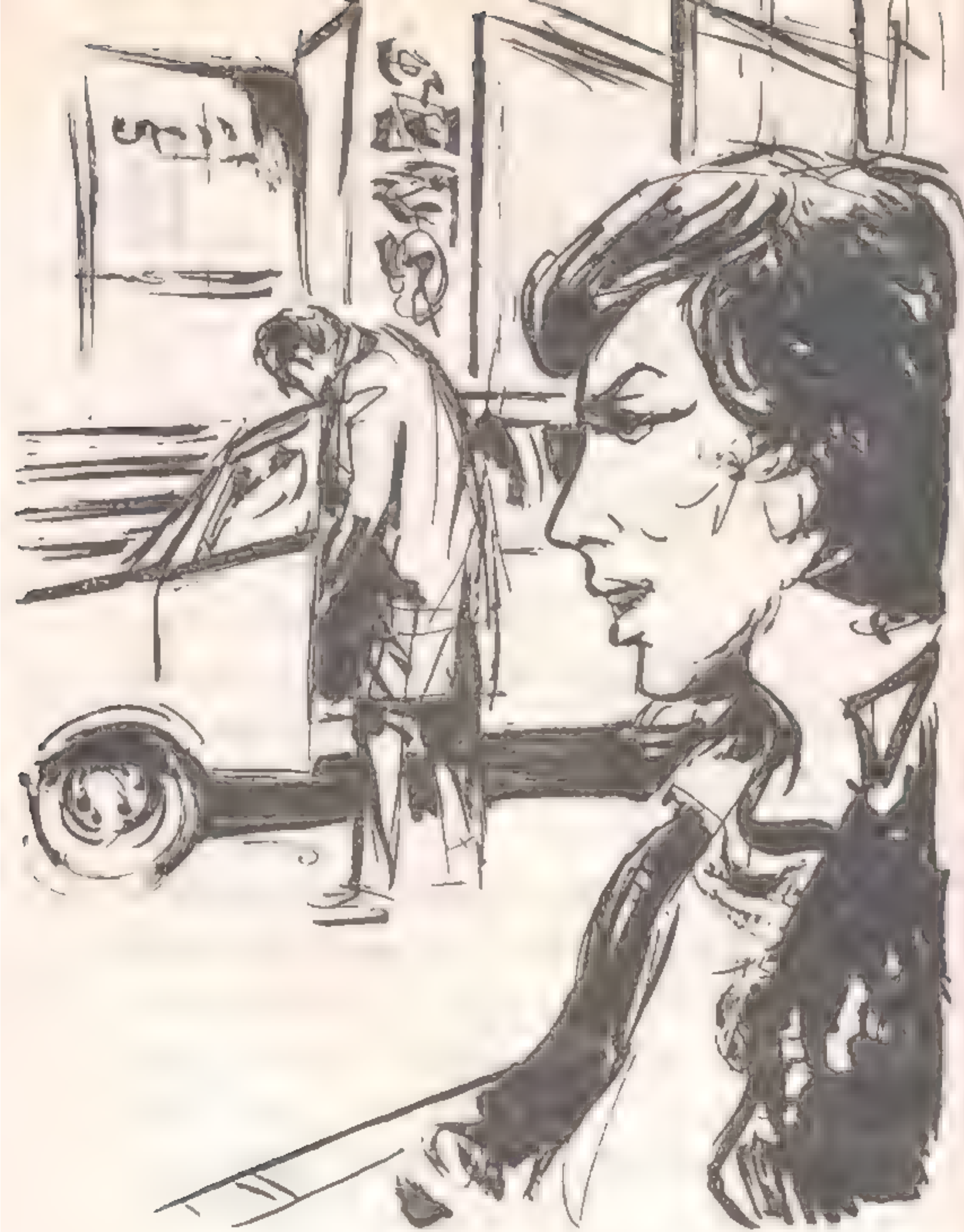
- فرقة إعدام للتخلص منى أنا ؟.. من أبلغك هذه المعلومة ؟

لمجابها فى اهتمام واضح :

- إنها رسالة عاجلة ، وردت بالفاكس من (واشنطن) مباشرة ،
ومندوبنا هناك يقول إن فرقة الإعدام غادرت (أمريكا) بالفعل ، فى
طريقها إلى هنا ، والأوامر تحتم عليك العودة إلى (إسرائيل) ، فى
أقرب وقت ممكن .

قالت ، فى حدة :

- ولكن المهمة لم تنته بعد .



أجابها ، بسرعة :

- الرؤساء يمنحونك فرصة حتى منتصف الليل ، لإنهاء المهمة ،
وبعدها سيكون عليك أن تستغلي طائرة الثانية عشرة والنصف إلى
(إسرائيل) مباشرة ، وسيتم إرسال فريق آخر لاستكمال العمل .

قالت في غضب :

- لن يتم أحدهم عملي قط .. هذا يعني أنني فشلت في مهمتي .

هز كتفيه ، قائلاً :

- استغلي المهلة إذن .

قالها واستقل سيارته ، وانطلق بها مبتعداً ، لا يلقى على شيء ،
وتركها خلفه غاضبة محنكة ، وهي تغتم :

- يا للأوغاد !.. الجميع يتعمنون فشلي ، ولكنني لن أمتحهم
الفرصة لهذا .. ولكن ماذا أفعل !؟.. لقد تسرع (ناحوم) الحقيقير ،
وقتل (بابيوس) ، قبل أن يخبرني أين أجد (الميكرو فيلم) ، وكل
ما لدى مجرد وصف للمفتاح ، بلا أرقام محدودة ، أو جهة ينتمي
إليها ، ولا يمكنني العثور على (أدهم صبري) ، الذي استولى على
المفتاح الحقيقي .

وضربت قبضتها في راحتها ، مستطردة :

- آه .. لو أعثر عليه ، أو على أي طرف خيط ، يمكن أن يقودني
إليه الآن .

لم تكذب عبارتها ، حتى وقع بصرها على (مجدى) ، وهو يغادر
أحد الفنادق ، ويستقل سيارته ، فهتفت :

- آه .. ها هو ذا طرف الخيط .

حتى وقع بصرها على (مجدى) ، وهو يغادر أحد الفنادق ويستقل سيارته ..

قفزت داخل سيارتها ، وانطلقت خلفه فى مهارة ، حتى لا يشعر بتتبعها له ..

كانت واثقة من أنه يقوم بعمل ما ، يرتبط بذلك المفتاح الغامض ، لذا فقد تتبعتة فى حنكة ، حتى أوقف سيارته أمام أحد الفنادق ، وغادرها إلى الفندق ، وسأل موظف الاستقبال :

- هل يمكننى استئجار خزانة خاصة هنا ؟

أجابه الموظف ، فى احترام :

- بالطبع يا سيدى .. يمكنك هذا ، لو أنك نزيل بالفندق .
سأله فى اهتمام :

- وماذا لو لم أكن نزيلًا بالفندق ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وقال بلهجة مهذبة :

- لا يمكنك استئجار خزانة خاصة ، إلا إذا كنت نزيلًا بالفندق
يا سيدى .

سأله (مجدى) :

- وهل يمكننى تسجيل اسمى هنا ، ودفع نفقات الإقامة كأي نزيل ،
ثم أستأجر خزانة خاصة ، دون أن أقيم هنا ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

- ليس من الضرورى أن تقيم هنا يا سيدى .

ابتسم (مجدى) بدوره ، وهو يقول :

- آه .. لقد فهمت .. ولكن هل يمكننى الاطمئنان إلى أمن الخزائن
الخاصة أولًا ؟

قال الرجل ، فى حماس :

- بالطبع يا سيدى .. بالطبع .. هل ترغب فى رؤية حجرة
الخزائن ؟

هز (مجدى) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل أرغب فى رؤية مفتاح الخزائن .

انحنى الرجل يلتقط أحد المفاتيح ، من درج خاص ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيدى .. هذا حقك .

ألقى (مجدى) نظرة فاحصة على المفتاح ، ولكنه لم يكن يشبه
ذلك الذى رآه مع (أدهم) فى الحجم أو فى الشكل ، فسأل الرجل :

- أهذا هو الشكل الوحيد للمفاتيح هنا ؟

أجابه الرجل :

- نعم .. وهو يحمل شعار الفندق .

هز (مجدى) كتفيه ، وقال :

- إنه لا يروق لى .

ثم أعاده للرجل ، الذى أصابته الدهشة ، عندما رآه ينصرف
مباشرة ، فغمغم مبهوثًا :

- ماذا أصاب القوم ، فى هذه المدينة المجنونة ؟

أما (مجدى) ، فقد غادر الفندق ، وهو يفكر فى كل المفاتيح ،
التي رآها طوال الساعتين السابقتين ..

كانت كلها أنيقة جيدة الصنع ، ولكن واحدًا منها لم يشبه قط ذلك
المفتاح ، الذى رآه مع (أدهم) ..

وفجأة ، وقبل أن يفتح باب سيارته ، شعر بفوهة مسدس تلتصق
بظهره ، وسمع صوت (راشيل) ، وهى تقول فى صرامة :

- ادخل .

ودفعته داخل السيارة في غلظة ، ثم ألقت جسدها على المقعد الخلفي ، وألصقت فوهة المسدس بمؤخرة عنقه ، مستطردة :
- هيا .. انطلق من هنا ، فلدى حديث طويل معك .

انطلق بالسيارة في توتر ، وعقله يسترجع كل ما قرأه في ملف (راشيل) ، عن ساديتها وعنفها ، وشغفها الدائم بإراقة الدماء وسفكها ، وقال :
- إلى أين ؟

أجابه بلهجة تجمع ما بين السخرية والقسوة :
- إلى حيث لا يمكن أن يقاطعنا أحد .
وكان هذا يعنى أنها ترتب لأمر غامض ..
أو قاتل .

★ ★ ★



١٨ - المتوحشة ..

بدا الاهتمام واضحا على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يستقبل أحد معاونيه في مكتبه ، وسأله فور دخوله :
- هل من جديد ؟

أجابه معاونه :

- سيادة العقيد (أدهم صبرى) أرسل برقية من (أثينا)
يا سيدى .
قال المدير :

- عظيم ، هل انتهيت من حل شفرتها ؟

ناولته معاونه مظروفا مغلقا ، وهو يقول :

- نعم يا سيادة المدير ، وها هي ذى .

التقط المدير المظروف ، وفضه بسرعة ، وقرأ برقية (أدهم)
في سرعة ، قبل أن يقول :

- الموقف ليس جيدا على الإطلاق ، فالإسرائيليون نجحوا في تدمير وثائقهم ، وكل من ارتبط بها تقريبا ، وانتصروا في حربهم غير المعلنة مع الأمريكيين ، وقاموا بتصفية الفريق الأمريكى كله ، وهذا يعنى أنهم متفوقون كثيرا ، حتى هذه اللحظة .

سأله معاونه ، فى دهشة :

- ما الذى يفعله سيادة العقيد هناك إذن ؟

أجابه المدير :

- مازال (الميكرو فيلم) مفقودا ، و (أدهم) يسعى للحصول عليه ، ويعتقد أن لديه طرف خيط قوى ، يمكن أن يقوده إليه .

غمغم معاون :

- أتعشم أن ينجح فى هذا .

مط المدير شفثيه فى قلق ، واتجه إلى خريطة لدولة (اليونان) ، فردها على مكتبه ، وقال :

- من الواضح أن الإسرائيليين يتعاملون بشراسة كبيرة ، فى هذه المرة بالذات ، وهذا يعنى أن تلك الوثائق تمثل بالنسبة لهم خطورة كبيرة ، ومن المؤكد أنهم يعلمون أيضا أن (الميكرو فيلم) ما يزال مفقودا ، ومعنى هذا أن شراستهم ستتضاعف بشدة ، فى المرحلة القادمة ، حتى يمكنهم استعادته .

قال معاونه :

- هذا صحيح يا سيدى ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم تستغرق تلك المرحلة القادمة ؟ .. ومتى تنتهى .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقول :

- بل السؤال الحقيقى هو كيف يا رجل .. كيف تنتهى ؟

قالها ونفسه تحمل قلعا كبيرا هذه المرة ..

كبيرا للغاية ..

★ ★ ★

أوقف (مجدى) سيارته فى تلك المنطقة المنعزلة ، على أطراف (أثينا) ، وسأل (راشيل) فى عصبية :

- والآن ماذا ؟

أجابته . فى شراسة :

- والآن ستخبرنى كل ما تعرفه عن ذلك المفتاح .

عقد حاجبيه ، وتوتر فى شدة ، وهو يقول :

- أى مفتاح هذا الذى تتحدثين عنه ؟

أجابته فى صرامة :

- المفتاح الذى تبحث عنه طوال الوقت ، والذى جعلك منتظما

بالرغبة فى استئجار خزانة ، فى أماكن شتى ، حتى تتوصل إلى

معرفة المكان ، الذى ينتمى إليه .

قال فى خشونة :

- فكرة طريفة .. تصلح لفيلم سينمائى من الدرجة الثانية .

قالت فى حدة :

- بل فكرة حقيقية أيها المراوغ .. فكرة جعلتني أطمئن كثيرا ،

وأستعيد الأمل فى أن نربح اللعبة ، فأنا أعلم أن (أدهم) عثر على

مفتاح ما فى منزل (بابيوس) ، ولكن بحثك هذا يطمئننى إلى أنه

لم يعثر على المكان ، الذى يمكن أن يفتحه هذا المفتاح ، والذى يحوى

نسخة (الميكرو فيلم) الوحيدة .

ازدرد (مجدى) لعابه ، وهو يقول فى توتر :

- وهل تتوقعين أن أخبرك بأى شيء ؟

ابتسمت فى شراسة ، وهى تقول :

- لقد أخبرونى الكثير عنكم أيها المصريون .. يقولون : إن

الواحد منكم يفضل الموت ، عن البوح بأسرار الجهاز .

قال ، وعقله يفكر فى سرعة :

- طريف منك أن تعلمى هذا .

ولكن ذراعها أحاطت بعنقه بفتة ، وهي تقول فى صرامة :
- ولكنك لم تجرّب وسائلى بعد .

أمسك (مجدى) ذراعها فى قوة ، وهي تضغط عنقه ، هاتفة :
- فالمشكلة لا تكمن فى الموت ، ولكن فى الوسيلة التى تقود
إليه .

كانت ذراعها تؤلمه فى شدة ، ولكنه راح يقاومها فى استماتة ،
وهي تستطرد فى شراسة :

- هيا يا رجل المخابرات المصرى .. أخبرنى ما لديك ، وسأقتلك
بوسيلة رحيمة .. سأكتفى بإطلاق النار على رأسك ، ولن أخنقك هكذا
حتى الموت .

مذ (مجدى) ذراعه إلى الأمام ، وعيناه تجحظان من الألم ،
وجذب الذراع المسنولة عن حركة مقعده ، ثم دفع قدميه بين
الدوآسات أمامه ، والدفع بجسده ومقعده إلى الخلف فى عنف ..
وكان هذا الإجراء مناسباً للغاية ، فقد ارتطم المقعد بـ (راشيل)
فى قوة ، ودفعها إلى الخلف فى عنف ، فارتطمت بالاركة الخلفية ،
وترأخت ذراعها حول عنق (مجدى) لحظة ، فدفع هذا الأخير كليهما
بين عنقه وذراع (راشيل) ، ثم فردهما فى قوة ، فأزاح الذراع ،
وانزلق على مقعده ، قبل أن يقفز خارج السيارة فى خفة .

وصرخت (راشيل) ، وهي تنتزع مسدسها :

- لن تغفل منى .

كانت قد جرّدتة من مسدسه ، قبل أن يصل إلى تلك المنطقة ،
فلم يجد أمامه سوى أن يعدو مبتعداً ، وهي تطلق رصاصات مسدسها

خلفه ، وشعر بالرصاصات تتناثر حول قدميه ، ثم توقف إطلاق النار
لحظة ، ولكنه لم يتوقف عن الجرى ، فقد أدرك على الفور سر توقف
التيران ..

لقد كانت (راشيل) تصوب مسدسها نحوه فى إحكام ..
وفى حسم ، ضغطت زناب المسدس ..

واتطلقت الرصاصة ..

واخترقت كتف (مجدى) ...

وفى أتم ، شق (مجدى) ، وأمسك كتفه المصابة ، ولكنه لم
يتوقف عن الجرى ، فصوبت (راشيل) مسدسها إليه مرة أخرى ،
وغمغت :

- هيا .. واصل جريك أيها المصرى ، وسيسير كل شيء على
ما يرام .

واتطلقت رصاصتها الثانية ، وأصابته فى ساقه اليمنى ، فسقط
أرضاً ، وتدحرج جسده لحظة ، ثم هب واقفاً ، وعاود الجرى ، متجهاً
نحو الطريق المضاد ..

وفى هذه المرة ، لم تصوب إليه مسدسها ..

لقد وقفت صامتة تماماً ، تراقبه فى هدوء ، وكأن شيئاً فى الدنيا
لم يعد يعنىها ..

حتى المهمة نفسها ..

وكان هذا تصرفاً عجيبياً ، عن امرأة مثل (راشيل جولدمان) ..
عجيبياً للغاية ..

★ ★ ★

شعر (أدهم) بالقلق ، وهو يتطلع إلى ساعته ، التي أشارت عقاربها إلى الساعة والنصف مساءً ، وغمغم وهو يدور في ردهة المنزل الآمن :

- لماذا تأخر (مجدى) ؟ .. كان المفروض أن نلتقى هنا في تمام الساعة ، لتبادل المعلومات ، ويقدم لى تقريره ، عما أسندته إليه من عمل .

صمت لحظة ، ثم التفت سترته ، وقال فى حزم :

- هذا لا يوحى بالخير أبداً .

كان يتجه إلى باب الشقة ، عندما ارتفع رنين الهاتف ، فاخطف سماعته فى سرعة ، وقال :

- جمعية (أصدقاء الهرم الأكبر) .. من المتحدث ؟

أتاه صوت الدكتور (يورغو) ، وهو يقول :

- عندى هنا أحد أعضاء الجمعية ، وهو مصاب برصاصتين ، وفقد الكثير من الدماء ، ويطلب رؤية (ن - ١) للأهمية .
لم يلق عليه (أدهم) سؤالاً واحداً ، وإنما أجاب على الفور :
- أنا فى طريقى إليك .

ولم يضع لحظة واحدة بعدما ، فقد انطلق بسيارته على الفور ، ولم يتوقف إلا أمام البناية ، التي يعمل ويقيم فيها الدكتور (يورغو) ، ولم تمض دقائق ، حتى كان يدق باب عيادته ، ففتح الدكتور (يورغو) الباب ، وأشار إليه بالدخول ، قائلاً :
- تعال .. إنه فى انتظارك .

اندفع (أدهم) إلى حجرة الإسعافات ، وهتف بـ (مجدى) :

- عزيزى (مجدى) .. ماذا حدث ؟

حاول (مجدى) أن يبتسم ، وهو يقول :

- تذكر من (راشيل جولدمان) .

وقص على (أدهم) كل ما دار بينه وبين (راشيل) ، واستمع إليه (أدهم) فى اهتمام شديد ، ثم غمغم :

- إذن فـ (راشيل) تعلم بأمر المفتاح .
أجابه (مجدى) :

- نعم يا سيادة العقيد ، ولكنها مثلنا ، تجهل أى مفتاح هذا .

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، ونهض من مقعده ، واتجه إلى نافذة

الحجرة ، ووقف يتطلع عبرها بضع دقائق ، وهو يفكر فى عمق ،

فسأله (مجدى) :

- فيم تفكر يا سيادة العقيد ؟

أجابه (أدهم) ، فى خفوت :

- فى أمور شتى .

ثم التفت إليه ، يسأله :

- هل صوّبت (راشيل) مسدسها نحوك ؟

أوماً (مجدى) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. مرتين .

سأله (أدهم) :

- وماذا فعلت أنت بعدها ؟ .. هل اختبأت خلف جذع شجرة مثلاً ،

أو عثرت على سيارة ؟

هز (مجدى) رأسه نفيا ، وقال :

- كلا .. لقد واصلت الجرى ، ولم أعثر على سيارة ، يقبل صاحبها توصيلى ، مع كل إصاباتى ، إلا بعد نصف ساعة كاملة .
صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال فى هدوء :
- هذا أمر طبيعى .

واستدار مرة أخرى يتطلع عبر النافذة ، قبل أن يهز رأسه ، قائلا :
- فليكن .. سأواصل أنا عملية البحث .
أجابه (مجدى) :

- لن تبذل جهدا كبيرا يا سيادة العقيد ، فلم يعد فى قائمتى سوى فندق واحد ، وشركتين من شركات الخزائن الخاصة ، لم أبحث فيها بعد .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- لقد أحسنت عملك .. سأخذ القائمة ، وأكمل العمل .

ثم التفت إلى الدكتور (يورغو) ، وقال :

- اعتن به جيدا .

والتقط القائمة ، ثم غادر عيادة (يورغو) ، وهبط ليستقل سيارته ، وذهنه بعيد دراسة الموقف كله ..

لماذا أخطأت (راشيل) إصابة (مجدى) ؟ ..

كانت المعلومات ، التى استقاها من ملفها بالمخابرات المصرية ، تؤكد مهارتها المدهشة فى إصابة الهدف ، فكيف فشلت هذه المرة ؟ ..

وعلى الرغم من أنه قلب الأمر على كل الوجوه ، إلا أنه لم يكد

يستقر داخل سيارته ، حتى كان ذهنه قد انتخب من كل الاحتمالات تفسيرا واحدا لا غير ..

لقد فعلت (راشيل) هذا عمدا ..

فعلته لتمنح (مجدى) فرصة للفرار ..

ولكن هذا التفسير يطرح سؤالا آخر بشكل مباشر ..
لماذا ؟ ..!

لماذا تفعل (راشيل) هذا ؟

لم يكد يطرح السؤال على نفسه ، حتى أتاه الجواب على نحو مباشر وعنيف ، فى شكل فوهة مسدس باردة كالثلج ، التصقت بمؤخرة عنقه بغتة ، مصحوبة بصوت (راشيل) ، وهى تقول فى مزيج عجيب من السخرية والشماتة والتوتر :

- أخيرا التقينا وحدنا يا عزيزى (أدهم) .

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

على الرغم من ذلك الغضب ، الذى ملأ نفس (أدهم) ، وانتشر فى جسده ، وجرى فى عروقه مجرى الدم ، لأن (راشيل) نجحت فى خداعه ، وباغتته داخل سيارته ، إلا أن ملامحه ظلت هائلة للغاية ، وحملت ابتسامته الكثير من السخرية ، وهو يقول :

- كم يسعدنى أن ألتقى بك وحدنا يا عزيزتى (راشيل) ، لكن ..

يا للخسارة ! .. إننى مرتبط بموعد آخر اليوم .. هل يمكننا أن نؤجل

لقائنا إلى الغد ؟

قالت ، فى حدة :

- لا يوجد غد يا (أدهم) .. ستنتهى العملية الليلة ، وأستعيد (الميكرو فيلم) ، وأعود بطائرة منتصف الليل إلى (إسرائيل) .
هتف ساخراً :

- عظيم .. لا تنسى إرسال الخطابات من هناك .

انعقد حاجباها فى غضب رهيب ، ودفعت المسدس فى مؤخرة عنقه أكثر ، وهى تقول فى شراسة :
- اخرس أو أطلق النار عليك .
قال متهمكاً :

- ولماذا لا تفعلين ؟ .. إننى أنتظر بفارغ الصبر .

عضت شفتها السفلى فى حنى ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فاستطرد بلهجة جادة هذه المرة :
- دعينى أخبرك أنا لماذا لا تفعلين .. لأنك تخشين أن تقتلينى ، فيضيع منك المفتاح إلى الأبد .. أليس كذلك ؟

سألته ، فى صرامة :

- أين المفتاح ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- فى مكان ما .

سألته محتدة :

- أى مكان ؟

اهتسم ساخراً ، وهو يقول :

- فى أحراش (كينيا) .. أديك وقت للذهاب إلى هناك ؟

صرخت ثائرة ، وهى ترفع مسدسها ، لتهوى به على عنقه :

- أين المفتاح أيها اللعين ؟

وكان هذا أفضل ما يمكن أن يحلم به (أدهم) ..

أن تبعد فوهة مسدسها عن عنقه ..

وفى سرعة مدهشة ، انثنى وسطه ، ودار النصف العلوى من

جسده ، فى مرونة رائعة ، وأمسك معصمها ، وهو يقول :

- أخطأت يا عزيزتى (راشيل) .

ثم لوى المعصم فى عنق ، فانفلت المسدس من بين أصابعها ،

وسقط على المقعد المجاور لـ (أدهم) ، وهى تصرخ :

- لا .

ثم وثبت محاولة التقاط المسدس ، ولكن (أدهم) ضربه بيده فى

مهارة ، فألقاه خارج السيارة ، وهو يقول :

- الغيث بالأسلحة النارية محظور .

وهنا أحاطت عنقه بذراعاها القوية ، وهى تهتف فى ثورة :

- ومن يحتاج إلى الأسلحة النارية ؟

كانت ذراعها اليسرى تحيط بعنقه ، فى حين تقبض يدها اليمنى

على معصم يدها اليسرى ، وتجذبه بكل قوتها ؛ لتعصر عنق

(أدهم) ..

وشعر (أدهم) بقوة ضغطها على عنقه ..

وكانت قوية بالفعل ..

وفى وحشية سادية عجيبة ، برقت عينا (راشيل) ، وراح جسدها

يرتجف فى انفعال ، وهى تصرخ :

- سأقتلك يا (أدهم) .. سيخلدنى التاريخ ، باعتبارى المرأة التى
قُضت على أسطورة المخابرات .

قال (أدهم) ، بصوت مختق :

- أعترف أنك قوية يا (راشيل) .

ثم دارت يده خلف ظهره ، وقبض على عنقها ، وهو يستطرد :
- ولكن ليس بالقدر الكافى .

اتسعت عيناها فى ذهول ، عندما بدالها وكأن ونشأ ضخمًا انتزعها
من مكانها ، وعبر بها فراغ السيارة ، قبل أن يضرب زجاجها الأمامى
بجسدها فى قوة رهيبه ..

وانتزع جسد (راشيل) زجاج السيارة الأمامى فى عنف ، وسقط
فوق المقدمة ، وتخرج ليسقط على الأرض ، وصوت (أدهم)
بلاحقه قائلاً فى سخرية :

- هل فهمت ما أعنيه ؟

قفزت واقفة على قدميها فى غضب ، فى نفس اللحظة التى غادر
هو فيها السيارة فى هدوء ، وقال :

- هيا يا عزيزتى (راشيل) .. دعينا ننبذ تلك الخلافات
السخيفة ، ونتعامل مع الأمر بشكل واقعى .

وثبت نحوه ، لتركله فى صدره ، هاتفة :

- أنا أتعامل بشكل واقعى .

تفادى الوثبة بقفزة جانبية ماهرة ، وهو يقول :

- أى واقع هذا ؟

حاولت أن تضربه فى عنقه ، صائحة :

- واقعى أنا .

تفادى ضربة العنق بسرعة ، ولكنها قفزت فى اللحظة نفسها ،
وركنته فى معدته ، فتراجع لحظة ، ثم هتف ساخرًا :

- مرحى يا عزيزتى (راشيل) .. أخيرًا تعلمت وسائل القتال
الجيدة .

أجابته وهى تتوَّح بقبضتيها ، فى غضب :

- إننى أعلمها منذ نعومة أظفارى يا رجل .

هتف ساخرًا :

- رباه !.. هل تعنين أنها كانت ناعمة يومًا .

صرخت فى غضب ، وانقضت عليه ، وحاولت أن تركله أو

تضربه ، ولكنه قفز جانبًا بحركة سريعة ، وهو يضحك قائلاً :

- رويدك يا عزيزتى (راشيل) ، ستتضرب طاقتك بسرعة .

قبل أن تكتمل عبارته ، ومع قفزته القوية ، برقت عينا (راشيل)

فى شدة ، عندما رأت المفتاح يسقط من جيبه ، ويستقر على

الأرض ..

وفى نفس اللحظة ، ارتطمت قدمها بمسدسها ، الذى ألقاه (أدهم)

عبر النافذة .

ولم يكن هناك مجال للتفكير ..

لقد انحنت بسرعة ، والنقطة مسدسها ، وصرخت :

- خصرت يا (أدهم) ..

وانطلقت رصاصاتها الغاضبة ..

★ ★ ★

١٩ - الخدعة ..

انهمكت فتاة البار في طلاء أظفارها ، داخل حجرة فندق بسيطة ، وبدا من ملامحها الهادئة اللامبالية ، أنها نسيت كل ما يتعلق بأحداث البار ، من عنف وقتل ، وعلى قيد متر واحد منها ، رقد (كوستا) بجسده الضخم فوق فراش متوسبط ، امتلأ به تمامًا ، وهو يطلق شخيرًا مزعجًا ، لم تعره الفتاة أدنى اهتمام ، وكأنما اعتادته منذ زمن طويل ..

وفجأة ، هب (كوستا) من رقادته ، وهتف :

- يَا للشيطان !

قفزت الفتاة من مكانها مذعورة ، و ربصت أصابعها بزجاجة الطلاء ، فانسكبت أمامها ، وجعلتها تهتف غاضبة :

- انظر ماذا فعلت ؟

لم يبد عليه أدنى اهتمام بما حدث ، وهو يقول لنفسه في انفعال :

- كيف نسيت هذا ؟ .. إننى أعرفه .. أعرفه بالتأكيد .

سألته الفتاة في حنق ، وهى تحاول إنقاذ ما تبقى من الطلاء :

- تعرف ماذا ؟

هتف :

- المفتاح .. أنا أعرف هذه المفاتيح جيدًا ، فقد كنت أستخدمها

قديمًا .

سألته ، فى حيرة :

- أية مفاتيح ؟

أجابها وهو يلوح بكفيه ، فى حماس :

- المفاتيح ذات الحلقة الصفراء ، والأرقام الخضراء .. أنا أعرف

أين نجد الصناديق ، التى تستخدم مفاتيح كهذه .

بدت أشد حيرة ، وهى تقول :

- وبم يفيدنا هذا ؟ .. نحن لا نملك المفتاح ، ولا نعرف رقمه .

نهض من الفراش ، قائلاً فى لهفة :

- ولكن هناك من لا يتردد فى دفع ثروة ، مقابل معلومة كهذه .

سألته :

- مثل من ؟

برقت عيناه فى شدة ، وهو يجيب :

- الإسرائيليون مثلاً .

اتسعت عيناه فى رعب شديد ، وصرخت مذعورة :

- ثانية ؟

هتف وهو يرتدى ملابسه :

- ومن غيرهم .. إنها وثائقهم ، ولا أحد يمكنه تقدير قيمتها

مثلهم .

صاحت ، فى ارتياح :

- بالطبع ، ولهذا لن يتورعوا عن قتلنا ، بعد الحصول عليها .

قال فى حدة :

- لن يفعلوا بالتأكيد .. إننا نقدم لهم خدمة .

تطلعت إليه غير مصدقة ، قبل أن تهتف :
- ماذا دهاك يا رجل ؟ .. هل نسيت ما فعلته تلك المتوحشة في
البار .

لوّح بيده ، وقال :
- لن نتحدث مع متوحشات .. سنتفاوض مع المسنولين مباشرة .
قالت في دهشة :
- أى مسنولين ؟
توقف لحظة ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :
- السفير الإسرائيلي مثلاً .
رمقته بنظرة أكثر دهشة ، وهي تردد :
- السفير الإسرائيلي ؟ .. وهل تعتقد أن السفير الإسرائيلي سيقبل
أن يلتقى بك ، في مثل هذا الوقت ؟
ابتسم ، قائلاً :
- هنا تكمن المهارة ، فالمفروض أن أقنعه بمقابلتي .
هزت رأسها في قوة ، وهي تقول :
- أشعر بالخوف ، من مجرد التفكير في هذا .
قال ، في ازدياء :
- هذا طابع الجبناء .. أما الشجعان أمثالي ، فلهم أساليب أخرى .
رفعت أحد حاجبيها ، قائلة في سخرية :
- الشجعان أمثالك .
صاح بها في غضب :
- نعم .. الشجعان أمثالي .. سترين ما سيفعله (كوستا
زافيروس) .. سأعود إليك بثروة .. انتظريني ، وسترين .

وغادر الحجرة وجسده يكتظ بشيء آخر ، بخلاف الشحم واللحم ..
بالأحلام ..
أحلام الثراء الوردية ..

★ ★ ★

لم تكذ (راشيل) تصوب مسدسها نحو (أدهم) ، حتى وثب هذا
الآخر إلى الخلف ، وقفز جانباً ، ليتفادى الرصاصات التي أطلقتها
عليه مباشرة ، ثم دار حول جدار قريب ، ليحتمى به من رصاصاتها ،
التي أثارت موجة هائلة من الذعر في المكان ..
ولكنه كان يشعر بالدهشة في الواقع ، فلماذا تطلق (راشيل) النار
عليه مباشرة ، على الرغم من أنها لم تحصل على المفتاح بعد ..
ولكن فجأة ، لمح المفتاح ..
لمحه و (راشيل) تعدو نحوه ، وتختطفه من الأرض ، ثم تواصل
إطلاق النار ، وهي تتراجع نحو السيارة ، صارخة :
- الوداع يا (أدهم صبرى) .. لقد حصلت على ما أبتغى .
وفي ثانية واحدة ، كانت قد أدارت محرك السيارة ، وانطلقت بها
مسرعة ..
ولم يضع (أدهم) ثانية أخرى ..
لقد غادر مكمنه ، وانطلق يعدو خلف السيارة بكل قوته ، ولكن
(راشيل) لمحتة في المرأة ، فهتفت ساخرة :
- على قدميك .. يا للسخافة ! .. ليست لديك فرصة واحدة في
الفوز بسباق كهذا يا (أدهم) .
وانحرفت بسيارتها في أول شارع جانبي ، وانطلقت فيه ، وهي

تطلق ضحكة ساخرة قوية ، وألقت نظرة أخرى على المرأة ، قبل أن تغمغم :

- اختلفي تمامًا .. كان ينبغي أن يدرك استحالة هذا ..

ولكن (أدهم) لم يستسلم للموقف ..

كان يعلم جيدًا أن حصول (راشيل) على المفتاح ، يعنى أنه خسر هذه العملية تمامًا ، وعجز عن الحصول على وثائق (الموساد) ..

ولم يكن من السهل عليه أن يقبل هذا ..

وفى سرعة ، ودون أن يتوقف لحظة عن الجرى بكل قوته ، استعاد عقله خريطة (أثينا) ، التى حفظها عن ظهر قلب ، فى أثناء رحلته بالطائرة ، من (القاهرة) إلى هنا ، ورسم شوارعها وطرقاتها الرئيسية والجانبية ، ثم بدأ يضع خطته ..

ولم يعد (أدهم صبرى) هذا الذى يقطع شوارع (أثينا) بهذه السرعة ..

لقد صار مجرد آلة للجرى ، لا يمكنها أن تتوقف قط ، قبل أن تبلغ هدفها ..

ولم يوقفه شيء على الإطلاق ..

كان يتجاوز المارة ، ويقفز فوق الحواجز ، ويعبر إشارات الطريق المغلقة ، ويثب فوق مقدمة سيارة ، أو عربة حلوى ، أو حتى طفل صغير ، لو أن أحدهم اعترض طريقه بغتة ..

أما (راشيل) ، فقد تملكها نشوة عجيبة ، وهى تتطلق بالسيارة ، بعد أن حصلت على المفتاح ..

كانت عقارب ساعتها تشير إلى التاسعة ، وهذا يعنى أنه ما زالت

أمامها ثلاث ساعات ، لتستعيد (الميكروفيلم) ، وتضع النهاية المناسبة للعملية .

النهاية الظافرة ..

وفى سعادة ، تحسّست جيبها ، حيث وضعت المفتاح ، وانحرفت فى شارع آخر ، و ...

وفجأة ، اتسعت عيناها فى ذهول ..

لقد كان هذا (أدهم صبرى) ..

(أدهم) الذى يعدو نحوها بكل قوته ، وكأنه يوشك على الارتطام بها .. وعلى الرغم من أنها تقود السيارة ، وأنه يجرى على قدميه ، إلا أن ذهولها وذعرها جعلها تضغط الفرامل بحركة آلية ، فتوقفت السيارة فى عنف ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مزعجًا ، امتزج بشهقات المارة الذاهلة ، عندما وثب (أدهم) بكل قوته ، وعبر فراغ الزجاج الأمامى المكسور للسيارة ، قبل أن يركل (راشيل) فى وجهها ، ويسقط على المقعد المجاور لها ، هاتفاً :

- هل أدهشتك رؤيتى ؟

حاولت أن تقاتله ، وهى تهتف :

- كيف .. كيف فعلت هذا ؟

أجابها ، وهو يمسك معصمها فى قوة :

- طبقت قاعدة رياضية بسيطة ، وهى أن أقرب طريق ، من نقطة

إلى أخرى ، هو الخط المستقيم ، ومن المضحك أنك تستطيعين تطبيق هذه القاعدة ، عندما تسيرين على قدميك ، وليس عندما تقودين سيارة ..

صاحت ، محاولة التملص منه :



عندما وثب (أدهم) بكل قوته ، وعبر فراغ الزجاج الأمامي المكسور للسيارة ..

- مستحيل !.. أتعني أنك قطعت المسافة كلها جرياً ؟
 أجابها ، ساخرًا :
 - نعم يا عزيزتي .. وفي خط مستقيم تمامًا ، في حين كان عليك أن تدورى مسافة طويلة ، الترامًا بخطوط وقواعد سير السيارات .
 صرخت ، وهي تضربه بقدمها :
 - كنت محقة إذن ، في بغضي للالتزام .
 أمسك قدمها ، ثم ضربها بالأرض في عنف ، وهو يقول :
 - كراهية الالتزام صفة للتافهين والمراهقين .
 صرخت :
 - لا تصفني بهذا .. سأقتلك يا (أدهم) .. سأقتلك .
 كانت تحاول بلوغ مسدسها ، فقال في صرامة :
 - يبدو أنني سأضطر إلى كسر القاعدة يا عزيزتي (راشيل) ؛
 فانا أكره ضرب النساء في المعتاد ، ولكن ..
 وهوى على فكها بلكمة كالقنبلة ، قبل أن يضيف :
 - للضرورة أحكام .
 سقطت على مقعدها فاقدة الوعي ، فدس يده في جيبها بسرعة ،
 وانتزع منه المفتاح ، وقال آسفًا :
 - معذرة يا (راشيل) .. صدقيني .. أنا أبغض هذا تمامًا .
 ولم تلتفت الإسرائيلية وعيها طويلًا ، بل استعادت مباشرة ، بعد دقيقة واحدة أو يزيد ، ولكنها عندما فعلت ، كان (أدهم) قد اختفى مع المفتاح .
 اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

أجابه ^{نفسه} حتى مباغت :

- ما شأنها؟! بل قل ما الذى يفعله غيرها يا سيدى ١٢.. لقد أصبح كل شيء هنا مرتبطاً بالسفارة الأمريكية .. كل مرة يتم فيها إطلاق النار ، فى قلب المدينة ، تجد سيارة أمريكية ، تحمل لوحات دبلوماسية ، ورجالاً يعيدون إلى جيوبهم مسدسات يتصاعد منها الدخان ، على قيد متر واحد من جنث تسيل منها الدماء ، وعندما تلقى سؤالاً واحداً ، يبرزون جوازات سفرهم الحمراء (★) ، ويعلنون حصاناتهم الدبلوماسية .. ما الذى تريد منى فعله إذن ؟.. هل أحصيت حوادث القتل وإطلاق النيران ، التى حدثت هنا ، فى اليومين الأخيرين ١٢.. ألم يدهشك إطلاق كل هذه الرصاصات ، وإراقة كل هذه الدماء ، فى يومين فحسب ؟.. هل راجعت هذا مع معدلات الجريمة المسجلة سابقاً ؟.. لو أنك فعلت ، فستجد أننا أحصينا من القتل ، فى يومين فحسب ، ما يفوق حالات القتل المسجلة ، فى الشهرين الماضيين كليهما .

كان يتحدث فى استرسال عصبى ، حتى أن المدير لم يستطع مقاطعته مرة واحدة ، حتى انتهى من حديثه ، فغمغم :

- وما تفسير هذا فى رأيك ؟

لوح المفتش بذراعيه ، قائلاً فى سخط :

- لا يوجد سوى تفسير واحد ، وهو أن (أثينا) قد أصبحت فجأة ، وليسبب ما ، مسرحاً لصراع أجهزة المخابرات ، مع بعضها .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

- المخابرات ؟!

(★) معظم جوازات السفر الدبلوماسية ذات غلاف أحمر ..

قرأ مدير الشرطة اليونانية فى عناية ، تلك المذكرة التى تقدم بها المفتش إليه ، قبل أن يواجهه قائلاً :

- ما هذا بالضبط ؟.. من أشار عليك بكتابة مثل هذا الطلب ؟

أجابه المفتش ، فى حزم :

- أنا كتبته ، وأصر على كل حرف جاء به يا سيدى .

عقد مدير الشرطة حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

- أى عبث هذا ؟.. هل تطالبنا بتقديم احتجاج رسمى للسفارة

الأمريكية ، حتى يمكننا حفظ النظام والأمن فى (أثينا) ؟

أجابه المفتش :

- هذا ما طلبته بالضبط يا سيدى .

تطلع إليه المدير لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول فى غضب :

- وما شأننا نحن بالسفارة الأمريكية ؟!.. نحن رجال شرطة

يا رجل ، ولسنا سفراء أو وزراء ، ومثل هذه الأمور من اختصاص

وزارة الخارجية ، وليس جهاز الشرطة .

أوماً المفتش برأسه إيجاباً ، وقال :

- أعلم هذا يا سيدى ، ولكننى أطالب جهاز الشرطة بتقديم مذكرة

لوزارة الخارجية ، لتتقدم بالاحتجاج للسفارة الأمريكية ، وإلا فلن

أكون مسئولاً عن حفظ الأمن والنظام هنا .

هتف المدير ، فى حدة :

- ماذا أصابك يا رجل ؟.. وما شأن السفارة الأمريكية بنظامنا

وأمننا ؟

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يفكر فى توتر ، قبل أن يستطرد :
- لقد عاصرت شيئاً كهذا فى الماضى ، بين المخابرات البريطانية
والمخابرات السوفيتية (*) .

ورفع عينيه إليه ، مردفاً فى قلبه :
- هل تعتقد أنه من الممكن أن يحدث هذا ثانية ؟
هتف المفتش :
- إنه يحدث بالفعل .

صمت المدير طويلاً ، وراح ينقر بأصابعه على سطح مكتبه ، وهو
يفكر فى عمق ، والمفتش يراقبه فى اهتمام ، حتى سمعه يقول :
- نعم .. هذا هو التفسير الوحيد .

قال المفتش ، فى لهفة :

- بالطبع يا سيدى .. بالطبع .

ثم مال نحوه ، يسأله :

- هل سنفعل شيئاً .

مط المدير شفطيه ، وظل يتطلع إليه لحظات أخرى ، قبل أن يهز
رأسه نفياً ، ويغمغم :
- كلا .

ارتد المفتش فى عنف ، كما لو أن كلمة المدير قد تحولت إلى
صاعقة قوية ، أصابته فى الصميم ، وردد القول فى ذهول :

(*) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م ، لم يكن جهاز المخابرات
الأمريكى (سى . آى . إيه) قد تكون بعد ، فى حين كان جهاز المخابرات البريطانى
فى أوج مجده ، بعد الخبرات القوية ، التى اكتسبها خلال الحرب ، ولهذا كان
الصراع يدور فى المعتاد ، بين جهاز المخابرات السوفيتى العتيق ، وجهاز
المخابرات البريطانى .

- كلا ؟ !

زفر المدير فى توتر ، وقال :

- لسنا نملك أن نفعل شيئاً فى الواقع ، فهذه الأمور شديدة التعقيد ،
وتتعلق بالسياسات بين الدول ، ولا يمكننا أن ...
قاطع المفتش ، فى حدة :
- كنت أتوقع هذا .

بدا الغضب على وجه المدير ، وهو يقول :

- كيف تتحدث إلى بهذا الأسلوب ؟

نهض المفتش واقفاً ، وألقى إليه ورقة مطوية ، قائلاً فى صرامة :
- لم يعد هذا بهم .

واتجه نحو الباب فى خطوات قوية واسعة ، وفتح فى حدة ،
والمدير يهتف به ، ملتقطاً تلك الورقة .
- ما هذا بالضبط ؟

توقف المفتش لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

- استقالتى .

وصلى الباب خلفه ، فى عنف ..

★ ★ ★

تطلع حارس السفارة الإسرائيلية إلى وجه (كوستا) فى برود ،
وهو يسأله :

- لماذا تريد مقابلة السفير ؟

أجابه (كوستا) ، وهو يللم ياقة معطفه حول عنقه :

- فقط أخبره أن لدى معلومات بالغة الأهمية .

سأله الرجل بنفس البرود :

- وما نوع هذه المعلومات ؟

تلقت (كوستا) حوله ، قبل أن يعيل نحوه ، هامسا :

- إننى أعرف نوع المفتاح .

عقد الحارس حاجبيه ، وهو يتطلع إليه فى دهشة ، قبل أن يسأله فى حذر :

- أى مفتاح ؟

أجابه (كوستا) ، فى حماس :

- مفتاح الخزانة ، التى تحوى (الميكروفيلم) .

سأله الحارس ، فى حذر أكثر :

- أى (ميكروفيلم) ؟

هز (كوستا) رأسه فى توتر ، وقال :

- من الواضح أنك لا تفهم شيئا .. أخبر السفير بما قلته لك ، وسيفهم الأمر حتما .

اعتدل الحارس ، وحذجه بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يقول :

- لا يمكن لسيادة السفير أن يلتقى بك الآن .. عد فى الصباح ،

وتقدم بطلب للملحق الإدارى ، وربما ..

قاطعه (كوستا) ، فى حدة :

- أى صباح يا رجل ؟.. أى صباح ؟.. هل تتوقع أنه كان من

الممكن أن أحضر إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت ، لو أن الموقف يحتمل التأجيل إلى الصباح ؟

انعقد حاجبا الحارس ، وهو يقول فى صرامة :

- ارحل وعُد فى الصباح .

لوح (كوستا) بذراعه ، هاتفا :

- كلا .. هذا لا يصلح أبدا .. أنت لا تفهم خطورة الموقف ..

اذهب وافعل ما طلبته منك يا رجل .. افعل وإلا فسأحكم المسئولية

كلها ، لو حدث ما لا تحمد عقباه .

تطلع إليه الحارس لحظات فى قلق حذر ، ثم التفت سماعة

الهاتف ، وتحذث إلى شخص ما بالعبرية ، قبل أن يقول له :

- الملحق العسكرى سيلتقى بك الآن .

ثم استدرك ، فى صرامة :

- ولكن حذار أن تكون عابثا .

هتف (كوستا) :

- عابثا ؟.. أى قول هذا يا رجل .. أى قول ؟

ولكن جسده البدين كان يرتجف فى توتر بالغ ، وخاصة وهم

يقودونه إلى مبنى السفارة ، ويفتشونه جيدا ، ثم يضعونه داخل حجرة

الملحق العسكرى ، الذى استقبله فى هدوء شديد ، وسأله :

- ماذا لديك بالضبط يا سيد (كوستا) ؟

أجابه (كوستا) ، فى توتر :

- هل تعرف ذلك المفتاح ، الذى يبحثون عنه ؟.. المفتاح الذى

كان فى شقة (بابيوس) .. إنهم يتصارعون عليه ، ولكن أحدا منهم

لن يدرك طبيعته .

كان يتوقع أن يسأله الملحق عن هذا المفتاح ، ولكنه فوجئ به

يقول فى هدوء ، وهو يرمقه بنظرة طويلة :

- ولماذا تظن هذا ؟

أجابه ملوِّحًا بكفيه :

- لأن هذا النوع من المفاتيح لم يعد مستخدمًا هذه الأيام ، ولكننى أعرفه بحكم تعاملى معه فى الماضى .. هل تعلم ؟!.. لقد كان (بابيوس) هذا شديد الذكاء ، عندما اختار تلك الخزائن بالذات ، فمن الممكن أن يخطر بباله أمرها ؟!

قال الملحق ، بابتسامة غامضة :

- هات ما لديك يا سيد (كوستا) .

مال (كوستا) نحوه ، وقال فى لهفة وشراسة :

- قل لى أولًا : ما الذى أحصل عليه ، لو أخبرتكم بهذا ؟

انتفض جسده فى ارتياح ، عندما سمع صوتًا صارمًا ، يقول :

- ما رأيك فى رصاصة فى الرأس ؟

استدار فى هلع إلى مصدر الصوت ، وانهار جسده كله فى

مقعده ..

لقد كانت صاحبة الصوت هى (راشيل) ..

(راشيل جولدمان) ..

★ ★ ★



٢٠ - الحل ..

ضحك (مجدى) فى جنل مرح ، وهو يرقد على سرير الإسعاف ، فى عيادة الدكتور (يورغو) ، وقال لـ (أدهم) :

- رائع .. إذن فقد تأرت لى من عزيزتنا (راشيل) يا سيادة العقيد .. كم أحب هذا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- كنت أتمنى رؤية وجهها ، عندما تكتشف ضياع المفتاح .

ضحك (مجدى) مرة أخرى ، وقال :

- ربما تطلق النار على رأسها ، من شدة الغضب .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى ، ثم ذابت ابتسامته على شفطيه

بسرعة ، وهو يتحرك فى الحجرة ، قائلاً :

- ولكن هذا المفتاح يمثل لى لغزًا غامضًا يا (مجدى) ، فلقد

فحصنا كل مكان يمكن أن يحوى خزانة ، يستطيع (بابيوس) أن

يستأجرها ، ويودع بها (الميكرو فيلم) ، ولكننا لم نعثر على شبيه

لهذا المفتاح قط .

تنهد (مجدى) ، وقال :

- هذا يدهشنى للغاية يا سيادة العقيد ، فالحلقة المتصلة بالمفتاح

من نوع بسيط ورخيص ، وكنت أعتقد أن الكشف عن الخزانة لن

يستغرق طويلًا .

أخرج (أدهم) المفتاح من جيبه ، وألقى عليه نظرة طويلة ، قبل أن يتحسّس الحلقة ، مغمغماً :

- نعم .. نوع بسيط ورخيص ، ولكنه ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. هذا صحيح .

اعتدل (مجدى) ، وهو يقول فى لهفة :

- ماذا هناك يا سيّدى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتطّلع إلى الحلقة :

- كيف لم تفكر فى هذا ؟!.. الحلقة من نوع رخيص بالفعل ،

ولا تحوى أية أسماء أو علامات مميزة .. فقط رقم من البلاستيك ..

ألا يشير هذا إلى الكثير ؟!

قال (مجدى) ، فى حذر :

- نعم .. يشير إلى أن المفتاح لا يخص أحد البنوك أو الفنادق

الكبرى .

قال (أدهم) ، بسرعة :

- ولا حتى إحدى شركات الخزائن الخاصة ، فكلها تتقاضى أجوراً

باهظة ، وتستخدم مفاتيح خاصة ، تحمل شعارها الأتيق .

قال (مجدى) ، فى حيرة :

- إلى أى مكان ينتمى المفتاح إذن ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يفكر فى عمق :

- إلى مكان رخيص ، لا يمكن أن يخطر ببال مخلوق ، ولكنه يرتبط

بشيء ما يهواه (بابيوس) ، أو يميل إلى التعامل معه بصفة مستمرة .

حاول (مجدى) أن يفكر بدّوره ، وهو يغمغم :

- شيء مثل ماذا ؟

قال (أدهم) :

- دعنا نعيد دراسة (بابيوس) ثانية ، فكل شخص ، مهما بلغت

حنكته أو إبداعيته ، يظل أسيراً للنمط ما ، يفرض وجوده عليه دائماً ،

حتى لو حاول تفاديه (*) .. فما النمط الذى يسير عليه (بابيوس) ؟

تمتم (مجدى) :

- إننا لم نعرفه بالقدر الكافى ، ولكن معلوماتنا عنه تقول إنه

أعزب ، و ...

قاطعه (أدهم) :

- ويمتلك سيارة أجرة .

اعتدل (مجدى) ، وقال فى حماس :

- فهت .. إذن فالمفتاح يخص خزائن خاصة ، فى نقابة سائقى

سيارات الأجرة مثلاً .

هزّ (أدهم) رأسه نفياً ، وقال :

- لا توجد خزائن خاصة ، فى نقابة سائقى سيارات الأجرة .. لقد

كان هذا أول مكان فحصته .

سأله (مجدى) ، فى حيرة :

- بم يفيدنا كونه سائقاً إذن ؟

أشار (أدهم) بسبّابته ، وهو يقول :

- ما الأماكن التى يتردّد عليها سائقو الأجرة عادة ؟!.. الفنادق

والأماكن السياحية ، والمحطات ، والمطارات ، و ...

(*) حقيقة علمية ، تؤكدها كل الدراسات النفسية الحديثة .

وبتر عبارته ليهتف فجأة :
- المحطات .

رئد (مجدى) خلفه ، فى حيرة :
- المحطات !؟

أجابه (أدهم) ، فى حماس :
- بالطبع .. هذا هو النمط الذى يستهويه .. يتلقى الرسائل فى صناديق بريد محطة المترو ، ثم يلتقى بالأمريكيين فى محطة القطار .. إنه يهوى المحطات ، لأن معلوماته عنها كثيرة ، بحكم ترده المستمر عليها .

قال (مجدى) ، وقد انتقل إليه الحماس :
- إذن فهذا مفتاح خزانة أمانات بإحدى المحطات .

لوح (أدهم) بالمفتاح ، وقال :
- بالضبط ، ولكنها ليست محطة عادية ، فالحلقة المتصلة بالمفتاح بسيطة ورخيصة ، ويمكنك أن تضيف إلى هذا أنها عتيقة الطراز أيضًا ، وهذا يعنى أنها تعود إلى محطة قديمة .

اعتصر (مجدى) ذهنه ، وهو يقول :
- محطة قديمة .. محطة قديمة .. أين المحطات القديمة هنا ؟
طرق الدكتور (يورغو) الباب ، فى هذه اللحظة ، وقال بابتسامة مهدبة :

- هل يمكننى الدخول ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- تفضل يا دكتور (يورغو) .. كيف تستأذننا فى عيادتك ؟

هز كتفيه ، وقال :

- كنتما تتحدثان فى العمل ، وأنا أعرف القواعد .

أجابه (أدهم) ، وهو يلوح بالمفتاح .

- كنا نتحدث عن هذا المفتاح .

تطلع الدكتور (يورغو) إلى المفتاح ، وابتسم قائلاً :

- يا إلهى !.. كدت أنسى شكل هذه المفاتيح .. ماذا تفعلان به ؟ ..

هل تحتفظان ببعض الأسرار فى ...

ثم تراجع فجأة ، وهو يبتسم فى حرج ، مغمفًا :

- آه .. معذرة .. نسيت أنه ليس من المفروض أن أسأل .

عقد (أدهم) حاجبيه فى تساؤل ، وهو يقول :

- هل رأيت مثل هذا المفتاح من قبل يا دكتور (يورغو) ؟

هز كتفيه مبتسمًا ، وهو يقول :

- بالطبع .. رأيت مثله كثيرًا ، أيام زيارتى لـ (أثينا) فى صباى .

سأله (أدهم) :

- هل تعرف ما هو بالضبط ؟

أجابه ، فى بساطة :

- نعم .. إنه مفتاح خزانة من خزانات المحطة .

هتف (مجدى) ، فى لهفة :

- أية محطة ؟

انتبه الدكتور (يورغو) فجأة إلى أهمية الأمر بالنسبة لهما ،

فأجاب بسرعة :

- محطة المترو القديمة ، فى أطراف المدينة .. إنها لم تعد

مستخدمة ، منذ إقامة المحطات الحديثة ، ولكن بعضهم مازال يستأجر خزاناتها الصغيرة .. إنها مجرد أدراج متلاصقة ، تكفي لوضع أشياء صغيرة ، ولست أبري ما إذا كانت مستخدمة حتى الآن ، أم أنهم أغلقوها .

تبادل (أدهم) و (مجدى) نظرة متألقة ، قبل أن يهتف الأول :
- لا يمكنك أن تتصور كم أفدتك يا دكتور (يورغو) .

ارتبك الطبيب الشاب ، وهو يغمغم :
- يسعدنى أن فعلت .

اختطف (أدهم) معطفه ، وهو يقول :

- سأنتقل على الفور إلى المحطة ... هل يمكننى استعارة سيارتك يا دكتور (يورغو) ؟

ناوله الطبيب مفاتيح سيارته ، وهو يقول :

- على الرحب والسعة .. إنها (بى . إم . دابليو) بيضاء ، وأرقامها ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يلتقط سماعة الهاتف :

- أحفظ أرقامها عن ظهر قلب .

سأله (مجدى) ، فى اهتمام :

- هل تجرى اتصالاً برجال مكتبنا هنا ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل يمكنك أن تقول إنه إجراء وقائى .

قالها وابتسامته تحمل شيئًا من الثقة ..
ومن الغموض ..

★ ★ ★

اتسعت عيننا (كوستا) فى رعب هائل ، وانتفض جسده البدين كله فى زعر ، عندما وقع بصره على (راشيل) ، التى تصوب مسدسها إلى رأسه ، وانهار تماننا ، وهو يلوح بذراعيه ، هاتفا :

- الرحمة يا سيدتى .. الرحمة .

قالت فى هدوء ، وهى تلوح بمسدسها فى وجهه :

- لا تتحدث عن الرحمة .. حدثنى عن ذلك المفتاح .
قال مرتعذا :

- سأفعل يا سيدتى .. سأفعل .

رمقته بنظرة صارمة ، قائلة :

- ودون مقابل بالطبع .

صاح ، فى هلع :

- مقابل ؟! .. ومن ذا الذى يطلب المقابل ؟! .. لقد أتيت لأبلغكم هذا

الأمر دون مقابل .. أنا أحب الإسرائيليين .. صدقيني .

ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد فى توسل :

- المهم ألا تقتليني يا سيدتى .. أرجوك .

قالت ، فى صرامة :

- لن أقتلك .

هتف :

- حقا ؟!

قالت ، فى ضجر :

- هذا وعد .

التفت إلى الملحق العسكرى ، يسأله فى توتر :

- هل تضمن لى وعدها هذا ؟

أوما الملحق برأسه إيجاباً ، وهو يبتسم فى هدوء ، قائلاً :
- نعم .. أضمنه .

بدأت عضلاته تسترخى ، وهو يقول :
- سأخبركما إذن .. هذا المفتاح يخص خزان محطة المترو القديمة .

عقدت (راشيل) حاجبها ، وهى تسأله :
- كيف عرفت ؟

أجابها مرتعداً :
- كنت أستخدم هذه الخزائن فيما مضى .. أيام تجارة الـ .. الـ ..
أعنى أيام العمل الأولى ، ولا يمكننى أن أنساها قط .
سألته ، فى غلظة :

- ولماذا لم تقل هذا فى البداية ؟
أجابها بسرعة :

- لست أدري يا سيدتى .. لست أدري .. ربما انتزاح الأمر من ذاكرتى ، مع كثرة العمل والمشاكل ، ولكننى أدركت منذ الوهلة الأولى أننى أعرف هذا المفتاح ، وإن لم أذكر ماهيته بالضبط ، (لا منذ ساعة أو يزيد .

تبادلت نظرة مع الملحق العسكرى ، الذى أشعل سيجارته ، وعقد حاجبيه ، وغاص فى مقعده قليلاً ، وكأنما يعلن شكه فى تلك المعلومات ، فقالت لـ (كوستا) فى شراسة مفاجئة :

- كم دفع لك المصريون ؟

انتفض جسد (كوستا) فى عنف ، وهو يصرخ فى زعر :
- المصريون ؟! .. وما شأنى أنا بالمصريين ؟

دفعت مسدسها فى عنقه ، وهى تصيح به :
- ألم يستأجروك للقيام بهذا الدور ؟

انهار فى رعب لا حدود له ، وهو يصرخ :

- استأجرونى ؟! .. أقسم لك إن هذا لم يحدث قط يا سيدتى .. كل ما فى الأمر هو أننى تذكرت المفتاح ، ورأيت أن أفضل ما أفعله هو أن أخبركم بالأمر .. أقسم لك إنها الحقيقة .. أقسم لك يا سيدتى .
ثم انخرط فى بكاء حار ، جعل جسده البدين يكتظ كله فى قوة ، فرفعت (راشيل) عينيها إلى الملحق العسكرى ، الذى ظل صامتاً ، ينفث دخان سيجارته لحظات ، ثم أوما برأسه فى بطء ، فاعتدلت قائلة :

- فليكن يا (كوستا) .. نحن نصدقك .

خفق قلبه فى قوة ، وهو يهتف :

- حقاً ؟! .. أشكرك يا سيدتى .. أشكرك .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

- لا داعى للشكر يا هذا ..

ثم التقطت وسادة من أحد المقاعد ، وألصقتها بمؤخرة رأسه ، فسألها فى زعر :

- ما هذا يا سيدتى ؟

أجابته ، فى صرامة :

- لست أحب تلويث المكان .

ارتعد ، وهو يسألها :

- تلويثه بماذا ؟

أرعبته ابتسامتها الوحشية ، وهي تقول :

- بماذا تظن في رأيك ؟

اشغيت عيناه في ذعر شديد ، وهتف بالملحق :

- ولكنكما وعدتما !

نفث الملحق دخان سيجارته في هدوء ، وهو يقول :

- هذا أول درس نتعلمه ، قبل الالتحاق بالعمل يا رجل .. لا ضير

من نقض العهود ، لو أن هذا يحقق فائدة .

ثم أشار إلى (راشيل) ، مستطرذا :

- هنا .

صرخ (كوستا) ، وهو يحاول النهوض :

- لا .. ليس من حقكم أن ...

ولكن (راشيل) دفعت فوهة كاتم الصوت في فمه المفتوح ،

وضغطت الزناد في هدوء ..

وانفجرت جمجمة (كوستا) ، وأغرقت الوساذه الصغيرة بالدم

بكمية هائلة ، قبل أن يسترخي جثة هامدة فوق المقعد ، فنفخت

(راشيل) الدخان المتصاعد من مسدسها ، مغفمة :

- غبي .

مط الملحق العسكري شففيه ، وهو يقول :

- كل الجشعين على الصورة نفسها .

ثم أشار بيده ، مستطرذا :

- اطلبى فريق التنظيف ، ليزيلوا الجثة من هنا .

أجابته ، وهي تدس مسدسها في جيبها :

- أطلبهم أنت ، فلدى مهمة عاجلة .

سألها :

- هل تصدقين ما قاله ؟

هزّت كتفها ، قائلة :

- لن نخسر شيئاً بفحص الأمر .

وألقت نظرة على ساعة يدها ، التي أشارت إلى الحادية عشرة

مساءً ، قبل أن تستطرد :

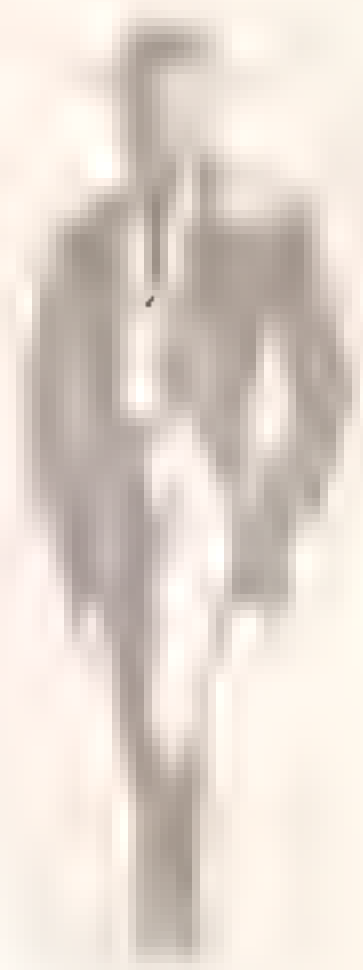
- ثم إن أمامي ساعة كاملة ، قبل الموعد الذي حدده الرؤساء .

وعندما انطلقت نحو محطة المترو القديمة ، لم تكن تدري أنها

ليست على موعد مع الطائرة فحسب ، بل كانت على موعد آخر ..

موعد مع القدر .

★ ★ ★



٢١ - الميكرو فيلم ..

أوقف (أدهم) سيارته أمام محطة المترو القديمة ، التي بدت أشبه بأطلال باهتة ، في ذلك الجو البارد ، وتساءل عما إذا كان العنوان صحيحا ، وأن خزان تلك المحطة ما زالت تجد من يستأجرها ، ثم ابتسم وهو يغادر السيارة ، متمتعا :

- أعترف أنك كنت ذكيا بالفعل يا (بابيوس) ، فقد تعاملت مع الموقف بحنكة جيدة ، ولكن المؤسف أن هذا لا يكفي وحده للعبث مع المحترفين .

عبر البوابة القديمة المتهالكة إلى الداخل ، وبداله الإهمال واضحا في كل ركن ، واستدارت إليه عيون عشرات المتشردين ، الذين اجتمعوا في حلقات صغيرة ، وأشعلوا بعض النيران للتدفئة ..

ومع وسامته ومعطف المطر الأنيق ، كان من الطبيعي أن يتابعوه في مزيج من الخوف والحذر ، ولكنه ابتسم مشجعا ، وهو يسألهم :
- أين أحد الخزانات ؟

لم يجبه أحدهم بحرف واحد ، ولكن كهلا أصلع أشار بيده إلى ركن بعيد ، حيث جلس ثلاثة من الرجال ، حول كومة من الحطب المشتعل ، فاتجه (أدهم) إليهم ، وسأل :

- أين الخزانات ؟

تطلعوا إليه في صمت حذر ، فأضاف ، وهو يخرج المفتاح من جيبه ، ويلوح به في وجوههم :

- بعضهم يحتفظ لى بشيء هنا .

ظنوا يتطلعون إليه لحظة في صمت ، ثم غمغم أحدهم في صوت خشن جاف :
- هنا ..

اتجه (أدهم) ببصره إلى حيث يشير الرجل ، وانتبه على الضوء الخافت إلى عدد من الأدراج يملأ الجدار ، وكل منهم يحمل شعارا مماثلا للحلقة في نهاية المفتاح ، ورقم مشابه أيضا .

وبسرعة ، أدار (أدهم) عينيه في الأدراج ، حتى وقع بصره على الرقم الذي يريده ، فدس المفتاح في ثقبه ، وأداره في ببطء .. وانفتح الدرج ..

وداخله ، رأى (أدهم) لفة من القماش ، التقطها وفض رباطها ، فسقط (الميكرو فيلم) بين أصابعه ، و ...
- هذا يكفي ..

ارتفع الصوت فجأة في المكان ، بلهجة أنثوية صارمة ، فرفع (أدهم) عينيه في سرعة ، ورأى (راشيل) على بعد أمتار قليلة منه ، تصوب إليه مسدسها ، وهي تقول :
- انتهى دورك هنا يا سيد (أدهم) .

ابتسم في سخرية ، وهو يقبض يده على (الميكرو فيلم) ، قائلا :
- هل تظنين هذا حقا ؟
مدت يدها ، قائلة :

- كفى يا سيد (أدهم) .. سأخذ (الميكرو فيلم) .
سألها ، في هدوء :

- أخبريني أولا .. كيف اتفق أن وصلنا إلى المكان نفسه ، في وقت متقارب كهذا ؟

هزّت كتفها ، قائلة :

.. إنه القدر .

ضحك ساخرًا ، وهو يقول :

- رانع يا عزيزتى (راشيل) .. تتحدثين كما لو كنت نجمة من
نجوم مسرح (شكسبير) (*) .. أخبرينى .. أى دور تفضلين
أداءه ؟ .. (ديدمونة) ، أم ...

قاطعته ، فى صرامة :

- (الميكرو فيلم) يا (أدهم) ، وإلا ...

كان المتشردون يتسللون هاربين ، تاركين نيرانهم خلفهم ، خوفًا
من ذلك الموقف ، عندما قال ساخرًا :

- وإلا ماذا يا عزيزتى (راشيل) ؟! .. وإلا أطلقت النار على ،
وأخذته من جثتى .. أليس كذلك ؟ .. ولكن السؤال هو :
- هل ستعثرين عليه ؟

قالها ولوح بذراعيه فى سرعة ، كما يفعل الحواة ، قائلاً :

- فى أى يد هو يا عزيزتى ؟

قالت فى غضب ، وهى تجذب إبرة مسدسها :

- لو تصوّرت أن هذا العبث سيمنعنى من قتلك ، فأنت واهم ..
أعطينى (الميكرو فيلم) .

(*) (وليم شيكسبير) : (١٥٦٤ - ١٦١٦ م) : أعظم شعراء وكتاب
المسرح الإنجليزى ، جعل المسرح الإنجليزى فنًا عالميًا ، يقال إنه من أسرة
ميسورة الحال ، اشتغل بالتدريس ، ثم اهتم بالتمثيل والمسرح ، وترك بلده
(ستراتفورد) ، وربط حياته بالمسرح فى (لندن) ، ومن أشهر أعماله
(هاملت) ، و (الملك لير) ، و (تاجر البندقية) ، و (ترويض النمرة) .



ارتفع الصوت فجأة فى المكان ، بلهجة أنثوية صارمة ، فرفع (أدهم) عينه

فى سرعة ، ورأى (راشيل) على بعد أمتار قليلة منه ..

فرد راحتيه الخاليتين أمامها ، وهو يبتسم قائلاً :

- أي (ميكروفيلم) يا عزيزتى (راشيل) ؟

حدقت فيه بدهشة ، وهتفت :

- أين هو ؟.. أين أخفيت ؟

هز كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

- خمنى .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- فليكن يا (أدهم) .. سأقتلك أولاً ، وأبحث عنه فيما بعد .

قال بسرعة :

- وماذا لو فشلت فى العثور عليه ؟

قالت ، فى حدة :

- لن أفشل .

أجابها ، بنفس السرعة :

- ومن أدراك ؟!.. ربما لا تعثرين عليه أبداً .. وربما يعثر عليه

غيرك فيما بعد .. هل يمكنك المخاطرة بهذا ؟

بدا التوتر الشديد على ملامحها ، وهى تقول :

- أين أخفيت (الميكروفيلم) يا (أدهم) ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا أخبرك ؟

كان مشهدهما غريباً ، وسط المحطة القديمة ، بضوئها الخافت

الباهت ، وبقع النيران المنتشرة فى كل مكان ، التى تركها المتشردون

خلفهم ، عند فرارهم ، والتى تلقى ظلالاً متراقصة مخيفة

على الجدران ، وبدأت (راشيل) متناسقة تماماً مع هذا المشهد ،

بملاحها الوحشية الشرسة ، وهى تقول فى غضب شديد :

- ستخبرنى حتى لا أقتلك .

رفع حاجبيه فى دهشة ساخرة ، قبل أن يقول :

- حتى لا تقتلينى ؟!.. هل تحاولين إقناعى بأن حصولك على ذلك

(الميكروفيلم) ، قد يجعلك تبقيين على حياتى يا عزيزتى (راشيل) ؟

عجباً !.. هل تتصورين أن سذاجتى جعلتني أظن أن العكس هو

الصحيح ، وأن السبب الوحيد ، الذى يجعلك تبقيين على حياتى الآن ،

هو رغبتك فى التأكد من الحصول على (الميكروفيلم) أولاً ؟

ألقت نظرة سريعة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى

الحادية عشرة والنصف ، قبل أن تقول فى توتر :

- اسمع يا (أدهم) .. يمكننا أن نعقد صفقة .

سألها ، فى هدوء :

- أى نوع من الصفقات ؟

أجابته ، وتوترها يتصاعد :

- أعطنى (الميكروفيلم) ، وسأعطيك مسدسى .. ما رأيك ؟

ضحك فى سخرية ، وقال :

- يا للهول !.. أهذا ما تطلقون عليه اسم صفقة .

سألته ، فى حدة :

- ماذا تريد إذن ؟

هز كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

- ما رأيك فى رئيس وزرائكم ؟

صاحت غاضبة :

- هل تسخر مني ؟

أجابها بسرعة :

- مطلقا .. أنا جالء تماما .. أعطيني رئيس وزراءكم ، وسأعطيك

(الميكروفيلم) على الفور .. هيا .. احسمى رأيك بسرعة

يا عزيزتى .. أيهما أكثر أهمية بالنسبة لك ؟ .. رئيس الوزراء أم

(الميكروفيلم) ؟

كان من الواضح أنه نجح فى استفزازها حتى النخاع ، فقد صاحت

فى غضب :

- فليكن يا (أدهم) .. سأخاطر بقتلك ، وأعتقد أننى سأعثر بعدها

على ذلك (الميكروفيلم) اللعين .

فرد يده أمامها ، وهو يقول فى بساطة :-

- ولماذا تبحثين ؟

حدقت فى (الميكروفيلم) ، المستقر فى راحة يده ، وهتفت :

- آه .. إنه هو .

أجابها (أدهم) :

- نعم .. ها هو ذا .

وقذف (الميكروفيلم) وسط النيران المشتعلة ..

وصرخت ، (راشيل) :

- لا .. لا تفعل هذا .

وقفزت محاولة استعادة (الميكروفيلم) ، ولكن النيران التهمت

مادته السليولوزية السريعة الاشتعال فى لحظات ، فصاحت غاضبة

ساخطة ، وجسدها كله يرتجف انفعالا :

- لماذا فعلت هذا ؟ .. لماذا ؟

قال فى صرامة :

- لقد أقسمت ألا تحصلى عليه قط .

صرخت :

- أيها الحقير .. أيها الحقير .

ثم رفعت مسدسها ، وصوبت فوهته إليه ، وهى تهتف :

- ما الذى يمنعنى الآن من قتلك ؟

عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يبتسم فى هدوء واثق ، فى نفس

اللحظة التى سمعت فيها صوتا أنثوياً من خلفها ، يقول فى حزم :

- أنا .

ومع الصوت ، التصقت فوهة مسدس بمؤخرة عنقها ، فانعقد

حاجبها فى توتر شديد ، وصاحبة الصوت الأنثوى تستطرد فى

صرامة :

- هل تفضلين إلقاء مسدسك بنفسك ، أم أتركه يسقط من يدك ،

عندما تخترق رصاصتى رأسك ؟

عضت (راشيل) شفتيها فى غيظ شديد ، وهى تلقى مسدسها

أرضا ، قائلة :

- من أنت بالضبط ؟

أجابتها (هويدا) ، من خلفها :

- ليس هذا من شأنك .

سألته متوترة :

- هل تتوین قتلى ؟

أجابها (أدهم) ، فى هدوء :

- أنت تعلمين أننا نختلف عنكم ، فى هذا المجال بالذات
يا (راشيل) ، فنحن لا نقتل قط دون مبرر .

سألته (هويدا) :

- هل أتركها ترحل ؟

أجابها ، فى هدوء :

- بالتأكيد .

تراخت عضلات (راشيل) فى ارتياح ، وهى تقول :

- سنلتقى مرة أخرى يا (أدهم) .

أجابها بنفس الهدوء :

- أنا واثق من هذا .

قالت ، فى حدة :

- وفى المرة القادمة ، لن أسمح لك بالانتصار قط ، ولن ..

ثم بترت عبارتها بغتة ، هاتفة :

- الانتصار ؟! .. ولكن مهلاً .. أنت لم تنتصر هذه المرة

يا (أدهم) .

ظل جامدا صامتا ، على الرغم من الضحكة الساخرة التى
أطلقتها ، قبل أن تستطرد فى شماعة :

- لقد أسأت تقدير الموقف يا رجل .. ماذا يضيرنا لو أنك حرقت
(الميكروفيلم) ؟ .. فليذهب إلى الجحيم .. هذا ما كنا سنفعله

بأنفسنا ، عندما نستعيده ، وكل ما فعلته أنت هو أن وفرت لنا الوقت
والجهد .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهى تتابع ساخرة :

- أنتم الذين خسرتم بهذا يا رجل .. إنها وثائقنا ، ونحن نحفظ
بأصولها ، أما أنتم ..

فقهت ضاحكة ، قبل أن تتم عبارتها ، فهتفت (هويدا) فى
ارتياح :

- أهذا صحيح يا (أدهم) ؟ .. هل خسرت هذه العملية ؟

أجابها ، فى خفوت :

- المرء لا يربح دائما يا عزيزتى .

بدت خيبة الأمل على وجه (هويدا) ، فى حين أطلقت (راشيل)
ضحكة ساخرة أخرى ، وهى تتراجع قائلة :

- هذا صحيح .. المرء لا يربح دائما ، حتى ولو كان (أدهم
صبرى) نفسه .

وقهت ضاحكة مرة أخرى ، فهتفت (هويدا) :

- قل شيئا يا (أدهم) .. لا تصمت هكذا .. أخبرها أنك ربحت .

قال فى بطء :

- لا يمكننى هذا يا عزيزتى .

ضحكت (راشيل) فى شماعة ساخرة مرة أخرى ، ولوحت بيدها
قائلة :

- لا تنس هذا أبداً يا (أدهم) .. تذكر دائماً أن (راشيل جولدمان)
هي أول من يذيقك طعم الهزيمة ..
إلى اللقاء يا (أدهم) .. إلى اللقاء ..
وراحت صرخاتها الساخرة تتردد في المحطة القديمة طويلاً ..
طويلاً جداً ..

★ ★ ★



٢٢ - الختام ..

(أثينا) : الخامس عشر من يناير ..

★ ★ ★

لست أصدق هذا أبداً ..

هتفت (هويدا) بالعبرة في حق ، وهي تقف مع (أدهم) ، في
مطار (أثينا) ولوحت بكفها ، مستطردة في ضيق :
- (أدهم صبرى) يخسر إحدى عملياته .. هذا هو المستحيل
بعينه .

أجابها (أدهم) ، في هدوء :

- جل من لا يخطئ يا عزيزتى ، ولكل جواد كبوة ..

قالت ، فى غيظ :

- ولماذا تحدث هذه الكبوة ، عندما أعود للعمل معك .. هذا يعنى
أننى لم أمنحك الحظ الحسن .

ضحك ، وهو يقول :

- لست أومن بهذا قط .

بدا الغضب عليها لحظات ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، وهي تقول :

- ولكن هل تعلم .. أنا أشعر بسعادة جمّة ، لأن القدر جمعنا معاً

مرة ثانية .. لا يمكنك أن تتصور كم كنت أتوق لهذا .

سألها :

- هل تشعرين بالندم ؛ لأنك تركت عالم المخابرات ، واشتغلت

بالسينما ؟

صمتت لحظات ، ثم أجابت :

- أحيانا .

وحاولت أن تضحك ، ولكن ضحكها بدت باهتة ، خالية من أية آثار للمرح الحقيقي ، وهي تقول :

- العجيب أنتى حتى فى عالم السينما ، ظللت أودى أدوار فتاة المغامرات ، أو فتاة المخابرات ، ولكننى لم أشعر قط بالمتعة نفسها ، التى كنت أشعر بها فى العمل الحقيقى .
علا يسألها :

- هل تفكرين فى العودة إليه ؟

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب :

- لست أدرى .. أنا الآن ممثلة ناجحة ، أحوز شهرة معقولة ، ودخل لا بأس به ، و ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، ثم بدا صوتها أقرب إلى البكاء ، وهي تستطرد :

- لست أدرى يا (أدهم) .. صدقنى لست أدرى .. أنا أحب العمل فى السينما ، وأشعر بحنين جارف لعمل المخابرات ، ولست أدرى أيهما أختار .

وتبالت عيناها بالدموع ، وهي تتطلع إليه ، مضيئة :

- هل تعلم ؟ .. عندما اتصلت بى مساء أمس ، وأخبرتني أنك تحتاج إلى ، كإجراء وقائى فى عملية محدودة ، شعرت بسعادة لا حدود لها .. صحيح أنتى لم أعلم طبيعة القضية بالضبط ، ولا من هى (راشيل) هذه .. بل إننى لم أعلم حتى أهمية ذلك (الميكرو فيلم) ، الذى كادت تفقدك بسببه ، ولكننى استمتعت كثيرا .

وتنهدت متممة :

- الشيء الوحيد ، الذى أفسد متعتى ، هو أنك خسرت العملية .
ابتسم قائلاً :

- لا تجعلى هذا يقلقك .

ثم سألها ، فى اهتمام :

- أخبرينى يا (هويدا) .. ماذا لو أمكننا التوفيق بين رغبتيك ؟
سألته ، فى لهفة :

- ماذا تعنى ؟

أجاب ، فى هدوء :

- أعنى أن تواصلى عملك فى السينما ، وتعملين لحساب المخابرات المصرية فى الوقت نفسه .

برقت عيناها ، وهي تهتف :

- أهذا ممكن ؟

أجابها فى بساطة :

- ولم لا .. المنات يتعاونون معنا بالأسلوب نفسه ، وأعتقد أنك ستكونين أفضلهم ، نظراً لخبراتك السابقة .

قالت فى حماس وسعادة :

- أنا رهن إشارة المخابرات المصرية دائماً .

ارتفع نداء فى هذه اللحظة ، يدعو المسافرين إلى (القاهرة) إلى ركوب طائرتهم ، فصافحها (أدهم) ، وهو يقول :

- فليكن يا (هويدا) .. اعتبرى أنك منذ هذه اللحظة ، عدت إلى صفوف المخابرات المصرية .

صافحته في حرارة ، قائلة :

- لن أنسى لك هذا قط .

ثم مالت على أذنه ، وهمست :

- ولكن بيني وبينك .. لست أصدق أنك فشلت هذه المرة ..

تذكر عبارتها هذه ، والطائرة تقلع به ، متجهة إلى (القاهرة) ،

فابتسم في ارتياح ، وتحسس جيبه ، وهو يغتمم :

- من حسن الحظ أن عزيزتنا (راشيل) لم تنتبه إلى أنني استبدلته

بآخر .

ووضع يده في جيبه ، ليخرجها وهي تحوى ذلك (الميكرو فيلم) ..

(الميكرو فيلم) الحقيقي .



[تمت بحمد الله]

باسم

www.dvd4arab.com